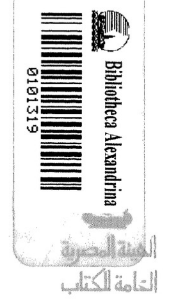
الألف كتاب
الثانى
٢٧٢

أهرام مصر

تأليف : أ. أ. س. ادواردز
ترجمة : مصطفى أحمد عثمان
مراجعة : د. أحمد فخرى



أهرام مصر

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

مدير التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى

لمياء محرم

أهرام مصر

تأليف

ا. س. إدواردز

ترجمة

مصطفى أحمد عثمان

مراجعة

د. أحمد فخري

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

الفهـــــرس

الفصل السادس

الفصل السابع

مؤلف الكتـــاب

مؤلف هـــذا الكتاب الأستـــاذ ا. ا. إدواردز من علمـــاء الآثار المعروفين فى بلاده ، وقد نشر كثيرا من الأبحاث العلمية . وكان يشغل منذ عام ١٩٣٤ وظيفة أمين القســم المصرى بالمتحف البريطانى ، وله مقام مرموق بين علماء الآثار فى انجلترا بل وفى جميع البلاد الأخرى .

ولهذا وقع عليه اختيار شركة بليكان لكتابة كتاب عن أهـــــرام مصر ، فقضى سنوات عدة فى اعداده أثناء الحرب العالمية الأولى ، وزار المناطق الأثرية المختلفة ، وتيسرت له الفرصة لقـــراءة ما كتب عن هذا الموضـوع ، فأخرج هذا الكتاب الذى بين ايدينـــا ، ونجـــح الى حد كبير فى جعله سهلا ليتسنى لكل شخص أن يستفيد منه .

ولم يقتصر المؤلف على وصف بعض هـــذه الأهـــرام ، ولكنه شرح تطور فكرة بناء الهرم من الناحيتين الدينية والمعمارية ، مما زاد من قيمته . ومما يشهد على الاقبال الشديد على هذا الكتاب من القراء فى جميع أرجاء العالم أنه قد أعيد طبعـــه عدة مرات حتى الآن .

هـذا الكتـاب

أتم ا. ا. ادواردز كتابه عن اهرام مصر قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولم يدخل عليه الا القليل النادر بعد عام ١٩٤٥ ، ولهذا نرى أن كل ما فيه من معلومات ، وما حاول المؤلف استخلاصه من نتائج ، مبنى على معلومات عن الأهرام حتى ذلك التاريخ ، ولكن بالرغم من مضى أكثر من عشر سنوات على كتابه ، وظهور كثير من الأبحاث العلمية عن الأهرام فى هذه الفترة ، وعمل حفائر كثيرة ، فان الكتاب لم يفقد أهميته بعد ، وما زال كما كان منذ صدوره من خير ما يقرأه محبو الاطلاع عن فكرة الأهرام وتطورها فى صورة مختصرة مقبولة ، ولهذا لم أتردد فى التوصية على ترجمته فى مشروع الألف كتاب ، وقبلت راضيا مراجعته لايمانى بفائدته ليكون بين أيدى قراء العربية رغم صعوبة موضوعه وتعقيد أسلوبه ، وهذا ما جعل ترجمته أمرا لا يمكن أن يوصف بالسهولة .

وقد نجح الأستاذ مصطفى أحمد عثمان فى نقل هذا الكتاب الى العربية ، وكان أمينا مدققا فى ترجمته ، وبذل كل ما فى استطاعته فى الابقاء على روح أسلوب مؤلفه ، ولو كان ذلك على حساب سلامة الأسلوب فى العربية واسترضاء القارىء ، وقد وافقته على ذلك لأن الكتاب منسوب قبل كل شىء الى مؤلفه ، وتقضى أمانة الترجمة باعطاء صورة صحيحة عن الموضوع ، وأسلوب المؤلف ، ولو كان ذلك فيه مشقة على القارىء .

ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى عام ١٩٤٧ ، وقد شاءت الظروف أن تظهر بين أعوام ١٩٤٥ — ١٩٥٦ معلومات كثيرة عن الأهرام ، وضعت حدا لكثير من المشاكل التى تعرض لها المؤلف ، كما أظهرت الحفائر المختلفة نتائج غيرت الكثير مما ورد فى هذا

الكتاب ، ولهذا آثر المعرب أن يضيف فى الهوامش بعض ما جـد ، حتى لا يعتقد القارىء الغربى فى عام ١٩٥٧ أن جميع المعلومات الواردة فى الكتاب هى آخر ما وصلت اليه أبحاث الأثريين عن الأهرام .

وانى أرى من واجبى الاشارة فى هذا التصدير المختصر الى أهم الأبحاث الجديدة عن موضوع الأهرام ، منذ صدور كتاب « أهرام مصر » باللغة الانجليزية حتى الآن :

أولا — فى منطقة دهشور :

قررت مصلحة الآثار فى عام ١٩٤٥ القيام بعمل أبحاث خاصة عن الأهرام ، ورصدت لذلك ميزانية خاصة لما أطلقت عليه مشروع دراسة الأهرام ، وأسندت رئاسته الى المرحوم المهندس عبد السلام محمد حسين ، الذى قام بحفر المعبد الجنازى لهرم الشواف ، الذى بناه الملك « جد كارع — اسيسى » من أواخر الأسرة الخامسة فى جنوب سقارة . ولكن الجزء الأكبر من أبحاث المرحوم عبد السلام محمد حسين كان فى منطقة دهشور حول الهرمين المشيدين بالحجر ، وقد نظف أركان الهرمين وداخلهما ووجد فى كل منهما اسم الملك «سنفرو». وبهذا أخذت معلوماتنا عن هذه الفترة من تطور بناء الأهرام تتغير ، لأننا نعلم من النصوص المختلفة أن سنفرو — مؤسس الأسرة الرابعة ووالد خوفو بانى الهرم الأكبر — بنى هرمين ، وكان المفروض ، حتى وقت القيام بالحفائر وكما هو وارد فى هذا الكتاب ، أن أحد هرمى سنفرو فى دهشور ، وهو الهرم البحرى ، أما هرم سنفرو الثانى فهو هرم ميدوم . ولكن حفائر مصلحة الآثار الجديدة أثبتت أن الهرم المنحنى فى دهشور ، وهو المعروف بالهرم الجنوبى ، قد بنى أيضا فى عهد سنفرو ، وبذلك تحدد أن هرمى سنفرو هما هرما دهشور . وعلينا الآن أن نجد اسم مشيد هرم ميدوم ، ونعرف تماما متى شيد .

ومات الأستاذ عبد السلام مأسوفاً عليه فى عام ١٩٤٩ فى ريعان شبابه دون أن يتمكن من نشر نتيجة أبحاثه نشراً علمياً ، أو يكمل ما بداه من عمل ، وأسندت مصلحة الآثار الى مشروع دراسة الأهرام ، فوجدت أن منطقة دهشور أولى المناطق بالبحث ، فتابعت الأبحاث هناك وفتحت المر الغربى فى الهرم المنحنى ، كما عثرت على كل من المعبد الجنازى ومبنى الوادى وغير ذلك من مبان ، ووجدت الكثير من الأحجار المنقوشة واللوحات والتماثيل ، مما أضاف الكثير الى

معلوماتنا عن معابد تلك الفترة الدقيقة فى تطور العمارة المصرية والفن المصرى ، وثبت بشكل قاطع أن الهرم المنحنى هو الهرم الجنوبى لسنفرو الذى ذكر كثيرا فى النقوش المختلفة من العصور التالية .

ثانيا — فى منطقة سقارة (١٩٥١ — ١٩٥٥) :

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه حفائر دهشور ، كانت تجرى أيضا حفائر لمصلحة الآثار خلف الهرم المدرج فى سقارة تحت اشراف الأستاذ زكريا غنيم . وقد ثبت من حفائره أنه يوجد خلف الهرم المدرج هرم مدرج آخر لم ينته العمل فيه . وقد أراد مشيدوه أن يكون صورة من هرم زوسر المدرج ، ولكن لم يكمل بناء هذا الهرم سواء فى داخله أو فى تشييد مصاطبه ، ورغم أنه لم يعثر على ما يثبت أن مشيده قد دفن فيه ، فقد ثبت أنه من عصر الملك « سخم — خت » ، الذى تولى الملك بعد زوسر فى الأسرة الثالثة .

ولو ضربنا صفحا عما عثر عليه أثناء الحفائر ، فان الجزء الذى تم من الهرم قد أثبت بشكل واضح أنه كان هرما مدرجا ، كما عثر أيضاً على الممر الصاعد الذى كان يستخدم فى تشييد الأهرام ، فثبتت نهائياً صحة نظرية الأثريين منذ وقت طويل عن طريقة تشييد الأهرام ، وذلك بوجود ممر صاعد من احدى الجهات كانوا يزيدون فى ارتفاعه كلما تقدم العمل ثم يزال عند الانتهاء منه .

ثالثا — فى منطقة أهرام الجيزة :

وفى صيف عام ١٩٥٤ عثر أيضا فى أعمال مصلحة الآثار على سفينتين جنازيتين للشمس فى الجهة القبلية من الهرم الأكبر ، وقد كشف عن احداهما فقط حتى الآن . وثبت أنها من خشب الأرز وأنها وضعت فى مكانها بعد وفاة خوفو ، فى عهد خلفه « ددفرع » . وليست هاتان السفينتان هما أول ما نعرف عن السفن الجنازية حول المقابر ، اذ توجد الأمكنة المحفورة فى الصخر لسفينتين أخريين فى شرق الهرم الأكبر ، كما توجد خمس سفن من هذا النوع حول الهرم الثانى ، ونعرف وجود أمثال هذه السفن منذ الأسرة الأولى ، ولكن امتاز الاكتشاف الجديد بأن سفينة خوفو أكبر حجما من أى سفينة عثر عليها ، وأفخم منها جميعا ، وهى كاملة بكل أدواتها ومعداتها . وقد أفاض المستر ادواردز فى موضوع فكرة هذه السفن ، فلا داعى هنا للحديث عنها .

رابعا — فى منطقة الفيوم :

وكأنما شاء القدر أن تكون فترة هذه السنوات العشر ملأى بالاكتشافات الخاصة بالأهرام ، فكان هناك كشف خامس جديد فى عام ١٩٥٦ . ولم يكن هذه المرة فى منطقة أهرام الدولة القديمة فى سقارة ، أو فى الجيزة أو فى دهشور ، بل كان فى منطقة أخرى هى الفيوم وعلى مقربة من هرم الملك امنمحات الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة .

أرادت مصلحة الآثار أن تستوثق مما هو تحت بعض الكتل الحجرية الكبيرة داخل سور من الطوب النى محيط بتلك الكتل ، كشفت عنه أعمال استصلاح الحقول فى تلك المنطقة منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، فقررت رفع الأحجار ، وعثرت هناك على حجرة دفن لاحدى الملكات تولت الملك فى آخر أيام هذه الأسرة ، وهى الملكة « نفروبتاح » .

وبالرغم من أن جثة هذه الملكة قد دفنت دون عناية ، ودون أن يكون معها شىء من الحلى التى اعتدنا العثور عليها مع ملوك واميرات هذه الأسرة ، الا أنه عثر على أوان فضية كبيرة الحجم خارج التابوت تعتبر من أهم ما عثر عليه فى هذه الأسرة ، وبذلك يمكننا أن نضيف هذا الكشف الجديد الى جدول الأهرام فى مصر ، ولو أنه لم يبق منه غير حجرة الدفن فقط ، وزال مبناه العلوى الذى كان من الطوب النى تكسوه كتل من الحجر الجيرى .

تلك هى أهم الأبحاث الأثرية الجديدة عن الأهرام ، أضفتها لكى تكون فى متناول يد القارىء فكرة عنها ، وذلك ليضعها فى ذهنه عند قراءة هذا الكتاب . وانى أكرر ما سبق أن قلته ، وهو أن هذه المعلومات الجديدة لم تضيع من قيمة الكتاب الأصلى أو فائدته ، والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق .

احمد فخرى

اهــرام مصر

تاليف

ا. ا. س. ادواردز
I. E. S. Edwards

كيف ولماذا شاد ملوك مصر أهرامهم ؟ هذان سـؤالان من بين الأسئلة التى وضع هذا الكتاب للاجابة عليها ، مع تقديم ايضاحات جديدة عن أسباب بناء الهرم . وقد أماطت الحفائر التى أجريت داخل وحول الأهرام فى القرن الماضى ، اللثام عن الاحتياطات العظيمـة المدهشة التى لجأ اليها الملوك القدماء ليحصلوا على ما كانوا يعتقدون أنهم فى حاجة اليه فى الحياة الأخرى ، أو ليدرأوا بها — ولـكن دون طائل — تسلل لصوص المقابر . وسنجد هنا قصة كفاحهم لتحقيق هذين الغرضين ، وذلك بادخال التعديلات والتطورات المستمرة على الأهرام .

سنقص هنا تلك القصة ، وسيساعد على توضيحها الـكثير من الرسوم والصور الفوتوغرافية التى تبين التغيرات الأساسية .

تمهيـــــد

نجد فى الفصول القادمة وصفا للمعالم الأساسية لعدد من الأهرام، بنيت كلها تقريبا فى فترة طولها نحو ألف عام . وقد عنينا عناية خاصة ببحث تلك الأهرامات التى توضح لنا جيداً ما مر على هذا النوع من القبور من التطور ثم التدهور ، فكتبنا عنه بشىء من التفصيل ، ومررنا على الأهرام الباقية مرا سريعاً ، وفى الفصل الأخير يرى القارىء بعض البيانات عن الطرق التى استخدمها المصريون فى البناء ، والدوافع التى جعلت الملوك القدماء يفضلون الشكل الهـرمى لمقابرهم .

ومع أنى زرت ـــ سواء قبل أو أثناء الحرب العالمية الثانية ـــ معظم الأهرام المذكورة فى هذا الكتاب ، واعتمـــدت على المذكـــرات التى كتبتها أثناء الزيارات ، الا أن الضرورة قد الزمتنى بأن انقل كثيراً من المعلومات والبيانات الأساسية عن تلك الأهرام من مؤلفات العلمـــاء الأثريين الذين قاموا بأخذ مقاييس تلك الآثار أو قامـــوا بالـــكشف عنها فى القرن الماضى . وسيرى القارىء بنفســه مبلغ ما ادين به لهؤلاء الأثريين وللناشرين الذين طبعوا مؤلفاتهم . وقد استندت فى معظم التفسيرات الواردة فى هـــذا الكتاب على ما ورد فى كتب المـــؤلفين السابقين ، الا أننى اجتهدت فى بعض الحالات فى تقديم تفســـيرات خاصة وصلت اليها بنفسى .

وانى اقدم شكرى للأصدقاء الذين ساعدونى بمختلف الوســـائل أثناء تأليف هذا الكتاب ، وأخص بالذكر « جون كريكشـانك روز » (John Cruikshank Rose) الذى قام بعمـــل الرســـوم ، ورســـومه جزء لا غنى عنه فى صلب الكتاب ، اذ أضاف مستر روز الى بعض الرسوم المنقولة من المؤلفـــات تفصيلات جديدة لتلائم اغـــراض هذا الكتاب ، أو اضافات ضرورية لما ظهر من اكتشافات لاحقة . وقـــد أعد كشفا بأسماء مؤلفى الكتب والمقالات التى أخـــذت منها الرســـوم

فى أول هــذا الكتاب ، وقــد سنحت لى فرصـــة دراسة تلــك الأبحاث حينما كنت فى الشرق الأوسط ، وانى مدين لمستر « بير نهارد جــــردسلف » (Bernhard Grdseloff) أمين مكتبــة المعهــد المصرولوجى الخاص بالمرحوم الدكتور لودويج بورخارد (Dr. Ludwig Borchardt) فى القاهرة ، وللدكتور ا. بن — دور (Dr. I. Ben-Dor) أمين مكتبة متحف فلسطين بالقــدس ، وللدكتـــور نلسى جليــك (Mr. Nelson Gluick) مدير المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية فى القــدس ، وللمستر سيتون لويد (Mr. Seton Lloyd) المستشار الفنى لمصلحة الآثارفىبغداد،وللمستر جارى برنتن (Mr. Guy Bronton) من المتحف المصرى الذى مكننى من الحصول على صور فوتوغرافية لبعض القطع الأثرية المعروضة فى ذلك المتحف والمنشورة مع غيرها من الصور فى هذا الكتاب . كما أشكر المستر دوس دنهام (Mr. Dows Dunham) من متحف الفنون الجميلة ببوسطن الذى ساعدنى أيضا فى الحصول على صورة لمجموعة التماثيل المنشورة فى اللوحة رقم ١٢ أ .

وقد أبدت ادارة متحف المتروبوليتان كرما عظيما بالسماح لى بوضع شكل ٢٦ قبل نشر التقرير النهائى لحفائرها . وقد سهل زياراتى الى مناطـــق الأهـــرام المختلفـــة اتين دريتــــــون (Dr. Etienne Drioton) مدير عام مصلحة الآثار المصرية (سابقا) وكذا موظفو هذه المصلحة فى الأقاليم . وانى أقرر أيضا أننى لم اصل الى تكوين الرأى النهائى لبعض المسائل التى نوقشت فى هذا الـكتاب الا بعد الاستفادة القيمة من مناقشاتى مع بعض الزملاء مثل البكباشى و . ب . امـبـرى (Lt. Col. W. B. Emery) الذى طالما ذكرت حفائره فى نص هذا الكتاب ، ومع الاستاذ ى . شيرنى (Professor J. Cerny) من جامعة لنـدن ومع المستر برنهــــارد جردسلف (Mr. Bernherd Grdseloff) ومع المستر هـ . و . فيرمان (Mr. H. W. Fairman) مدير حفائر جمعية الاكتشافات المصرية فى السنتين اللتين سبقتــا الحرب ،ومع البكباشى ر.د.هـ. جونس (Lieut. Colonel R.D.H. Jones) من المهندسيين الملكيين ، وأخص بالذكر الأستاذ أ.م . بلاكمان (Professor A. M. Blackman) من جامعة ليفربول والأستاذ س.ر.ك . جلانفيل (Professor S.R.K. Glanville) من جامعة كمبردج لتفضلهما بقراءة النص الكامل لهذا الكتاب قبل الطبع ، وكان لاقتراحاتهما الفضل فى ادخال بعض التحسينات على هــذا الكتـــاب . وكذلك الدكتور سدنى سميث (Dr. Sidney Smith) أمين قسم الآثار المصرية والأشورية فى المتحف البريطانى الذى قـــرأ الفصـــل

الأخير وأبدى كثيرا من التعقيبات . وأخيرا أذكر ما أدين به من الشكر الخالص لزوجتى التى لم تقم بكتابة كل الأصول على الماكينة فحسب ، بل ساعدت ايضا فى تحسين نصوص كثير من العبارات والفقرات الواردة فى نصوص الكتاب ،

لندن سنة ١٩٤٦ ا . ا . س. ادواردز *I. E. S. Edwards*

اللــوحات

لوحــة

١ — أهرام الجيزة مصورة من الجو (باذن من وزارة الطيران)

٢ — الهرم المدرج بسقارة . الجانبان الجنوبى والغربى .

٣ أ — نقوش بارزة على الحجر للفرعون زوسر وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية .

سقارة (من مؤلف س. م. فيرث ، ج. ا. كويبل — « الهرم المدرج » المجلد الثانى لوحة ١٦)

(From C. M. Firth & J. E. Quibell, « The Step Pyramid » Vol. II, Plate 16).

٣ب — تمثال للفرعون زوسر من الحجر الجيرى بالمتحف المصرى

٤ — الهرم المدرج . مدخل صالة الأعمدة بسقارة (من مؤلف ج. ب. لاوير « الهرم المدرج » الجزء الثانى لوحة ٤٥) .

(From J. P. Lauer, « La Pyramide à Degrés », Vol. II, Pl. XIV).

٥ — التغطية بالقيشانى كما كانت فى المصطبة الجنوبيــة بسقارة (من مؤلف س. م فيرث ، ج.ا. كويبل — « الهرم المدرج » لوحة الغلاف) .

(From C. M. Firth & J. E. Quibell Op. Cit., Vol. I, Frontispeice)

٦ أ — هرم ميدوم

٦ب — أبو الهول بالجيزة .

٧ — تمثال للفرعون خوفو من العاج بالمتحف المصرى

لوحــة

٨ — تمثال خفرع من حجر الديوريت بالمتحف المصرى

٩ — لوحة تمثل ثالوثا لأحد اقاليم مصر نرى فيهـا منكـاورع : وحاتحور والهة اقليم ابن آوى بالمتحف المصرى .

١٠ — مجموعة تماثيل منكاورع وحاتحور والملكة خع — مررنبتى فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن .

١١ أ — الطريق الجنازى لهرم أوناس بســقارة (من مقــال الأستاذ سليم حسن « حفائر سقارة ٣٧ — ١٩٣٨ » فى مجلــة أخبــار مصلحة الآثار مجلد ٣٨ لوحة ٥٤) .

(From Selim Bey Hassan, « Excavations in Sakkara, 1937-1938 », in « Annales du Service des Antiquités » Vol. XXXVIII, Plate XCIV).

١١ب — منظر مجاعة من رسوم طريق هرم أوناس الجنازى بسقارة (من مقال الدكتور اتيين دريتون « رسم المجاعة عــلى نقــوش مصرية فى الأسرة الخامسة » شكل ٣ ص ١١٥ من مجلة المعهد المصرى مجلد ٢٥ (٤٢ — ١٩٤٣)

(From E. Drioton, « Une Representation de la Famine sur un Bas-relief Egyptian de la Ve Dynastie » fig 3, p. 115. of « Le Bulletin de l'Institut d'Egypte ». Vol. XXV (1942-1943).

١٢ — المعبد الجنــازى المهــدم من عهد نب حبت رع « منتوحتب بالدير » البحرى (تصوير ا. ج. آركل)

(Photograph by A. J. Arkell, Esq, B. B. E., M.C., E.S.A.)

١٣ أ — تمثال صغير من المرمر للفرعون بيبى الثانى وهــو طفــل . بالمتحف المصرى .

١٣ب — امنمحات الثالث فى شبابه . بالمتحف المصرى

١٤ أ — اهرام مروى (تصوير ف. أديسن)

(Photograph by F. Addison, Esq.)

لوحـــة

١٤ ب ـــ أدوات نحاسية من الأسرة الأولى . بالمتحف المصرى (من مقال و. ب. امرى فى مجلة أخبار مصلحة الآثار المجـــلد ٣٩ (١٩٣٩) لوحة ٤٥ أ)

(From W. B. Emery, « A Preliminary Report of the First Dynasty Copper Treasure from North Sakkara» in « Annales du Service des Antiquités » Vol. XXXIX 1939, Plate LXV, A.)

١٤ جـ ـــ ثقوب فى الجرانيت من أعمال عمال المحاجر القدماء فى أسوان

١٥ ـــ تمثال سنوسرت الأول من الحجر الجيرى . بالمتحف المصرى

رسومات الكتاب

شـــكل

شـــكل

٦ — عامود متصل مضلع (من مؤلف ج. ب. لاوبرا « الهرم المدرج » الجزء الثانى لوحة ٦٥)
(Adapted from J. P. Lauer, Op. cit., Vol. II, Plate XLV).

١٠ — الهرم المنحنى ، قطاع فى اتجاه الناحية الشمالية (من مؤلف الكولونيل هـ. فيس « أبحاث على أهرام الجـيزة » الجـزء الثلث . الرسم المواجه لصفحة ٦٦ .
(From Col H. Vyse, « Operations carried on at the Pyramids of Gizeh », Vol. III, Plen facing Page 66).

١١ — الهرم المنحنى قطاع فى اتجاه الناحية الشمالية (من مؤلـف الكولونيل هـ. فيس « أبحاث على اهرام الجيزة » الجزء الثالث. الرسم المواجه لصفحة ٦٦)
(From Col H. Vyse loc. cit.).

١٢ — هرم ميدوم ، قطاع فى اتجاه الناحية الغربيـة (من مؤلـف ل. بورخارت « تشييد الأهرام » اللوحتان ٣ و ٤)
(Adapted from L. Borchardt, « Die Entstehung der Pyramide » Plates 3 & 4).

١٣ — المعبد الجنازى لهرم ميدوم (من مؤلف و. م فلنـدرز بترى « ميدوم » لوحـة ٤)
(From W. M. Flinders Petrie, « Medum » Plate IV).

١٤ — الهرم الأكبر ، قطاع فى اتجاه الناحيـة الغربيـة (من مؤلف الكولونيل هـ. فيس « أبحاث على اهرام الجيزة » الجزء الأول. الرسم المواجه لصفحة ٣)
(Adapted from Col. H. Vyse, Op. cit., Vol. I, Plan facing Page 3).

١٥ — معبد الوادى والمعبد الجنازى لهرم خفرع (عن مؤلف ى ، هولشر « مدفن الملك خفرع » لوحة ٣)
(After U. Hoischer, « Das Grabdenkmal des Königs Chephren », Plate III).

شكل

١٦ — هرم خفرع ، قطاع فى اتجاه الناحية الغربية مع رسم قطاع أفقى (من مؤلف ى. هولشر « مدفن الملك خفرع » لوحات ٢ ، ٧)

(From U. Holscher, Op. cit., Plates II & VII).

١٧ — هرم منكاورع ، قطاع فى اتجاه الناحية الغربية مع رسم قطاع أفقى (مقتبس من مؤلف الكولونيل هـ. فيس « أبحاث على اهرام الجيزة » الجزء الثانى . الرسمان المواجهان لصفحتى ٧٢ ، ٨٠)

(Adapted from Col. H. Vyse, Op. cit., Vol II, plans facing p. 72 & 80).

١٨ — أهرام أبو صير ، رسم تصورى لما كانت عليه عند تشييدها (مقتبس من مؤلف ب. بورخارت « مدفن الملك نى. اوسر. رع » لوحة ١)

(Adapted from L. Borchardt, « Das Grabdenkmal des Konigs Ne-User-Re », Plate I).

١٩ — معبد الشمس للملك نى. وسر. رع (من مؤلف ب. بورخارت « معبد رع للملك نى. أوسر. رع » الجزء الأول اللوحة ١)

(From L. Borchardt, « Das Re-Heiligtum des Konigs Ne-Woser-Re », Vol. I, Plate 1).

٢٠— عامود من الطراز النخيلى (من مؤلف ب. بورخارت « مدفن الملك ساحورع » الجزء الأول لوحة ٩)

(From L. Borchardt, « Das Grabdenkmal des Konigs Sahue-Re », Vol. I, Plate 9).

٢١ — المجموعة الهرمية لساحورع (مقتبس من مؤلف ب. بورخارت، الجزء الأول لوحة ١٦)

(Adapted from L. Borchardt, Op. cit., Plate 16).

٢٢ — عامود من طراز حزمة البردى (من مؤلف ل. بورخارت مدفن الملك ساحورع » الجزء الأول لوحة ١١)

(From L. Borchardt, Op. cit., Plate II)

شكل

٢٣ – الحجرات والممرات في هرم أونـــاس (مـــن مؤلف ك. زينه « نصوص الأهرام » الجزء الثالث ص ١١٦ »

(From K. Sethe, « Pyramiden-texte », Vol. III, p. 116).

٢٤ – المجموعة الهرمية لبيبى الثانى (من مؤلف ج. جكييه « الآثار الجنازية لبيبى الثانى » الجزء الثالث لوحة ١)

(From G. Jequier, « Le Monument Funeraire de Pepi II », Vol. III, Plete 1).

٢٥ – المعبد الجنازى لـ « نب. حيت. رع منتوحتب » كما كان عند تشييده (من مؤلف أ. نافيل « معبد الأسرة الحادية عشرة بالدير البحرى » الجزء الثانى لوحة ٢٣)

(After E. Naville, « The XIth Dynasty Temple of Deir El-Bahri », Vol. II, Plate XXIII».

٢٦ – المجموعة الهرمية لسنوسرت الأول (جمعت باذن خاص مـــن متحف المتروبوليتان للفنون من التقارير التمهيدية لحفائر اللشت المنشورة فى نشرة متحف المتروبوليتان للفنون الجزء الثانى يوليه ١٩٢٠ صفحة ٤ والجزء الثانى مارس ١٩٢٦ صفحـــة ٣٧ ؛ الجزء الثانى نوفمبر ١٩٣٤ صفحة ٢٣ ومن معلومات خاصة من لندسلى ف. هول من متحف المتروبوليتان للفنون)

(Assembled by permission of the Metropolitan Museum of Art from « Preliminary Reports of the Excavations at Lisht » published in the « Bulletin of the Metropolitan Museum of Art » Pert II. July 1920, p. 4, Part. II, March 1926 p. 37, Part II, November 1934, p. 23, and from a private communication from Lindsley F. Hall of the Metropolitan Museum of Art.)

٢٧ – هرم امنمحات الثالث بهوارة (من مؤلف و. م. فلندرز بترى « كاهون وغراب وهوارة » لوحة ٢)

(From W. M. Flinders Petrie « Kahun, Gurab and Hawara » Plate II).

٢٨ ــ حجرة الدفن لأمنمحات الثالث بهــوارة (مــن مؤلف و. م.
فلندرزبترى «كاهون ، غراب وهوارة » لوحة ٤)

(From W. M. Flinders Petrie, Op. cit., Plate IV).

٢٩ ــ مقابر الأشخاص بدير المدينة (من مؤلف ب. برويير « تقرير
عن حفائر دير المدينة » ١٩٣٠ لوحة ٣٢)

(After B. Bruyere, « Rapport sur les Fouilles de Deir-El-Medineh » 1930, Plate XXXII).

٣٠ ــ النيل من أسوان الى الخرطوم

٣١ ــ هــرم طهرقا (من مؤلف ج. ا. ريزنر « (لــوك أثيوبيــا ــ
المعروفون منهم والمجهولون » فى نشرة متحف بوسطن للفنون
الجميلة مجلد ١٦ ص ٧٠)

(After G. A. Reisner, « Known and Unknown Kings of Ethiopia » in Bulletin of Boston Museum of Fine Arts Vol. XVI, p. 70).

٣٢ ــ طريقة لمعرفة الشمال الحقيقى

٣٣ ــ نقل تمثال كبير (عن ب. ا. نيوبرى « البرشا » الجزء الأول
لوحة ١٥)

(After P. E. Newberry « El-Bersheh », Part I. Plete XV)

٣٤ ــ هرم ساحورع ، قطاع فى اتجاه الناحية الشرقية (عن ب.
بورخارت « مدفن الملك ساحورع » المجلد الأول لوحة ٧)

(After L. Borhardt, Op. cit. Vol. I, Plate 7).

مقدمة

ان السؤال الأول الذى يخطر على ذهن كل من يتطلع الى أثر قديم هو التساؤل عن تاريخه ، وغالبا ما تكون الاجابة على هذا التساؤل صعبة ، بل وفى بعض الأحيان مستحيلة بالنسبة للآثار المصرية ، اذا أردنا تحديد التاريخ بالسنين قبل بدء العصر المسيحى ، لأن معلوماتنا عن التقويم المصرى — وبالأخص فى العصور المبكرة — لم تكتمل بعد . فنحن نعرف تماما تتابع الحوادث وغالبا ما نعرف أيضا ارتباطها ببعضها ، ولكن — خلا حالات نادرة — قد لا يكون التاريخ المضبوط ممكنا ، اللهم الا اذا عثر الباحثون على أشياء أخرى محددة التاريخ أكثر مما عثرنا عليه حتى الآن ، للتسهيل من ناحية ولأن قرنا من الزمان قد مضى فى دراسة الآثار وأثبت صحة طريقة ترتيب ملوك مصر فى واحدة وثلاثين أسرة وهو ما عرفناه من مؤلف مانيتون « تاريخ مصر » (Manetho's « History of Egypt ») والذى أجمع المؤرخون المحدثون على الاعتماد عليه فى تحديد التاريخ . ولما كانت نهاية كل أسرة لم تستلزم حدوث تغييرات سياسية أو فنية هامة ، فقد وجد المؤرخون انه من الأوفق أن تجمع الأسرات فى عصور تتناسب مع أهم ما طرأ من تغييرات . وهناك تسعة عصور أساسية هذه هى أسماؤها وتواريخها على وجه التقريب :

الأسرتان الأولى والثانية

العصر العتيق ٣١٨٨ — ٢٨١٥ ق.م

من الأسرة الثالثة الى الأسرة السادسة :

الدولة القديمة ٢٨١٥ — ٢٢٩٤ ق.م

من الأسرة السابعة الى الأسرة العاشرة :

عصر الفترة الأولى ٢٢٩٤ — ٢١٣٢ ق.م

من الأسرة الحادية عشرة الى الأسرة الثانية عشرة :

الدولة الوسطى ٢١٣٢ — ١٧٧٧ ق.م

من الأسرة الثالثة عشرة الى الأسرة السابعة عشرة :

عصر الفترة الثانية ١٧٧٧ — ١٥٧٣ ق.م

من الأسرة الثامنة عشرة الى الأسرة العشرين :

الدولة الحديثة ١٥٧٣ — ١٠٩٠ ق.م

من الأسرة الواحدة والعشرين الى الأسرة الخامسة والعشرين :

الدولة الحديثة المتأخرة ١٠٩٠ — ٦٦٣ ق.م

الأسرة السادسة والعشرون :

العصر الصاوى ٦٦٣ — ٥٢٥ ق.م

من الأسرة السابعة والعشرين الى الأسرة الواحدة والثلاثين :

العصر المتأخر ٥٢٥ — ٣٣٢ ق.م

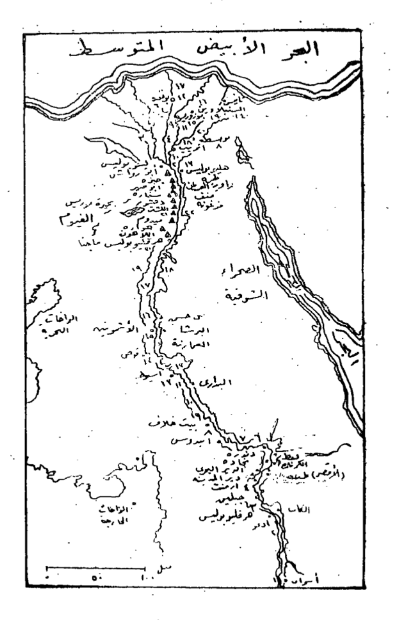
ويستغرق عصر بناة الأهرام المدة الثانية من هذه المجموعة والمدة التى تبدأ بالأسرة الثالثة وتنتهى بالأسرة السادسة . وكان الملوك وبعض الملكات خلال هذه الفترة — ما عدا بعض حالات قليلة — يدفنون فى مقابر يعلوها بناء هرمى الشكل . وقد شيدت الاهرام أيضا لبعض الملوك والملكات فى أسر تالية ، ولكنها كانت تحاول تقليد القديم ولا يعوزها الكثير من الفخامة المعمارية التى كانت للأهرام السابقة فحسب ، بل يعوزها أيضا بعض المعانى الدينية . ومجموع عدد الأهرام المعروفة لنا فى مصر ثمانون هرما تقريبا ، ولو أن معظمها فى الحقيقة قد تحول الى أكوام من الرمال والرديم الا أنها مع ذلك ما زال من الممكن لعلماء الآثار أن يعرفوا أمكنتها وهم متأكدون أنها كانت يوما من الأيام أهراما قائمة .

والأهرام التى تنتمى الى عصر بناة الأهرام مشيدة على الضفة الغربية للنيل على مقربة من مدينة منف القديمة (Memphis) بين ميدوم جنوبا وأبو رواش شمالا . واذا أخذنا بما جاء فى الأخبار المتواترة فان منف بنيت على أرض استصلحها الفرعون مينا (Menes) أول حاكم فى الأسرة الأولى ، بعد عمل جسر للنيل فجعله يشق طريقه الى الشرق من مجراه الأصلى . ومهما يكن مبلغ هذه الأخبار المتواترة من الصحة فى تفاصيلها فلا ريب فى أن مينا هو على الأرجح مؤسس

مدينة منف ، لأن كثيرا من البقايا الأثرية الموجودة حولها مباشرة يرجع تاريخه الى أيام الأسرة الأولى ، ولم يعثر على شيء يمكن أن ينسب الى عصر سابق عليها ، وان اكتشاف عدد كبير من المحلات الأثرية من عصر ما قبل الأسرات بالقرب من تلال المقطم على الضفة المقابلة من النهر يؤكد الحقيقة الأولى وهي عدم وجود أمثال هذه المحلات فى مدينة منف نفسها .

وحتى الآن لا يمكننا الجزم بما اذا كان مينا قد أنشأ منف لتكون عاصمة مصر أو أنها بنيت فى الأصل لتكون مجرد مدينة محصنة ثم أصبحت مقر الحكومة فى عصر لاحق، ربما كان فى بدء الأسرة الثالثة . ان الظروف التى أحاطت بتولى « مينا » عرش البلاد ترجح بدون شك اختياره هذا المكان ليكون عاصمة ملكه ، فقبل أيامه كانت مصر مكونة من مملكتين منفصلتين ، الأولى تمتد من أسوان فى الجنوب الى منطقة منف ، والأخرى تشمل باقى القطر من جهة الشمال ، أى تشمل الدلتا بأكملها . وكانت عاصمة الملكة الجنوبية (مصر العليا) تقع عند مدينة نخن (Nekhen) (هيراكونبوليس Hierakonpolis) أما عاصمة الملكة الشمالية (مصر السفلى) فكانت عند مدينة بى(BA) (بوتو Buto) . وتغلب مينا — الذى كان ملكا للمملكة الجنوبية فقط — على الملكة الشمالية ، وأدمج المملكتين فى مملكة واحدة ، وثبت ملكه على البلاد كلها . ولهذا كانت منف هى أنسب مكان ليشيد فيه مدينة محصنة ، لأنها تقع تقريبا على الحد الفاصل بين المملكتين السابقتين، وتصلح لصد أية محاولة يقوم بها أهل الشمال المغلوبون على أمرهم اذا ما أحسوا يوما من الأيام بتسرب الضعف الى الجنوب ، كما كانت فى الوقت ذاته أنسب الأمكنة لادارة شئون الملكة الجديدة المتحدة .

وباتحاد المملكتين أمكن لمينا أن يقوم بعمل حربى ربما حاوله غيره من قبل فلم يكتب له الا نجاح مؤقت ، وعلى كل حال تمكن مينا من القيام بالعمل الحربى اللازم لاتحاد المملكتين ، وأمكنه أيضا أن يتثبت من استمرار ما وصل اليه من نتيجة ذلك باتباعه سياسة رشيدة ، قامت عليها عظمة مصر فى الأسر التالية . ومع ذلك لم ينس أهل مصر الحقيقة التاريخية بأن بلدهم كانت تتكون يوما من مملكتين منفصلتين ، لأن الفراعنة — الى آخر أيامهم — ظلوا يستخدمون من بين ألقابهم لقب « ملك الوجهين القبلى والبحرى » .



الشكل (١) خريطة تقريبية لمصر

ولا يكاد يوجد لدينا معلومات مفصلة عن طريق الادارة السياسية التى سار عليها مينا وخلفاؤه الأولون ، ولكنه يلوح انهم اتبعوا نظام تركيز السلطة الى حد كبير .

لقد كشفت الحفائر الحديثة التى قام بها و. ب. امرى (W. B. Emery) بسقارة فى جبانة منف (Memphis) عن عدد كبير من مقابر رجال البلاط والموظفين فى الأسرتين الأولى والثانية ، وما زال كثير منها تحت الرمال ينتظر الكشف عنه . ويتضح من عدد هذه المقابر ومن ألقاب أصحابها ، أن الملك كان محاطا بعدد كبير من المستشارين والموظفين الذين يقومون بالتنفيذ ، ولكن عدم معرفتنا لأى شيء عن تفاصيل حياتهم يجعل محاولتنا لفهم تاريخهم الشخصى أمرا متعذرا .

وقبل حكم مينا كانت مصر مقسمة الى مناطق نسميها عادة أقاليم (Nomes) — وهى كلمة مشتقة من أصل يونانى — وعددها يختلف من وقت الى آخر نظرا لاغارة القوى منها على الضعيف وضمه اليه ، أو لأنه كثيراً ما يحدث أن يصيب الوهن والانحلال بعض الأقاليم الكبيرة فتتفكك . وحينما تم النصر لمينا كان عددها على ما يظهر اثنين وأربعين اقليما : اثنان وعشرون منها فى مصر العليا ، وعشرون فى مصر السفلى . وسمح مينا أن تظل هذه الأقاليم كما كانت وحدات منفصلة ولكنه عين لكل واحد منها حاكما مسئولا عن الاشراف على أموره الاجتماعية والدينية . وفى البداية كان هؤلاء الحكام — أو رؤساء الأقاليم كما كانوا يسمون عادة — يباشرون أعمالهم لمدة معينة فقط ، ثم تدرجت هذه المناصب فأصبحت حقا وراثيا لبعض العائلات ، وهكذا أخذت تتكون طبقة حكام الأقاليم التى أخذت تهدد سلطة الملك حتى وصل بها الامر فى نهاية الأسرة السادسة فقامت بدور هام فى تقويض اركان الملكية نفسها . ولسنا نعرف عن النظم السياسية لتلك الأقاليم أو عن الصلات التى كانت تربطها بالعاصمة الا القليل .

وما من شك فى أن كل اقليم كان مكلفا بتوصيل الدخل للخزينة الملكية، ولكن — على ما يظهر — كانت الأقاليم متمتعة بالكثير من استقلالها الدينى ، وكان لكل اقليم اله أو آلهته المحلية الخاصة ترسم عادة فى صورة حيوان أو انسان له رأس حيوان ، مثل وبواوت (Wepwawet) الاله الذئب الذى كان يعبد فى اقليم أسيوط ، وباستت (Bastet) الالهة القطة معبودة بوباستت (Bubastis) وحرسافس (Hersaphes)

الاله ذو رأس الكبش الذى كان يعبد فى اهناسية (Herakleopolis) وكان بعض الآلهـة المحلية تمثل على صـورة الانسـان . مثل بتـاح (Ptah) فى منف (Memphis) والاله مين (Min) فى قفط (Coptos) وأوزيريس (Osiris) وهم ثلاثة من أهم الآلهة المعروفين .

وربما عبد فى اقليم واحد آلهة كثيرة مختلفة تتباين اهميتها النسبية تبعا لعدد المؤمنين بها أو تبعا لثروة معابدها . ففى اقليم منف مثلا نجد الى جوار الهه الرئيسى بتاح الالهة سخمت (Sekhmet) ذات رأس اللبؤة ، والاله نفرتوم (Nefertum) ويرسم على صورة انسان وفوق رأسه زهرة اللوتس ، وسكر (Sokar) وهو اله ذو رأس على هيئة رأس الصقر وكان يسكن الصحراء غرب منف . وكان لكـل من هذه الآلهة هيكله الخاص ، ولكن على مرور الزمن اعتبروا الآلهة بتاح وسخمت ونفرتوم عائلة واحدة وعبدت فى معبد واحد . ونجد أمثال هذا الثالوث فى بلاد أخرى ، مثل ثالوث أوزيريس وايزيس وحورس وهم الذين يكونون أشهر ثالوث فى الديانة المصرية .

ونحن لا نستطيع أن نقول ان الملوك الأوائل عندمـا سمحـوا للأقاليم بأن تتمتع باستقلالها الدينى كانوا يحاولون تصريف الأمـور وفقا لما تمليه عليهم الضرورة السياسية ، ففى عهد سادت فيه فلسفة تعدد الآلهة لم تكن هناك ضرورة أو رغبة لتغيير النظام الدينى السائد اذ ذاك . ولو استثنينا بعض الآلهة القليلة العدد المتصـلة بعنـاصر الكون ، والتى يبدو انه كان معترفا بها الى حد كبير منذ عهد بعيد ، فان العدد الأكبر من الآلهة كان ينحصر نفوذه فى حدود جغرافية معينة . ولا جدوى من التكهن بالاثر الذى كان يحدث على تطور الديانة المصرية لو لم يتبع الملوك سياسة التسامح ، الا أنه من الأهمية بمكان ان نضع فى أذهاننا أن العناصر المختلفة التى حددت طبيعة هذا الدين — كما هو معروف لنا — كانت محلية فى أساسها ، وهذا هو سبب ذلك التشعب، بل والتناقض ، فى بعض العقائد التى كـان يعتنقهـا المصريون فى أيام الأسرات .

وبدأ نضج واكتمال دين رسمى لمصر فى عصر بناة الأهرام ، فقد استمدوا ذلك من طقوس معبد له كهنوت قوى ، يقع بالقرب مـن شمال منف عند المدينة التى أطلق عليها اليونـانيون فيما بعـد اسم

هليوبوليس (Heliopolis) التى كان يسميها قدماء المصريون أون (On) وذكرت بهذا الاسم فى كتاب سفر التكوين حيث وصف بوتيفار بأنه كاهن من كهنة أون .

وفى العصور الموغلة فى القدم كان يرمز للمعبود الذى فيه برمز على هيئة عمود ، ولكن ابتداء من عصر الأسرات أصبح ذلك المعبد مركزا لديانة الشمس ، وكان أعظم الأشياء تقديسا فى هذا المعبد هو الـ « بنبن » (Benben) وهو حجر هرمى الشكل كانوا يعتقدون أن اله الشمس أظهر نفسه وهو واقف عليه على هيئة طير العنقاء (Phoenix) طائر الخلود .

وما ان جاءت العصور التاريخية حتى كان كهنة هليوبوليس قد وضعوا قصة خلق الكون وقالوا فيها ان رع — أتوم (Ra-Atum) اله الشمس قد خلق نفسه من نون Nun المحيط الأزلى . وجاء من نسل رع — أتوم الاله شو Shu ، وهو اله الهواء ، والالهة تفنوت (Tefnut) ، وهى الهة الرطوبة ، اللذان انجبا بدورهما جب (Geb) اله الأرض ونوت (Nut) الهة السماء . ومن جب ونوت اتى الى الوجود أوزيريس وايزيس وست ونفتيس .

وأطلقوا على هذه الآلهة التسعة « تاسوع هليوبوليس العظيم » . وكان هناك ايضا تاسوع صغير يتكون من مجموعة من الآلهة الذين يقلون اهمية عن السابقين ، وكان يتزعمهم الاله حورس . ومع ذلك فلم يكن رع — أتوم هو الصورة الوحيدة التى عبد فيها اله الشمس فى هليوبوليس ، فهناك أشكال أخرى مثل حوراختى (Horakhti) — وترجمتها حورس الذى فى الأفق — وخبرى (Khepri) على هيئة جعل ، وكانا يعبدان هناك . وقد حاول كهنة هليوبوليس أن يفرقوا بين هذه الأشكال ، فقالوا بأن خبرى هو الشمس المشرقة فى الصباح ، ورع — أتوم الشمس الغاربة فى المساء ، ولكن المصريين القدماء لم يراعوا بدقة هذه التفرقة . ولم يجد المصريون فى عهد بناة الأهرام صعوبة فى اعتبار اله الشمس كائناً مركباً اى انه لم يكن كائنا واحدا لا يتجزأ بل كان الها مكونا من أكثر من عنصر واحد مستمد كل منها من أحد آلهة الشمس المحلية التى كانت فى الأصل منفصلة عن بعضها ثم اتحدت فيما بعد دون أن تتساوى فى المرتبة مع رع اله هليوبوليس . ولم يكن عجيبا اذن أن تحوى عبادة الشمس متناقضات عدة كما نرى

ذلك فى أقدم مجموعة للنصوص الدينية التى وصلت الينا ، وهى النصوص المحفورة على جدران حجرات وممرات الأهرام فىالأسرتين الخامسة والسادسة .

ولكى نوضح العقائد المختلفة التى ربما وجدت فى وقت واحد ، يكفى أن نذكر التفسيرات المختلفة التى فسروا بها تحرك الشمس اليومى عبر الأرض . فأكثر النظريات قبولا ، هى النظرية القائلة بأن رع كان يعبر السماء كل يوم مصحوبا بأتباعه راكباً أحد القوارب .

واعتقدوا أيضاً أن القمر والكواكب تعبر السماء أيضاً فى قوارب ، وذلك لأنه لم تكن هناك طريقة للمواصلات أنسب عند المصرى القديم من القارب ، لأنه هو وأجداده قد ركبوا متن النيل ليسافروا عليه من مكان الى آخر ، ولهذا فان سفر الكائنات المقدسة فى رحلتها السماوية بنفس الطريقة ، كان أمراً منطقيا .

وهناك مدرسة فكرية أخرى كانت تقول بأن الشمس كانت تحمل فى الجو على أجنحة مثل الطائر ، وكان هذا الاعتقاد متصلا بصفة خاصة باله الشمس فى صورة حورا ختى الذى كانوا يعتبرونه منذ أقدم العصور أنه كان على صورة الصقر .

ونظراً لأنه لا يمكن لأى كائن منظور أن يحمل نفسه فى الفضاء مدة طويلة الا اذا كانت له أجنحة ، فلهذا كان معقولا أن تخضع الشمس لنفس القوانين الأساسية كالأشياء الأخرى ، ووقع اختيارهم على الصقر لأنه يفوق كل الطيور الأخرى المعروفة للمصريين فى قدرته على التحليق فى الجو على ارتفاع عال جداً .

وربما كان أطرف الآراء المختلفة التى وضعت لتفسير سير الشمس عبر السماء ، ذلك الذى قال بأن إله الشمس كان على شكل الجعل ، وكان هذا التصور يتجاوب على الأخص معه فى اسمه خبرى . كان المصرى القديم يعرف جيداً منظر الجعل ، وكثيرا ما كان يلاحظه وهو يدفع أمامه على الأرض كرة صغيرة من الروث حتى يعثر على شق مناسب يضعها فيه . واعتقد المصرى أن صغار الجعل تخلق نفسها بنفسها ، ثم تخرج من تلك الكرة . وتخيل المصرى أنه يوجد شبه بين الشمس منبع الحياة كلها وتلك الكرة من الروث التى اعتقد أن صغار الجعل تخرج منها . فليس من المستغرب اذن أن تكون القوة التى تدفع بالشمس عبر السماء ، وهى اله الشمس ، شبيهة بجعل هائل الحجم

يدفع الشمس أمامه كما يدفع جعل الأرض كرة الروث ، فرسموه على هذه الصورة . وبهذه المناسبة يجب أن نذكر أنه ليس بالأمر ذي البال أو الأهمية اذا كان علماء الحشرات يقررون أن كـرة الـروث التى يدحرجها الجعل أمامه انما تحوى ما يختزنه من طعام ، بينما الكرة التى تحوي بيض الجعل ليست مستديرة بل كمثرية الشكل وتحفظها أنثى الحشرة فى ثقب حتى يحين وقت فقسها .

وكان سير الشمس أثناء الليل سبباً فى ظهور نظريات مختلفة . فهناك التفسير الطبيعى أنها تمضى ساعات الظلام سائرة فى مركب خلال العالم السفلى المسمى دات (Dat) قبل أن تظهر مرة ثانية فوق الأرض فى كل يوم عند الشروق ، ويفرض تفسير آخر فيه الكثير من الخيال أن السماء ليست الا جسم الالهة نويت التى تظلل الأرض على هيئة قنطرة هائلة رأسها فى مستوى الأفق الغربى وعجزها فى مستوى الأفق الشرقى ويمتد ذراعاها ورجلاها تحت الأفق ، وتغيب الشمس فى هذه الالهة كل مساء عند الغروب ، وتمر فى جسدها أثناء الليل لكى تولد ثانية عند الشروق . ولم يقل قبول المصريين لهذا التفسير فى أى وقت من الأوقات ، بل استمر حتى آخر العصور جنبا الى جنب مـــع نظرية رحلة الشمس أثناء الليل خلال الـ « دات » (*) .

واضطرت ديانة الشمس فى هليوبوليس ـــ فى الوقت الذى كانت تتمتع فيه بأعظم نفوذ فى عصر بناة الاهرام ـــ الى قبول ، ثم الى ادماج، ديانة أخرى لم يكن لها صلة بعبادة الشمس ، ألا وهى ديانة الالـــه أوزيريس . وهذه الديانة ـــ بالشكل الذى نعرفه ـــ حوت كثيراً من المتناقضات ، مثل عبادة الشمس ، كما اضطرت أيضـــاً الى ادماج معتقدات كانت فى أصلها متصلة بآلهة محلية أخرى لم تكن فى الأصل ذات صلة بالاله الرئيسي الذى اندمجت فيه .

وفى الأزمنة الغابرة ـــ قبل اتحاد مصر العليا بمصر السفلى تحت حكم مينا ـــ ربما كان الاله أوزيريس فى الأصل ملكا ، ثم أصبح الاله المحلى للاقليم التاسع من أقاليم مصر السفلى وعاصمته أبو صـــير وانتشر نفوذه فيما بعـــد حتى أصـــبح الاله الرئيسى المجمـــوعة من الأقاليم فى شرق الدلتـا . وعبد فى وقـت ما أثنـــاء هذا التقـدم مع اله محلى يسمى عنجتى (Anjeti) وكان الرمز الخاص به هو عصا الراعى والسوط . وكان حورس ، الذى اعتبر فيما بعد ابنـــا

(*) عالم الموتى .

لأوزيريس ، فى ذلك الوقت الها مستقلا تماما له نفوذه وسلطته على مجموعة من الأقاليم فى غرب الدلتا . أما ايزيس — التى اعتبرت فى عصر بناة الأهرام زوجة لأوزيريس — فيلوح أنها كانت هى الأخرى الهة فى الدلتا ، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق شيئاً عن أصلها .

وبعد أن ارتبطت عبادة أوزيريس بعبادة حورس الاله المجاور له، اعتبر هذان الآلهان كوالد وولد ، وبدأ نفوذهما ينتشر جنوبا حتى أصبح أوزيريس فى عصر بناة الأهرام يعبد مع سكر اله جبانة منف ، ومع وبواوت الاله الذئب فى أسيوط ، ومع خنتى — أمنتيو Khentiementiu الاله الذى كان على صورة ابن آوى وكان يعبد فى أبيدوس ، وربما مع آلهة آخرين أيضا ، ولكن أهم هذه الصلات هى بلا شك تلك التى كانت مع خنتى — أمنتيو ، لأنه بمرور الزمن أصبح أوزيريس ذا صلة رئيسية بأبيدوس بينما فقدت أبو صير — مقره الأصلى — أهميتها تدريجا .

واحتوت نصوص الديانة المصرية على اشارات لا حصر لها الى القصة التى كانت أساسا لديانة أوزيريس ، ولكن لا توجد قصة متصلة كاملة منها . وليس من الصعب علينا أن نتكهن بالسبب فى هذا ، فالقصة لابد أنها كانت معروفة تماما منذ زمان بعيد لدرجة أنهم لم يجدوا ضرورة لاثبات نصها .

وأول نسخة كاملة معروفة فى الوقت الحاضر هى ما كتبه بلوتارخ (Plutarch) فى مؤلفه «ايزيس وأوزيريس» (De Iside et Osiride) وهى وان اختلفت فى بعض التفاصيل الا أنها تتفق فى كل المواقف المهمة مع الاشارات الواردة فى النصوص المصرية . ولهذا يمكننا اعتبارها ممثلة بوجه عام للقصة الأصلية فى جميع الأزمان .

وفيما يلى النقط الأساسية لهذه القصة كما جاءت فى مؤلف بلوتارخ والنصوص المصرية :

كان أوزيريس — الابن الأكبر لاله الأرض جب والهة السماء نوت — ملكا عادلا محبا للخير يحكم الأرض كلها ، وعلم الناس مختلف الفنون والصناعات وحولهم من حالة الهمجية الى الحضارة . وفى يوم من الأيام قتله أخوه ست مدفوعا بعوامل الحسد . ويقرر بلوتارخ ان الجريمة قد ارتكبت بحيلة دبرت بدهاء . فقد اقام ست وليمة مدعيا

أنها لتكريم أخيه بمناسبة عودته الى مصر من بلد أجنبى ، ودعا اليها اثنين وسبعين من أصدقائه ، وفى أثناء الوليمة جىء الى الحجرة بصندوق دقيق الصنع ، وأعلن ست أنه يقدمه هدية الى أى شخص ينام فيه فيناسبه تماماً . وتنفيذاً للخطة التى اتفقوا عليها حاول عدد من الضيوف أن يناموا فى الصندوق ، ولكن حجمهم لم يوافق حجم الصندوق تماماً . وقام أوزيريس بعد ذلك ونام داخل الصندوق فكان مناسبا له كل المناسبة نظراً لحجم جسمه غير العادى ، وأسرع بعض المتآمرين فأغلقوا الصندوق بينما كان أوزيريس فى داخله ، ثم حملوه الى النيل . وبعد أن حملوه فى الماء حتى مدخل فرع النيل عند تانيس ، دفعوه ليعوم فى البحر حتى قذفت به الأمواج على الشاطىء عند مدينة جبيل (Byblos) .

وعندما علمت ايزيس بأن أوزيريس قد اغتيل ، بدأت تبحث عن جثمانه بحثا طويلا مليئا بالحوادث ، حتى عثرت عليه فى النهاية وعادت به الى مصر من جبيل ، وأقامت مدة من الزمن بمدينة خميس (Khemmis) فى مناقع الدلتا تحرس تابوت أوزيريس وتنتظر ولادة ولدها الذى حملت به على ما يظهر بعد موت أبيه . وعثر ست على التابوت عندما خرج فى أحد الأيام للصيد ، فأخرج الجثة وقطعها الى أربع عشرة أو ست عشرة قطعة بعثرها فى بلاد مصر المختلفة . وذهبت ايزيس للمرة الثانية للبحث عن الجثة ودفنت كل قطعة وجدتها : الرأس فى أبيدوس ، والرقبة فى هليوبوليس ، والفخذ الأيسر فى بيجه (Bigeh) وباقى الأجزاء فى بلاد اخرى . وكان عضو التذكير هو الجزء الوحيد الذى لم تعثر عليه ، لأن ست ألقى به فى النهر فابتلعته سمكة الأنومة (Oxyrhynchus) .

ويذكر نص آخر لهذه القصة أنه بعد عثور ايزيس على الجثة أمر رع الاله أنوبيس (Anubis) ليحنطها ، ورفرفت ايزيس بجناحها حينذاك عليه فأعادت اليه الحياة . وهذه النقطة فى غاية الأهمية ، لأن عملية التحنيط كما عرفناها من الموميات المصرية ، كانت متصلة اتصالا مباشراً بأسطورة أوزيريس ، لأنه بعد أن أعيدت له الحياة أصبح أوزيريس ملكا على الموتى ، وبذا أصبحت له هذه الصفة التى ظهر بها فى جميع العصور التاريخية . ولهذه القصة بقية مسجلة على ملف من البردى سلم من أى عطب ويرجع تاريخه الى أيام الدولة الحديثة ، تقرأ فيه قصة الصراع الطويل العنيف بين ست وحورس الذى صمم

على قتل عمه انتقاما منه لقتل والده . وفى أثناء الصراع قلــع ست احدى عينى ابن أخيه . ولكن حورس انتصر فى النهاية وجلس على عرش أوزيريس ، وأعاد الاله تحوت (Thot) الى حورس عينه المفقودة ، وأيده فى أحقيته فى الجلوس على عرش أبيه حــكم محكمة الآلهة فى هليوبوليس .

وكنتيجة لهذه القصة أصبح حورس على مر العصور نموذجــا للابن البار ، بينما اعتبرت عينه التى فقدها اثناء الصراع رمزا لأى نوع من أنواع التضحية .

وفى الحقيقة لم تكن هناك صلة بين ديانة الشمس وديانة أوزيريس، سواء فى الأصل أو من ناحية التفكير اللاهوتى . فقد كان رع قبــل اى شىء آخر الها للأحياء ربما صحبه فئة من الأشخاص المحظوظين بعد الموت ، بينما كان أوزيريس الها للموتى يختص بالدار الآخرة ولكن اشترك هذان الالهان فى صفة على أكبر جانب من الأهمية ، فقد أعطيا مثلا الهيا الخلود بعد الموت . فبالرغم من أن ست قد اغتال أوزيريس فقد عادت الحياة الى هذا الأخير بسحر ايزيس ، وكذلك اعتبر اختفاء رع اليومى تحت الأفق الغربى موتاً له ثم يولد من جديد فى الصباح عند الشروق . ووجد المصرى القديم فيما مر على كل من هذين الالهين ما يجعله يأمل فى الخلود نفسه ، ولكن استمرار الحياة بعد مــوت الجسد لا يمكن قبوله كأمر طبيعى معقول ، ولا يمــكن أن يتحــقق الا بالقيام بطقوس خاصة وبامداد الميت بكل المساعدات المادية التى كانت تتطلبها الآلهة لاستمرار بقائه ، ومن هنا جاءت الحاجة لأن يكون للميت قبر ــ سواء أكان هرما أم غير ذلك ــ ويكون دفنه متفقا مــع جميع النقط الجوهرية حسب نظام متبع .

وبالرغم من تدقيق المصريين فى عصر بناة الأهــرام ، وعنــايتهم بالتفاصيل فى الأمور العملية ، الا انهم لم يكونوا لأنفسهم فكرة واضحة دقيقة عن الحياة بعد الموت . ونلاحظ محافظتهم الشديدة فى الفــن المصرى ، ولكنهم كانوا اكثر محافظة فيما يتعلق بالأمور الدينية ، فقــد استمرت بعض العناصر التى كان مسلما بها فى يوم ما جنبا الى جنب مع ما استجد بعد ذلك ، حتى ولو كان ذلك أمرا تافها من ناحية المنطق أولا يمكن تطبيقه فى بعض الأحيان .

ومثل هذا يجعل الذين يحللون الأمور فى ضوء التفكير الحــديث يحسون بأن قدماء المصريين كانوا قوما يبحثون فى الظلام عن مفتــاح

الحقيقة ، وأنهم لم يجدوا مفتاحا واحدا فحسب بل وجدوا عدة مفاتيح تشبه كلها النوع المناسب للقفل ، فاحتفظوا بها جميعاً لئلا يحـــدث لسبب من الأسباب أن يكون المفتاح الذى يتركونه هو المفتاح الصحيح.

وحتى فى العصور الموغلة فى القدم ، وقبل أن يكون لديانة أوزيريس أو ديانة الشمس أتباع كثيرون ، اعتقد المصريون أن الانسان مركب من الجسم والروح ، واعتقدوا أيضا أن الروح يمكن أن تبقى حيـــة بعد موت الجسد اذا حافظوا على الجسم وزودوه بما يحتاج اليه من القوت اللازم . ولسنا نعرف تماما المكان الذى كانت تعيش فيه الروح بعد الموت ، اذ ربما كانت تعيش فى مكان من العالم السفلى يمـــكن الوصول اليه عن طريق بئر المقبرة . وهذه الفكرة البسيطة عن الحياة بعد الموت وصلتها بالقبر والمحافظة على الجسم ظلت دائما صاحبـــة المكانة الأولى ولم تأخذ مكانها فكرة أخرى . الى أن جاء فى العصور المتأخرة الوقت الذى كانوا يضعون فى القبور كل ما يطرأ على الذهن من أدوات يمكن أن يستعملها الميت . فمقبـــرة تـــوت عنـــخ أمـــون (Tutankamon) وما حوت من أدوات فخمة شملت حتى العربات والملابس الملكية الحربية لم تكن الا مثلا من الاصرار على اتباع تلـــك الفكرة فى صورة مهذبة جداً بعد مضى أكثر من ألفى سنـــة على أول ظهورها .

وفى الوقت ذاته نمت نظرية تقدمية عن الحياة بعد الموت ، وهى ديانة أوزيريس . وقد أظهرت الاكتشافات الأثرية الحديثة أنه كان لتلك الديانة أتباعها منذ الأسرة الأولى على الأقل ، ولكن عدم ظهور اية وثيقة مكتوبة عن هذه العقائد والمذاهب يرجع تاريخها الى ذلك العصر — بل لم يصلنا عنها الا من العصور المتأخرة — جعل من الصعب معرفة تلك الديانة فى أصلها الأول . وحتى فى العصور المبكرة ربما اعتبر المصريون أن الحياة بعد الموت — حسب ديانة أوزيريس — ليست الا صورة مجسمة من الحياة فى الدنيا ، ولكنها كانت فى جهة تقع تحت الأفق الغربى ، وأن أوزيريس كان حاكما عليها . وهذا المكان الذى أطلـــق عليه المصريون اســم حقـــول القـــاب (Fields of Reeds) وعـــرف فيما بعد عند اليونـــانيين بحقول الفردوس Elyisan Fields مثلوه فيما بعد بمجموعة من الجزر يمكن الوصول اليها فى قارب سحرى حيث يستطيع أن يسكن فيها فى ربيع دائم أولئك الذين رضى عنهم الاله. ونظراً الى أن أوزيريس كان الها للخصب فانه يصبح أمراً طبيعيا أن

تنتج أرض مملكته محصولا خياليا من القمح النامى الى ارتفاع تسعة أذرع ، وكانت زراعة هذه المحاصيل هى العمل الذى يقضى فيه سكان الفردوس المحظوظون وقتهم وهو عملهم الرئيسى .

وأصبح لأبيدوس مركز ممتاز بين أتباع المذهب الأوزيرى ، وحلت محل ابو صير كمركز رئيسى لتلك الديانة ، وأقيمت بها معابد لهذا الاله تضارع أفخم المعابد التى بنيت فى أى جهة أخرى فى مصر . وبناء على ما جاء فى احدى الأساطير كانت أبيدوس (Abydos) هى المكان الذى عثرت فيه ايزيس على رأس أوزيريس وأنها دفنتها هناك ، وفى رواية أخرى أنها دفنت فيها الجسم كله ما عدا عضو التذكير .

وفى كل سنة كان يقام فى أبيدوس احتفال مؤثر تمثل بين برامجه تمثيلية دينية يمثلون فيها الحوادث الأساسية لحياة وموت أوزيريس ، وتشهد الآلاف من قطع الفخار الملقاة على الأرض بعدد القرابين التى تدمها قربانا لهذا الاله أولئك الذين كانوا يفدون الى تلك المدينة حاجين الى معبد أوزيريس . وكان من الصعب على المصرى القديم أن يتصور ، وهو يعتبر الحياة بعد الموت كمرآة للحياة الدنيا ، أن حادثا له تلك الأهمية الكبرى فى حياته الدنيوية — وهو الاحتفال السنوى فى أبيدوس — لا يكون له مثيل فى الحياة المقبلة . فلهذا نرى — ابتداء من نهاية الدولة القديمة — أن كثيراً من المقابر تحتوى على قوارب لكى تمكن أصحابها من أداء الرحلة الى أبيدوس . وما جاءت الدولة الوسطى — وربما قبل ذلك — حتى كان القادرون على دفع التكاليف يبنون مقبرة أخرى رمزية فى أبيدوس ، وبهذا تستطيع أرواحهم — اذا شاءت — أن تسكن بالقرب من أوزيريس وتساهم فى احتفاله السنوى . بينما يظلون عن طريق مقابرهم الحقيقية متصلين بمدنهم الأصلية ؛ فمثلا أمر سنوسرت الثالث (Senusert III) أعظم ملوك الدولة بأن ينحتوا له فى الصخر مقبرة رمزية فى أبيدوس ، بينما دفن جسمه فى هرمه بدهشور . أما هؤلاء الذين لم يستطيعوا بناء مقابر رمزية ، فكانوا يقيمون فى الغالب بالقرب من الهيكل الذى ينسبونه الى أوزيريس لوحة من الحجر نقش سطحها ، وعليها كتابة حسب الطراز المعروف لكى يضمنوا الخلود لأسمائهم فى حضرة الاله .

وفى كل الأمور التى تتعلق بالدين اعتمد المصريون اعتمادا كبيراً على القوة السحرية الكامنة فى الكلمة المكتوبة ، واعتقدوا أنه باستعمالهم الصيغ الصحيحة يستطيعون أن يملوا ارادتهم على الآلهة ، وان

للتعاويذ المنقوشة على جدران الحجرات والممرات فى أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة لتعد أحسن الأمثلة لهذا النوع من السحر فى عصر بناة الأهرام . وهناك مثل واضح كان يفعله معتنقو المذهب الأوزيرى ، وهو وضع اسم أوزيريس كلقب قبل اسم الميت ، وذلك ليجعلوا الميت يتحول فيصبح الاله نفسه . وتفسير هذا التأليه العام أنه ربما جاء امتدادا لامتياز خاص كان وقفا على الملك وحده ، ففى اثناء حياة الملك الدنيوية كانوا يعتقدون أن الاله حورس بن أوزيريس قد تجسد فيه ، ولهذا كان طبيعيا أن يصبح بعد وفاته مثل الاله أوزيريس ، وأن يكون ابنه الذى يتلوه على العرش هو الذى يتجسد فيه الاله حورس . وبمرور الزمن أصبح امتياز التحول الى أوزيريس شاملا لأفراد العائلة الملكة أولا ، ثم شمل نخبة منتقاة من الناس من دم غير ملكى ، وفى النهاية أصبح حقا يطالب به جميع الناس . ولا نستطيع حاليا أن نتتبع الدرجات المتعاقبة لهذه الديمقراطية فى العبادة الأوزيرية ، ولكن — قياسا على ما حدث فى الديانات الأخرى وبعض الطقوس الجنازية — يمكننا أن نستنتج ما حدث من تطور ونحن واثقون الى حد غير قليل .

وفى عبادة الشمس اعتبروا الحياة بعد الموت أنها كانت فى الاصل وقفا على الملك ، الا أن هذه الحياة بعد الموت لم تكن فى الغرب أو فى العالم السفلى ، وانما فى منطقة سماوية فى ناحية الشرق . ولكى يصل الميت اليها يتحتم عليه أن يعبر بحيرة تسمى « بحيرة الزنبق » (Lily Lake) امتدت من الأفق الشمالى الى الأفق الجنوبى ، وهناك مخلوق صارم يسمى « الناظر الى الخلف » وسمى بذلك لأنه كان يؤدى أعماله ناظرا الى الخلف،وكان هذا المخلوق يحمل الملك عبر البحيرة ولكن فقط بعد أن يقتنع بأن الملك قد أعطى الاذن بالدخول الى « الحقول التى ولدت فيها الآلهة وبها يفرح الآلهة فى أعياد السنة الجديدة » وذلك هو اسم الناحية الشرقية من السماء . ولكى يقتنع المعداوى كان على الملك ان يلتجىء الى عدد من الحيل المختلفة ، فمثلا يستطيع أن يقنعه بأنه أحضر لاله الشمس بعض الأشياء التى يحتاج اليها ، ويمكنه أن يدعى أن اله الشمس طلب منه أن ينجز له بعض الأعمال ، أو ربما يلجأ الى السحر ويأخذ معه جرة تحتوى على مادة تجعل المعداوى عاجزاً عن معارضة طلباته ، فاذا فشلت باقى الطرق يستطيع الملك أن يتوسل الى اله الشمس نفسه ليصدر أمره الى المعداوى لينقله الى الناحية الأخرى .

وبعد أن يعبر الملك البحيرة يقف على بوابة العالم الآخر . وكان المنادون يقفون على استعداد لاعلان خبر وصوله وتتجمع الآلهة في الحال لتحيته . وشرح نص من نصوص الأهرام ذلك المنظر في الكلمات الآتية : « وجد الملك بيبى هذا ، الآلهة وقوفاً ملتفين بملابسهم وأحذيتهم البيضاء في أرجلهم ، أنهم يلقون أحذيتهم البيضاء على الأرض ويرمون بملابسهم قائلين : لم يفرح قلب حتى مجيئك » (تعويذة رقم ٥١٨) .

كيف كان الملك يقضى وقته بعد السماح له بالدخول الى العالم الآخر ؟ ان النصوص المصرية غير متفقة في هذه النقطة . ففى نص من اقدم نصوص الأهرام يذكر أنه يصبح أمينا لسر اله الشمس ويصف واجباته كما يلى : « يجلس الملك أوناس وأمامه (رع) ، ويفتح الملك أوناس صندوقه (الذى به الأوراق) . ويكسر الملك أوناس أختام أوامره ، ويوقع الملك أوناس أوامره ، ويبعث الملك أوناس رسله الذين لا يعتريهم تعب ، ويفعل الملك أوناس ما يأمر به (رع) الملك أوناس » (تعويذة رقم ٣٠٩) . في حين أن نصوصا أخرى تمثل لنا الملك وهو يحكم بكل ما كان له من جلال عندما كان يعيش في الدنيا ، ويحيط رجال البلاط بعرشه ، بينما تسجد رعيته أمامه وتقبل الأرض عند قدميه ، ويجلس هو أحيانا للفصل في قضاياهم ، ويصدر الأوامر كما كان يفعل عندما كان يعيش في الدنيا .

وفى كل يوم يرافق الملك اله الشمس في رحلته عبر السماوات ، فأحيانا يوصف بأنه أحد المجدفين في السفينة ، فمثلا : « يتسلم الملك بيبى بنفسه مجدافه ، ويأخذ مجلسه ، ويجلس في مقدمة السفينة ، ويجدف برع (ليوصله) الى الغرب » (تعويذة رقم ٤٦٩) .

وفى مكان آخر نراه وقد رقى الى وظيفة قائد السفينة ، وأثناء الليل تجرى الرحلة في الاتجاه المضاد في العالم السفلى ، وتمنح بذلك نورها الى الأموات العاديين غير الخالدين الذين كان يظن انهم يقطنون هناك .

وعلى مر الأيام أصبح الملك الميت أكثر قربآ من اله الشمس ، الى أن أصبح في الأسرة السادسة هو اله الشمس نفسه . ففى نص من متون هرم تيتى (Teti) تبدو العلاقة في العبارة الآتية : « يارع .. انك تيتى .. وتيتى أنت .. وأنت تضىء كتيتى .. وتيتى يضىء

مثلك » (تعويذة رقم ٤٠٥) . وهناك ما هو أكثر من ذلك ، ففى نصوص الأهرام أيضا نراهم يوجهون القول الى الملك بيبى هكذا : «أنت تركب السفينة (سفينة الشمس) مثل رع . أنت تجلس على عرش رع ، لكى تستطيع أن تأمر الآلهة ، لأنك أنت رع الذى ولدته نـوت والتى تلد رع كل يوم » (تعويذة رقم ٦٠٦) .

ويتصل اتصالا وثيقا بمسألة موقع مكان الحياة الأخرى وماذا يفعله الناس فيها مسألة الصورة التى يكون عليها الملك حينما يدخلها. فكان الجسد عادة وفى كل العصور يوضع فى القبر أو قريباً منه ، بينما كان المصريون يعتقدون أن العنصر غير المادى يصبح عند الموت وحدة منفصلة تسمى « با » ، وكانت الـ « با » فى الكتابة الهيروغليفية فى العصور المبكرة تمثل ببجعة لها خصلة من الريش فى مقدم رقبتها . وبعد ذلك تغيرت هذه العلامة الى طائر له له رأس آدمى ملتح وأمامه مصباح . وربما كانت هذه العلامة الأخيرة تشير الى اعتقاد قديم بأن النجوم لم تكن الا عدداً كبيراً لا حصر له من الـ « با » مضاءة بمصابيحها . ومع أن الجسم والعناصر الروحية كانت هكذا منفصلـة ، الا أنهـا لا تزال تعتمد على بعضها البعض لأنه يشترط لبقاء الروح (BA) أن يبقى الجسد على حالة من الحفظ تمكنه من استقبالها . وهذا هـو سبب الاعتناء الفائق فى المحافظة على الجسد من أن يعتدى عليـه معتد أو يتحلل .

وهناك شىء آخر لعب دوراً هاماً فى حظ الملك ، الا وهو القرين (KA) . كان القرين يمثل أحيانا برمز على هيئة انسان ملتح يلبس تاجا مكونا من ذراعين مرفوعين الى أعلى ومثنيين عند المرفقين . وأحيانا أخرى بالذراعين على هذه الصورة بدون باقى الجسم . ويأتى القرين الى الوجود وقت ولادة الملك ويبقى معه بعد الموت . ونرى فى نقشين هامين أحدهما فى معبد الدير البحرى والثانى فى معبد الأقصر يرجع تاريخهما الى الأسرة الثامنة عشرة ، نرى الاله خنوم يخلق فى وقت واحد كلا من الطفل الملكى وقرينه بتشكيلهما على عجلة الفخار .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق ما هى طبيعة القرين . وقد قدم الباحثون أربعة تفسيرات مختلفة ، فاعتبره « جـاستون ماسبرو » (Gaston Maspero) أحد كبار الأثريين الفرنسيين كتوأم أو صورة مزدوجة لصاحبه مصنوعة من نفس مادته ومساوية له تماما . وظـن أدولف ارمان (Adolf Erman) أنه تجسيم لقوة الحياة وأنه ذلك

العنصر الخفى الذى يميز بين الحى والميت . واعتقد ج. هـ. برستيد (J. H. Breasted) أنه ليس الا قـوة حـافظة لصاحبها كفكـرة الملاك الحـارس لدى المسيحيين . ووجـد فيه كيس (Kees) تشخيصاً لتلك المزايا المجردة ، مثل القوة والنجاح والاحترام والفخامة التى كانت أساسية لاستمرار هذه الحياة التى نحياها على الأرض . وكل هذه التفسيرات الأربعة يمكن تبريرها فى مناسبات مختلفة ، ولكن لا يوجد واحد من بينها ينطبق على كل المناسبات فى جميع الحالات . وربما كان المصريون القدماء أنفسهم لم يلزموا دائما فكرة واحدة ثابتة عن القرين ، وانما سمحوا لأفكارهم أن تتعـدل حتى فى المسـائل الأساسية تبعاً لعقائدهم المختلفة عن تركيب الانسان .

ومهما تكن وظيفة القرين بالنسبة لصاحبه أثناء حياته ، فانه من المؤكد أنه كان يتوقع أن اشتراك القرين معـه فى الحيـاة الأخرى سوف يحقق له أحلى أمانيه فى الحياة بعد الموت .

ففى نصوص الأهرام نراهم يذكرون دائما الملك وقرينه معا ، وفى مملكة اله الشمس يعمل القرين أحيانا كدليل له ، بل يصل الأمر الى أن يقدمه الى الاله أو يمده بالطعام اللازم لبقائـه ، ونـراه أحيانـا فى القبر ، حيث يشاطر القرين ما فيه من مزايا مـع صـاحبه ، وفى الواقع كان أحد أسماء القبر عند قدماء المصريين « بيت القرين » ، وكان الكهنة المسئولون عن المحافظة عليه يسمون « خدمة القرين » . فلا عجب اذن اذا أشارت النصوص المصرية فى بعض الأحيـان الى الأموات بأنهم « الذين ذهبوا الى قرنائهم » ، لأن الاتحاد مع القرين كان عنصراً مهما فى الحياة السعيدة التى يتوقعون أن يحيوها فى العالم الآخـر .

الفصل الأول

« المصـــاطب »

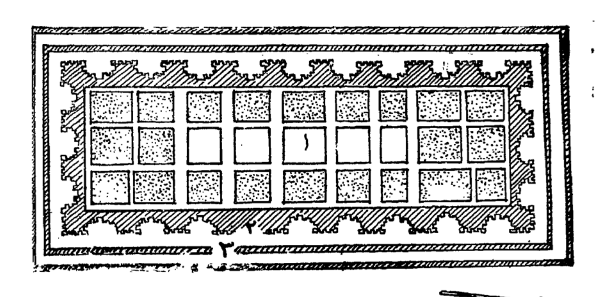
إن الجزء الأكبر من مجموعه الآثار المصرية القيمـــة الموجـــودة الآن فى متاحف مصر وأوربا وأمريكا حصلنا عليه من المقابر . وهـــذه حقيقة واقعة وتفسيرها بسيط ، فبينما نجد عدد المقابر من كل عصر تقريبا خلال الثلاثة الآلاف سنة من تاريخ عـــصر الأسرات المصريـــة وافراً كبير العدد ، اذا بنا لا نجد الا قليـــلا من المنـــازل التى كـــان يعيش الناس فيها ، وقليلا من المبانى التى كانوا يعملون فيها ما زال قائما الى الآن . حتى العواصم الكبيرة المهمـــة مثل منف وطيبـــة قـــد اختفت ولم تكد تترك أثراً منها . فلم يبق شىء من قصـــور هؤلاء الملوك الذين أصبحت أهرامهم من اوسع الآثار شهرة فى العـــالم ، بل اننا لا نعرف على وجه التحديد أين أقيمت هـــذه القصـــور ، هل كانت فى منف نفسها أم فى مكان آخر قريب من مناطـــق الأهرام الحالية ؟ ومثل هذا الاختفـــاء الكامل لا يمكن أن يحـــدث الا بسبب طبيعة المواد والطريقة التى استعملت فى البناء . فمن المؤكد أن المنازل والقصور كانت دون ريب تبنى من الطوب اللبن والخشب والجبس ، بل وأدهى من ذلـــك أنها كانت تبنى فـــوق سطح الأرض . بينما يقع جزء من المقابر تحت الأرض ، وكان ما يعلو منها فوق سطـــح الأرض — بعد الأسرات الأولى — يبنى عادة من الحجر . ومع أن عدد ما تبقى منها حتى يومنا هذا كبير جداً ، الا أنه ليس الا جزءاً مما بنى أصلا ، لأن الأجيال المتعاقبة التى سكنت مصر كانت تأخذ الأحجار من مبانى أجدادهم عندما كانوا يبنون ما يحتاجون اليه .

وربما يبدو غريبا فى بلد يمكن فيه الحصول على كميات كبيرة من أصناف الحجر الجيد أن يقضى الملوك والطبقة الحاكمة أعمارهم فى بناء مقابرهم من مواد رديئة . ولكن المصرى القديم كانت له وجهة نظر مختلفة . فمنزله أو قصره كان يبنى ليظل عددا محدودا من السنين يمكن بعدها أن يحدده أو يبنى غيره مكانه اذا لزم الأمر ، ولكن قبره الذى

يطلق عليه اسم « حصن الخلود » كان يصمم على أساس أنه سيبقى الى الأبد . وكان شيئاً عاديا طبيعيا أن ينتهى من بنائه أثناء حياته ، ويحدث أحياناً أن يموت صاحب القبر قبل أن يتمه ، وفى مثل تلك الحالة يتعدل أحياناً التصميم الأصلى للبناء لينتهوا منه على وجه السرعة ، اما ليدفن فيه فى أقرب وقت دون تأخير ، واما لأن أقاربه يريدون أن يوفروا على أنفسهم التكاليف اللازمة اذا واصلوا العمل فيه . كما أنه من المحتمل أيضا أنه اذا طالت حياة الشخص فرأى قبره يسير قدماً نحو الانتهاء ، فربما وسع فيه ليزود نفسه بمكان أكبر وأرحب مما كان يريد تشييده فى الأصل .

وكان الباعث الذى دفع المصرى القديم على أن يصرف هذا المجهود الضخم فى بناء قبره ، هو اعتقاده بأن الوصول الى الحياة التى يتمناها فى العالم الآخر يتوقف على تحقيق غرضين أساسيين : أولهما ضرورة حفظ جسمه من التلف أو التحطم ، وثانيهما ضرورة حصوله هو وقرينه على ما يحتاجان اليه من أشياء مادية . وظل هذا الباعث لا يتغير طوال أيام التاريخ المصرى ، وكثيرا ما كانت تطرأ تغييرات فى شكل القبر ، وكان ذلك راجعا الى نتيجة الخبرة أو الى تطورات دينية جديدة ، ولكن الغرض الأساسى من القبر ظل كما هو لم يعتوره تغيير .

وفى عصر ما قبل الأسرات كان الموتى يدفنون فى حفرة مستطيلة أو بيضية الشكل حفرت فى الرمل . وكان الجسم الملحد على جانبه فى هيئة مقرفصة يلف فى حصير من البوص ، ويوضع حوله قليل من ممتلكات صاحبه الشخصية ، مثل العقود والأساور وأدوات الصيد والأوانى التى تحوى الطعام والشراب . وكانت جوانب هذه القبور فى كثير من الأحيان تغطى بألواح من الخشب تربط الى بعضها من الأركان بسيور من الجلد ، فيتكون منه ما يشبه التابوت حول الجسد . ولم تحفظ لنا الأيام مثالا من الأبنية التى كانت فوق ارض ، ولكنها على اى حال لم تزد على الأرجح عن كومة من الرمال يدعم جوانبها افريز من الخشب . وكان الرمل معرضا على ممر الزمن الى أن يتطاير فى الهواء ، فينتج من جراء ذلك أن يتعرى الجسم وما معه ، فاذا لم يبادروا بدفنه ثانية فانه يتعرض حتما للفناء . وبدون شك علمت التجارب أحفاد هؤلاء المصريين السابقين أن قليلا من الأجساد اذا تعرت مرة يصبح من غير المتوقع أن يعاد دفنها .



شكل (٢) مصطبة الملك عحا بسقارة

وابتداء من عصر الأسرات تغلب الملوك والنبلاء على ما عساه أن يصيب قبورهم من تحطيم بسبب عناصر الطبيعة ، وذلك باقامة بناء فوق حفرة الدفن ، وكان هذا البناء من الطوب اللبن المجفف فى الشمس. وأصبح هذا النوع من المقابر معروفا فى العصور الحديثة تحت اسم « مصطبة » ، وهى كلمة عربية معناها مقعد طويل ، وسميت كذلك لأنها — حينما تغمر بالرمل الى ما يقرب من أعلاها — تشبه المقعد الواطىء المبنى خارج بعض البيوت المصرية الحديثة والذى يجلس عليه صاحب الدار مع أصدقائه ليشربوا القهوة .

ومن بين اقدم المصاطب المعروفة من العصر العتيق تلك التى كشف عنها بسقارة و. ب. امرى والتى يظهر أنها كانت قبر الفرعون عحا (Aha) الملك الثانى لمصر العليا والسفلى . ويتكون هذا المدفن من حفرة مستطيلة قليلة الغور سقفت بالخشب وقسمت الى خمسة أقسام منفصلة بحوائط فاصلة . وربما احتوى القسم الأوسط (شكل ٢ ، ١) جسم الملك داخل تابوت خشبى ، بينما وضعت بعض أدواته الخاصة فى الحجرات المحيطة بذلك القسم . وعلى أى حال فان هذا المدفن ليس الا صورة مكبرة لمدافن عصر ما قبل الأسرات . وكان يعلو هذه الحجرات ويغطى مساحة لا بأس بها ، بناء من الطوب اللبن قسم داخله الى سبع وعشرين حجرة صغيرة خصصت لخزن أوانى الخمر وصحاف الطعام وأدوات الصيد وحاجيات الحياة الأخرى ، وبنيت الأوجه الخارجية لجدران هذا البناء الذى يميل الى الداخل ، من أسفل الى أعلى ، على هيئة مجموعة من الدخلات العميقة تسعة منها على كل جانب وثلاثة منها فى كل طرف (شكل ٢ ، ٢) .

أما شكل السقف فعلينا أن نتخيله ، لأنه لم يعثر حتى الآن على مصطبة من هذا العصر لها سقف محفوظ فى مكانه ، ولكنه يحتمل أنه كان منحنيا أو مستقيما . ويحيط بهذا البناء سوران خارجيان يتصل بينهما طريق مرصوف بالطين . وربما كان بين السور الداخلى والواجهة الشرقية للمصطبة مكان لتقديم القرابين ، حيث يستطيع الأقارب أن يضعوا عليه ما يحضرونه من الأطعمة الطازجة لصاحب المقبرة ، كما لطسوا البناء العلوى والأسوار الخارجية بطبقة من الجير كانت بعض أجزائها مزينة برسوم ملونة .

وكانت المصطبة من هذا النوع صورة طبق الأصل من المنازل المعاصرة لها ، أى أنهم اعتبروا القبر المكان الذى يسكنه الميت . ولا شك

أن الحجرات الصغيرة كانت حسب ما يحتاجه المدفن ، ولكنها تمثل حجرات المنزل المختلفة. أما الردهات التى قد تضعف متانة البناء فلم يكن لوجودها ضرورة ، لأن روح الميت كانت تستطيع أن تخترق الحواجز المادية دون عائق .

وما جاء عصر الأسرتين الثانية والثالثة حتى كان الجزء العلوى من المصاطب قد أصبح كتلة صلبة من الرديم كسيت من الخارج بطبقة من الطوب ، ولكنها مازالت تحتفظ بمظهرها الخارجى على شكل منزل . ونقص عدد الدخلات فى الحوائط الى اثنتين : واحدة بالقرب من كل من طرفي الحائط الشرقى . ثم تحولت الجنوبية منهما الى حجرة للقرابين ، فأحيانا نجدها داخلة فى نفس البناء العلوى للمصطبة . وأحيانا أخرى تبنى خارج هذا البناء وكان يوجد فى الجدار الغربى لهذه الحجرة — التى كان يطلق عليها حجرة القرابين — جزء غائر فى الجدار ، استخدموه كباب وهمى كانت تستخدمه الروح عندما تترك القبر أو تعود اليه كما تشاء . اما البناء السفلى للمصطبة فقد زاد حجما واهمية وأصبح يحتوى غالبا على ردهة وسطى تتفرع منها عدة غرف جانبية كان الغرض منها حفظ الأشياء التى كانت توضع من قبل فى البناء العلوى . ومن بين هذه الحجرات السفلية التى كانت تنحت فى الصخر نرى حجرة صغيرة لاستخدامها كمرحاض (رمزى) . ونصل الى الردهة من باب يفتح من الجنوب فى أسفل بئر عمودية عميقة تبدأ من سطح الأرض ، ويتصل بالبئر عدد من درجات سلم أو منزلق يبدأ من طرف المصطبة الشمالى ، ويلتقى به عند نقطة ترتفع عن قاعه بعدة أقدام . وعن طريق هذا المنزلق أو هذا السلم يدخل الجسد وبعض الأشياء الشخصية المهمة الى القبر ، وبعد أن يوضع كل شىء داخل القبر ، ينزلون سقاطة حجرية **Portcullis** وهى عبارة عن لوح سميك ثقيل من الحجر تحمل فوق دعامات ، وتنزل هذه السقاطة عمودية داخل خدتين داخلتين على جانبى الباب . وعند ذلك يملأ البئر والسلم الموصل اليه بالحصى أو الرديم ، ويغطى من الخارج بطبقة من الطوب اللبن ليختفى كل أثر يدل عليهما .

وأما السبب فى نقل حجرات المخازن من البناء العلوى الى البناء السفلى بالمصطبة ، فيرجع الى ما استلزمته ضرورة التفكير فى حماية الجسم وما يدفن معه .

واتفق البدء فى ادخال نظام المصطبة مع الزيادة الملحوظة فى العناية بتأثيث القبر ، فزاد فى الوقت ذاته تعرضه للنهب . وحينما كان هذا الأثاث يوضع فى بناء فوق سطح الأرض أو فى حفرة قليلة العمق تقع تحت الجزء الأوسط من البناء ، فان لصوص المقابر لم يجدوا صعوبة كبرى فى الوصول الى مقصدهم . ولكن المرافق العميقة تجعل مهمة السارق عسيرة وتعيقه . ولكنها فى الوقت ذاته تزيد من المصاعب الملقاة على عاتق من يبنى المقبرة ، ولذلك فقد استلزمت هذه الزيادة فى العمق تقليلا فى مساحة المخازن وتبسيطا فى التصميم .

ظل الكثير من مصاطب الأسرة الرابعة يبنى من الطوب اللبن ، ولكن استعمال الحجر الذى كان مقصوراً من قبل على آثار الملوك كان له الأثر الأكبر فى تطور بناء المقابر فى ذلك العصر ، حتى المصاطب التى بنيت باللبن كانت حجرة القرابين والحجرات السفلية فيها تكسى جدرانها غالبا بالحجر . واستخدموا فى هذه الأغراض احجاراً من أجود أنواع الحجر الجيرى المقطوع من جبال المقطم عند طرة ، واستعملوا أيضا هذا النوع من الحجر الجيرى فى تغطية جوانب المصاطب المبنية بالحجر ، بينما أقيم البناء الداخلى للمصطبة من نوع ردىء من الحجر المأخوذ من المحاجر القريبة .

وفى المبانى السفلية لمصاطب الأسرة الرابعة ، سواء المبنى منها باللبن أو الحجر ، نرى عدة ظواهر جديدة . وكان لكل من هذين النوعين من المصاطب دخلة عميقة فى أحد جدرانها خصصت لوضع تابوت من الخشب أو الحجر . وفى الزاوية الجنوبية الشرقية لهذه الحجرة احتوت المصاطب المشيدة من الحجر على حفرة لا نعرف على وجه التحقيق الغرض من وجودها ، ولكن من المحتمل أنها كانت تحفظ بها الأحشاء التى تستخرج من جسم الميت لتساعد على بقائه . وبعد الدفن يسد مدخل هذه الحجرة بسقاطة ثقيلة من الحجر الجيرى ويملأ بعد ذلك البئر العمودى الموصل الى سطح البناء العلوى بالرديم وتقفل فتحته بغطاء محكم من الحجر . أما المنزلق الواصل الى هذا البئر ، والذى نراه عادة فى مصاطب الأسرتين الثانية والثالثة ، فقد استغنى عنه فى المصاطب الحجرية ، ولكنهم ظلوا محتفظين به فى المصاطب المبنية بالطوب .

واحتوت المبانى العلوية لمصاطب الأسرة الرابعة فى بعض الحالات على تجديدين واضحين لم يعم استعمالهما الا فى عصر الأسرة الخامسة . وكانت الظاهرة الأولى هى وجود تمثال لصاحب القبر مصحوب أحيانا

بتماثيل لأعضاء آخرين من أسرته ، أما الثانية فهى تزيين الجدران الحجرية لحجرات القرابين بمناظر نقشت بالبارز ولونوها بعد ذلك . وكانت التماثيل توضع داخل حجره فى داخل بناء المصطبة ، ونطلق عليها الآن اسم السرداب (Serdab) . وهى كلمه عربية تعنى مبنى تحت الأرض . وسمى السرداب بذلك لأنه لم يحتو على ابواب ولا نوافذ ولا أى نوع من الفتحات سوى ثقب أو فتحه ضيقة فى أحد جدرانه فى مستوى وجه التمثال تقريبا ولم يكن ينفذ الى داخله أى ضوء . وفى بعض المصاطب الحجرية فى منطقة الجيزة وضعوا بدلا من السرداب والتمثال رأساً للميت مصنوعا من الحجر الجيرى . وكانت هذه الرأس توضع فوق بعض الأحجار خلف السقاطة عند مدخل حجرة الدفن .

ولم يكن تزيين حجرات القرابين الا بداية لعدد من التطورات ، ففى الأسرتين الخامسة والسادسة أصبح فى المبنى العلوى للمقبرة حجرات وأبهاء ذات أعمدة غطيت جدرانها جميعها بنقوش بارزة . ونعرف مثلا أن احدى المصاطب الشهيرة فى الأسرة السادسة حوت ثلاثين حجرة نقشت جدرانها ، وكان من بين المناظر المألوفة المنقوشة على الجدران تلك التى تصور الخدم وهم يحملون القرابين من الطعام والشراب الى سيدهم الذى مات ، كما نرى مناظر الحصاد ومختلف الأعمال ، وتفقد صاحب المقبرة لضياعه أو خروجه للصيد ، الى جانب مناظر أخرى متعددة الأغراض ولكنها متصلة اتصالا وثيقاً بعمله أثناء حياته .

وكانت أهم التطورات التى أدخلت على المصطبة — ابتداء من الأسرة الرابعة — بعد أن أدرك المصريون أن الوسائل التى اتبعت للتغلب على العناصر الجوية ولصوص المقابر لم تحقق الهدف الرئيسى لها وهو المحافظة على الجسم . فقد كانت النتيجة الحتمية لدفن الجثة فى حجرة عميقة بعيدة عن الجفاف الناتج من سخونة الرمل هو تحلل هذه الجثة ، ما لم يلجأوا الى بعض وسائل التحنيط ، وما من شك فى أنهم قاموا بتجارب عديدة لحفظ الجسد ، ولكنهم لم يكتشفوا طريقة تحنيط فعالة الا فى العصور التالية .

ويلجأ الناس الى السحر عندما تفشل الوسائل المادية . فقد كان من معتقدات المصريين المتعلقة بالموتى أنه يمكنهم عمل نموذج من أى شىء ليكون بديلا عما لم يقدموه للميت ، دون أن يكون فى ذلك حرمان للميت من الحصول على الفوائد التى كان يرجوها من الشىء الأصلى نفسه . ففى بعض مصاطب الأسرة الثانية مثلا نرى أنهم كانوا يضعون

نماذج تشبه الأوانى بدلا من الأوانى المملوءة بالأطعمة ، وكانوا يعتقدون أنهـا كانت تؤدى نفس الفـائدة لصاحب القبر . وكذلـك كـانوا يعتقدون أن التمثال — أو حتى الرسم المنقوش على الجدار — يستطيع أن يكون بديلا من الجثة فى حالة فنائها . وفى احدى المصاطب الشهيرة من عصر الأسرة الثالثة — وهى مقبرة موظف كبيرة يسمى حسى رع (Hasy-Ra) — نراهم قد وضعوا لوحات خشبية مزينة بنقوش بارزة وركبت فى الدخـلات الواقعـة فى الواجهـة الشرقية لجدار البناء العلوى فى المصطبة . وكان القصد من هذه الصور أن تمكن حسى. رع من مغادرة القبر والعودة اليه . الا أن هذا النوع من الألواح كـان معرضا للضياع . بينما ضمن تصميم السرداب أن يحفظ التمثال دون أن يؤثر فى قوته الفعالة ، كما حصلوا على ضمان أقوى عندما استخدموا التماثيل المصنوعة من الحجر بدلا من التماثيل الخشبية .

وما أن أقر المصريون مبدأ الاستعاضة عن الشىء الأصلى بصورته حتى بدأوا خطوة أخرى ، فجعلوا هذا المبدأ لا ينطبق على الأشيـاء الشخصية مثل أوعية الطعام والتماثيل فحسب ، بل ينطبق أيضا على المناظر التى تتناول بعض نواحى حياة صاحب القبر التى أراد أن يتمتع بها فى الحياة الأخرى .

فالمناظر التى تمثله وهو يصطاد الحيوانات والطيور أو يتفـقد ضياعه كانت تمده بالوسائل التى تمكنه من الاستمرار فى مباشر هذه الأعمال بعد موته ، كما أن مناظر الحصاد وذبح الحيوانات وصنع الجعة والخبيز كانت تضمن له مؤونة دائمة مما تنتجه .

ولكى يتفادوا أى مخاطرة فى أن تضـل روح الميت فى التعـرف على تمثاله ، فانهم كانوا يكتبون على التمثال عـادة اسمه وألقـابه بالهيروغليفية ، كما كانوا يكتبون جملا قصيرة على المناظر المنقوشـة على الجدران لتوضيح الغرض منها . وكثيرا ما نرى عليهـا أسـماء الأشخاص المرسومين ، واحيانا ما توضح الكتابة الأعمال التى يقومون بها . وكان هؤلاء الأشخاص فى اغلب الأحيان أقرباء الميت أو خدمه ، وكانوا يضمنون بذلك الحياة بعد الموت واستمرارهم فى خدمة سيدهم .

وبالرغم من كل التدابير المختلفة التى اتخذت لمد صاحب القبر بما يحتاجه بوضعه معه فى القبر ، فانهم كانوا يعتقدون أيضا أن انتظام

تقديم الأطعمة الطازجة أمر ضرورى لضمان سعادة الميت ، ولهذا كانوا يضعونها على مائدة مسطحة واطئة أمام الباب الوهمى الذى يبنى فى الحائط الغربى لحجرة القرابين التى كانوا يبنونها فى الجهة الشرقية من البناء العلوى للمصطبة . وربما نتج هذا من تشييد المصاطب فى بقعة مرتفعة من الصحراء غرب النيل ، ولذلك عندما كان يطل الميت من الباب الوهمى يرى أمامه الوادى الذى كانت تأتيه منه القرابين .

ومن الممكن أن القرابين الأولى كان يقدمها الابن — الذى كان بتقديمه ما يحتاج اليه والده المتوفى يمثل حورس بن أوزيرس — أما ما يتلو ذلك من قرابين فانه كان من شأن كهنة الموتى ، الذين كانوا يكلفون بهذه الخدمات بعقود مكتوبة ويأخذون أجراً على عملهم ، وكانت تلك الأجور تدفع أرضا يوصى بها المتوفى للكهنة . ولنضرب لذلك مثلا بأحد أولاد الملك خفرع بانى هرم الجيزة الثانى الذى أوصى باثنتى عشرة مدينة على الأقل لتكون وقفا جنازيا لهذا الغرض ، وتصبح هذه الأراضى ملكا للكهنة تنتقل بعدهم الى ورثتهم الذين يرثون أيضا كل الالتزامات التى عليهم نحو العناية بالقبر . وقد علمتهم التجارب أن أشد العقود لا يستمر العمل بها الا لمدة محدودة ، ولذلك وضعوا ما يسمى اللوحة الجنازية فى القبر منذ العصور المبكرة ، لتقوم مقام القرابين الفعلية . وتحتوى هذه اللوحة على صيغة سحرية معلنة أن المتوفى قد تسلم القرابين اليومية بكمية وافرة ، وفوق هذه الصيغة كانوا يرسمون فى أغلب الحالات منظراً يمثل صاحب القبر جالساً الى مائدة كدست فوقها القرابين التى قدمها اليه أفراد أسرته . وهم اذ يفعلون ذلك لم يقصدوا الاستغناء عن تقديم الأطعمة الطازجة ، ولكنهم اعتقدوا أن اللوحة تمد المتوفى بما يؤكد له بطريقة عظيمة الجدوى أنه لن يتعرض للجوع أو الاهمال ، وذلك بما كان للكلمات المسطرة على اللوحة من قوة سحرية .

ومهما بدت لنا فكرة المصرى القديم عن الحياة بعد الموت بدائية ومادية ، الا أنه يجب أن نسلم بأنها كانت سببا فى انتاج عدد من أحسن ما أخرجه العالم القديم من أعمال فنية . فلولا الحافز الذى جاء نتيجة لدافع عملى ، فاننا نشك أنهم كانوا يصنعون جزءاً ولو قليلا من العدد الكبير من التماثيل والنقوش والكتابات التى صنعوها والتى أجمع الناس على الاعجاب بها .

الفصـــــل الثانى

الهــرم المــدرج

كان الملوك والنبلاء — الى نهاية العصر العتيق — يدفنون على الارجح فى مقــابر بنيت من اللبن ، الا أنه فى الأسرة الثالثة توســع الملوك فى استخــدام الحجــر الذى لم يكن يستخــدم قبــل ذلــك الا فى مواضع متفرقـــة من المبانى . والى ايمحوتب (Imhotep) معمارى الفرعون زوسر (Zoser) يعزى دائما بناء أول مقبرة مشيدة بالحجر . وأصبح اسمه أسطورة تروى فى الأجيال المتعاقبة عنــد المصريين الذين لم يعتبروه معماريا فحسب ، بل ساحرا وفلكيا ، وأبا علم الطب أيضا . وفى العصر الصاوى ألهه المصريون وقالوا انه ابن بتــاح (Ptah) ، بينما وحده اليونانيون مع اله الطب عندهم المسمى اسكليبيوس (Asklipios) .

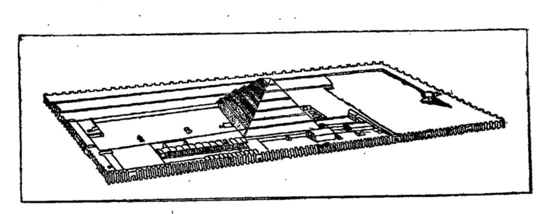
والموقع الذى اختاره ايمحوتب لبناء ذلك المدفن ليس الا جزءاً من منطقة مرتفعة عند سقارة ، تطل على مدينة منف وتشغل مساحة طولها ٥٩٧ ياردة من الشمال الى الجنوب ، وعرضها ٣٠٤ ياردة من الشرق الى الغرب ، وعلى مسافة قريبة من شمالها تقع جبانة الأسرتين الأولى والثانية بمصاطبها العظيمة التى تضم مصطبة عحا (Aha) وربما أثبتت الحفائر المقبلة أنها تحوى مقابر من سبقوا زوسر أيضاً . ولم يدفن زوسر فى مصطبة مثل من سبقوه ، بل دفن تحت بناء كبير يطلق عليه الآن اسم الهرم المدرج (لوحة رقم ٢) .

وكان هذا البناء هو أعظم المجموعة من المبانى الحجرية التى حوله ومركزها الرئيسى ، وكانت تلك الأبنية وما حولها من أبهاء واسعــة مخصصة لاقامة الطقوس الدينية المتعلقة بالحياة الأخرى لهذا الملك (شكل ٣) ، وأقيم حول هذه المجموعة من المبانى ســور ضخــم ، واستخدموا الحجر الجيرى المقطوع من محاجر طره لكساء الســطح

الخارجى لتلك المبانى ، أما قلب المبانى نفسها مكان مكسواً من أحجار المنطقة نفسها .

ومع أن معظم الأجزاء الواقعة تحت سطح الأرض من الهرم المدرج قد فحصت أثناء القرن التاسع عشر ، فلم يعرف أحد حتى العشرين سنة الأخيرة شيئا عن المبانى المحيطة به ، وقد أحال الزمن والهدم المتعمد تلك المبانى — ما عدا الهرم نفسه — الى أكوام من الخرائب تعلوها طبقة سميكة من الرمال . وقد قامت مصلحة الآثار المصرية بحفائر علمية منظمة أتبعتها بترميم دقيق . وكلفت بذلك س. م. فيرث C. M. Firth وج. ا. كويبل J. E. Quibell وج. ب. لوير J. P. Lauer فكان من نتيجة تلك الحفائر أنه أصبح فى استطاعتنا معرفة شكل تلك المجموعة كلها أيام دفن الملك زوسر .

كان شكل الهرم المدرج عندما تم بناؤه عبارة عن كتلة من البناء ترتفع فى ست طبقات غير متساوية فى الحجم الى علو ٢٠٤ أقدام .

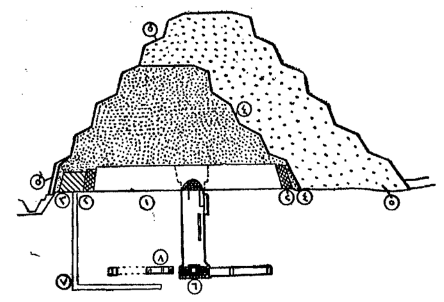


شكل (٣) السور الخارجى حول الهرم المدرج

وكانت أطوال قاعدته ٤١١ قدما تقريبا من الشرق الى الغرب ،و٣٥٨ قدما من الشمال الى الجنوب ، الا أنه قبل أن يستقر الرأى على هذه الأبعاد حدثت عدة تغييرات فى تصميم البناء .

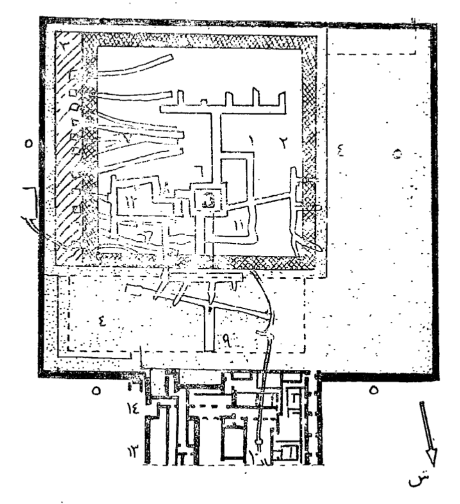
ويمكننا بسهولة مشاهدة بعض تلك التغييرات ، أما الباقى فقد أمكن تصوره ولا يمكن اثباته بدون هدم جـزء كبير من بنـاء الهـرم نفســه . وتظهر التغييرات التى أمكن اثباتها فى الأجزاء المتهدمة من الأثر ، اذ كانت مغطاة بطبقات من الأحجار زالت الآن وأصبح ما تحتها ظاهرا للعيان . وهى حالة من الحالات التى تكررت فى علم الآثار ، حيث زادت معلوماتنا العلمية على حساب خسارتنا الفنية .

وقـد أقـام زوسر فى أول الأمـر مصـطبة بنيت من أحجـار المنطقة وكسيت من الخارج بطبقة من الحجر الجيرى الذى جـاءوا به من طره (شكل ٤ ، ٥ ـــ ١) . ويظهر أن هذه المصطبة ـــ التى كان ارتفاعها ٢٦ قدما والتى بنيت على مساحة مربعة ويواجه كل جانب منها تقريبا احدى الجهات الأصلية الأربع ويبلغ طوله ٢٠٧ أقدام ـــ كانت فريدة فى تصميمها . وبعد اتمامها زيدت جوانبها الأربعة بمقدار ١٥ قدما تقريبا ثم غطيت ثانية بعد ذلك بكساء من الحجر الجـيرى (شكل ٤ ، ٥ ـــ ٢) وكان ارتفاع هذه الزيادة أقـل من ارتفـاع المصطبة الأصلى بمقدار قدمين تقريبا ، وبذا تكونت مصطبة مدرجـة (شكل ٤ ـــ ٢) . وأضيفت زيادة ثالثة ، حوالى ٢٨ قدما من الجانب الشرقى ، جعلت القبر مستطيلا محوره الأطول من الشرق الى الغرب (شكل ٤ ، ٥ ـــ ٣) .



شكل (٤) : الهرم المدرج · قطاع فى اتجاه الناحية الجنوبية

وقبل تغطية الزيادة الثالثة بكساء ، غيروا تصميم البناء كله وأصبحت المصطبة التى زيدت من كل جانب ٥ر٩ قدم هى الدرجة السفلية لهرم ذى أربع درجات (شكل ٤ ، ٥ — ٤) . وبدىء فى بناء معبد جنازى من الناحية الشمالية ، ولكن قبل أن يتم أى بناء منها قرروا أن يزيدوا بناء الهرم نحو الشمال والغرب (شكل ٤ ، ٥ — ٥) . ولو نفذت هذه الزيادة لزاد ارتفاع الهرم ، ولزيد عدد الدرجات الى ست، ولكنهم أوقفوا التنفيذ عند مستوى الدرجة الرابعة . والتغيير السادس والأخير فى تصميم الهرم المدرج كان عندما أضافوا شيئا قليلا الى كل جانب من الجوانب الأربعة وأتموا الدرجات الست وكسوا البناء كله بطبقة نهائية من حجر طرة الجيرى (شكل ٤ ، ٥ — ٥ أ) .



شكل (٥) الهرم المدرج : الأبنية الواقعة تحت سطح الأرض مسقط أفقى

ويتكون البناء السفلى للهرم المدرج من بئر عميق يفضى الى عدد كبير من الممرات والحجرات ، جعلت منها مدفنا لا مثيل له بين الأهرام الأخرى التى من عهد الدولة القديمة ، لأن بعض هذه الأجزاء السفلية لم يكن قد تم بناؤه ، فليس من الميسور ان يعرف أيها كان من تصميم عهد زوسر وأيها أضيف فيما بعد أثناء البحث والتنقيب عن الكنوز . الا أنه يمكن تحديد مدفن زوسر ومراحل البناء المتعاقبة بكل اطمئنان (شكل ٥) . فقد حفروا بئرا مساحتها ٢٣ قدما مربعا تقريبا وتصل الى عمق ٢٨ قدما فى باطن طبقة الحجر الجيرى ، ثم حفروا نفقا مسقفا على عمق ٢٣ قدما تحت سطح ارض يبدأ من هذه البئر الى مسافة ٦٦ قدما تقريبا ، وعند هذه النقطة — أى بعد اجتياز الحد الشمالى للمصطبة التى قصد زوسر فى ذلك الوقت بناءها — يستمر النفق مسافة ٧٠ قدما أخرى على هيئة خندق مفتوح تنحدر أرضيته الى أعلى حتى تصل الى مستوى الأرضية (شكل ٥ — ٩) . ثم عادوا يحفرون فى البئر حتى وصل الى عمق ٩٢ قدما (شكل ٥ — ٦). وترتب على تعميق البئر أن انخفضت أرضية الخندق حتى أصبحت منزلقا ينحدر تدريجا اليها . ولكنهم لم يخفضوا الأرضية الى آخر مستوى عمق البئر ، بل الى نقطة تبلغ نحو ٤٠ قدما فوق قاعدته فقط .

وقد كان تصميم البئر والمنزلق فى الجزء السفلى للهرم المدرج شبيها بما كان متبعا فى المصاطب الخاصة فى ذلك العصر . ولكننا نجد فى المصاطب باباً عند قاع البئر يفضى الى ردهة أحيطت بعدد من الحجرات تحوى واحدة منها الجسد ، ولكن حجرة الدفن فى الهرم المدرج أصبحت هى الجزء المركزى فى ترتيب الحجرات ، فقد بنيت كلها من حجر الجرانيت الوردى المجلوب من أسوان ، وتقع فى قاع البئر (شكل ٤ ، ٥ — ٦) .

وفى طرفها الشمالى ثقبوا فتحة فى أحد أحجار السقف لينزلوا منها الجثة عند الدفن . وبعد أن وضعوا الجثة فى الحفرة سدوا هذه الفتحة بسدادة من حجر الجرانيت ارتفاعها ست أقدام تقريبا وتزن حوالى ثلاثة أطنان على وجه التقريب ، وفوق حجرة الدفن هذه كانت توجد حجرة يصلون اليها من المنزلق بواسطة باب وضعوا فيها السدادة الجرانيتية حتى جاء وقت وضعها فى مكانها . ولم يبق لهذه الغرفة من أثر الآن ، ولكنها ربما كانت مبنية من كتل من الحجر الجيرى ، ومن المرجح ان سقفها كان يتداخل كلما ارتفع (Corbelled) وكان متينا

الى درجة استطاع معها أن يتحمل ثقـل وزن الرديم الذى ملىء به باقى البئر .

وعلى بعد ٧٠ قدما تقريبا من حجرة الدفن وموازيا لجـوانبهـا قدت فى الصخر أربعة ممرات طويلة . وتوجد بضع درجـات مـن السلالم تبدأ من أبواب فى الجدارين الشرقى والغربى للمنزلق مؤدية الى توصل ممرات هذه الردهات ببعضها (شكل ٥ — ١١) . ولم يتم انجاز بعض هذه الردهات والممرات ، ولكنه من المرجـح أنهـم كـانوا ينوون تغطية كثير من جدرانها بألواح صغيرة من الفيانس بطريقـة تجعلها تشابه الحصر المصنوعة من نبات القصب المائى التى كانت تغطى جدران قصر زوسر ، وقد عثر على ألواح الفيانس (*) من هـذا النوع فى الممر الشرقى (شكل ٥ — ١٢) التى كشف عنها فى سنة ١٩٢٨ ، وكذلك فى حجرتين قريبتين من الزاوية الجنوبية الشرقيـة لحجـرة الدفن (شكل ٤ ، ٥ — ٨) . وبين لوحات الفيانس على الحائط الغربى من الممر الشرقى وضعوا نقوشا بارزة على الحجر الجيرى تمثل الملك وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية (لوحة ٣ أ) . وحـول الحافات الخارجية للدخلات التى رسمت داخلها هذه المناظر كتب اسم الملـك والقابه . وتوجد كتابات مماثلة على جانبى الباب الذى يفصل بين الحجرتين المكسوتين بالفيانس الأزرق بالقرب من الزاويـة الجنوبيـة الشرقية لحجرة الدفن ، وقد نقل عالم الآثار الألمانى ريتشارد ليبسيوس Richard Lepsuis الباب وبعض الفيانس الى متحف برلين فى عام ١٨٤٣ .

ومن المحتمل أنه عندما وضع التصميم الأصلى لمصطبة زوسر كان يقصد أن يحتوى البناء السفلى على الحجرتين فقط اللتين فى أسفل البئر وعلى الردهات الأربع والممرات الموصلة بينها ، ولكن بعد أن قرروا الزيادة فى تصميم البناء العلوى لأول مرة حفروا احدى عشرة بئرا فى الأرض الواقعة فى الجانب الشرقى الى عمق ١٠٨ أقدام تقريبا . ونجد فى أسفل كل بئر من الأحدى عشرة ، ردهة متجهة نحو الغرب تحت البناء العلوى (شكل ٤ ، ٥ — ٧) . وقد عثر على تابوتين صنعا من المرمر الجميل احتوى أحدهما على جثة طفل فى نهاية الردهة الخامسة من اليسار ، كما عثر على قواعد من الحجر الجيرى لمثل هذين التابوتين فى بعض الردهات الأخرى . وبناء على ذلك يتضح لنا أن هذه الآبار والردهات كانت فى الغالب قبورا لأفـراد الأسرة الملـكية . ومن الجائز أنهم كانوا يريدون اقامة بناء علوى فوق كل قبر ، ولكنهـا

(*) بلاطات من الفخار المزجج كالقيشانى .

دفنت جميعا تحت الزيادة الثالثة للهرم ، وكانت الوسيلة الوحيدة للوصول اليها هي سلم طويل يؤدى الى القبر الذى فى أقصى الشمال .

ومنذ البداية حتى تعديل البناء العلوى للمرة الخامسة ، كان الوصول الى الحجرات السفلية والردهات عن طريق النزول فى الخندق المفتوح والمنزلق من الجانب الشمالى (شكل ٥ — ٩) . الا أن هذا الخندق المفتوح قد سد بالرديم عندما عدل البناء العلوى من جهة الشمال ، وأصبح من الضرورى أن يحفر نفق آخر بدلا منه . وبدأ النفق الجديد ببعض درجات من السلالم قريبة من الطرف الشمالى للبناء العلوى (شكل ٥ — ١٠) ثم يسير فى طريقه الى غرب الخندق السابق ، ثم ينحنى نحو الشرق ليلتقى بالمنزلق الأصلى بالقرب من نهايته العلوية . وواضح أنه أخذ طريقا متعرجا من غير ضرورة ، ومن الصعب أن نفهم الدافع الذى حدا بهم الى بذل هذا المجهود دون مبرر .

واذا استثنينا المعبد الجنازى والسرداب فليس للمبانى المحيطة بالهرم المدرج أى مصدر أو أصل نقلت عنه فى المبانى المصرية السابقة . وحتى المعبد الجنازى (شكل ٥ — ١٣) يمكن مقارنته بحجرة القرابين فى المصطبة من ناحية واحدة فقط ، وهى أنه المكان الذى كانت تقام فيه الشعائر الجنازية ، ويختلف كليه فى تكوينه المعمارى عن المصاطب المعاصرة ، فهو بناء ضخم مستطيل ملتصق بالواجهة الشمالية من الدرجة الأولى للهرم . ووضع المعبد فى الناحية الشمالية من هذا الأثر كان غير مألوف ، وفى جميع ما شيد بعد ذلك من أهرام نجد المعبد فى الناحية الشرقية ، مثل حجرة القرابين فى المصاطب التى كانت دائما فى الناحية الشرقية من القبر ، ولم يوضع باب على مدخل المعبد ولكنهم نحتوا فى الحجرة شكل باب مفتوح فى الخد الشمالى للمدخل . وفى كثير من المبانى فى هذه المجموعة نراهم نقشوا فى الحجر ما يشبه الأبواب ، وكان حجم النقوش يماثل دائما المقاييس الحقيقية لتلك الأبواب ، فاذا ما دلفنا من المدخل نجد أنفسنا فى رواق طويل له منحنيات عديدة تؤدى الى فناءين لا سقف لهما ينزل من أحدهما درجات سلم تؤدى الى البناء السفلى للهرم . وفى الطرف الجنوبى لكل فناء توجد ثلاثة ممرات تفضى الى بهو واسع ، وقامت الحوائط القصيرة المزينة بأعمدة متصلة ذات قنوات على الجانب الشمالى منها فكانت فواصل لهذه الممرات . ومن أهم الخصائص المعمارية فى مبانى الهرم المدرج تلك الأعمدة المتصلة المحلاة بزخارف مختلفة ، فهى والأبواب المقلدة لا يوجدان الا فى هذا الأثر ، أما تصميمها فهو اما من وحى

ساق واحد لنبات من النباتات أو من حزمة من سوق النباتات ضمت الى بعضها .

وفى الجانب الغربى للفناءين المكشوفين توجد حجرتان فى كل منهما حوض من الحجر فى أرضيتها وهيكل له دخلتان غائرتان فى واجهة الهرم ، وهاتان الحجرتان تكملان العناصر القليلة لهذا المعبد التى بقيت فى حالة جيدة من الحفظ يجعلها كافية للتعرف عليها .

ومن المستحيل أن نتكهن على وجه التحقيق بالأصل المعمارى الذى استرشد به ايمحوتب عندما صمم هذا المعبد الجنازى ، ولكن يمكن اعتباره نسخة مبنية بالحجر من القصر الملكى فى منف . وهذا التفسير يساير النظرية التى لاقت القبول ، وهى أن معظم مبانى مجموعة الهرم المدرج ليست الا نسخا من المبانى التى كانت حول القصر الملكى . ولكن مهما كان التفسير الصحيح فاننا نلاحظ ان معظم العناصر المعمارية الأساسية (مثل الأبهاء وحجرات التطهير والدخلات فى الهيكل) مزدوجة ، مما يجعلنا نعتقد أن المعبد قد صمم لاقامة بعض الطقوس التى يجب تكرارها ، أى أن الملك يقوم بتلك الطقوس مرة بصفته حاكما الوجه القبلى ومرة ثانية على أنه حاكم الوجه البحرى .

ويقع السرداب على مسافة قصيرة من شرق مدخل المعبد الجنازى (شكل ٥ — ١٤) وقد بنى كله من الحجر الجيرى المجلوب من طره ، ويميل جداره الأمامى الى الداخل بزاوية مقدارها ١٦° عن الخط العمودى ليماثل زاوية أسفل درجة من درجات الهرم التى كانت للمعبد بمثابة حائطه الخلفى ، وفى داخله نجد تمثال زوسر جالسا على عرشه (لوحة ٣ ب) يلبس رداء طويلا لا يظهر منه غير يديه وقدميه والجزء الأعلى من كتفيه وعلى رأسه جمة (شعر مستعار) طويلة يغطيها لباس للرأس من نسيج الكتان ، وربما كانت عيناه من البلور الصخرى فى تجويف من النحاس ، وظل عالقا بذقنه جزء من اللحية المستعارة ، وهى رمز الملكية . وثقب ثقبان فى الجدار الأمامى لهذا السرداب أمام وجه التمثال ، اما لكى يسمحا بدخول دخان البخور ليصل الى التمثال ، واما ليمكنا التمثال من النظر الى ما أمامه .

وفى خارج السرداب كان هناك سور صغير له مدخلان ، الأول ضيق عند الركن الجنوبى الشرقى والآخر وهو المدخل الرئيسى كان فى الناحية الشمالية . وقد نقش على كل من جانبى المدخل الرئيسى رسوم تمثل الأبواب الخشبية وكأنها مفتوحة فيمكن أن يرى السرداب من الفناء المكشوف الكبير خارج السور .

ويتسامى بناءان كبيران مستطيلان ذوا أسقف مقبية ويشرفان على كل المساحة الواقعة شرقى كل من فناء السرداب والهرم . وقد بنى كل منهما بالحجر من الداخل ثم كسى من الخارج بالحجر الجيرى المجلوب من طره . وزينت الواجهة الجنوبية بأربعة أعمدة متصلة دقيقة الصنع تحمل مع دعامات عريضة على كل من جانبيها افريزا ينحنى تبعا لقبو السقف . وفى البناء الواقع فى أقصى الناحية البحرية فى هذين البناءين حفرت قنوات رأسية فى كل من الأعمدة المتصلة والدعامات . وفى البناء القبلى حفرت قنوات مماثلة فى الأعمدة ، ولكن الدعامات ذات أضلاع ، أما تيجان الأعمدة المتصلة فانها تشبه ورقتين كبيرتين من أوراق الشجر متدليتين . ولم يعثر على هذا النوع الا فى هذه المجموعة الهرمية فقط . وكان بالقرب من أعلى هذه الأعمدة المتصلة ثقبان مربعان ربما كان مثبتا فيهما سوار تحمل بعض الشارات .

ونجد قريبا من وسط الواجهة الجنوبية من كل بناء مدخلا يفضى الى ممر ضيق يؤدى بدوره — بعد لفتين كل منهما زاوية قائمة — هيكل صغير الى صليبى الشكل . وفى جدران هذا الهيكل بنيت ثلاث كوات كانت تستخدم اما لوضع القرابين أو لوضع تماثيل صغيرة ، وكان فى الفناء الشمالى كوتان داخلتان فى الجدران عند نهاية الممر . أما أحجار أسقف هذه الممرات فقد زخرفت لتحاكى العروق الخشبية التى كانت تسقف بها الأبهاء المماثلة فى البيوت المبنية من الخشب واللبن .

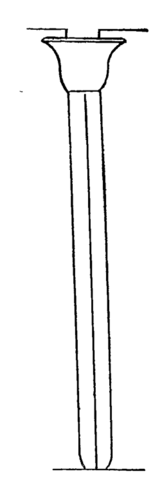
وكان يوجد الى غرب المدخل ، ومختفيا عن الأنظار خلف الكساء الحجرى ، ممر آخر يؤدى الى حجرة صغيرة اذا قارناها بالسرداب المقفول فاننا نجد شبها بينهما ، ولهذا يمكننا أن نحكم بأنها كانت تحوى تمثالا .

وكان أمام هذين البناءين فناءان مكشوفان ، الجنوبى منهما يزيد كثيرا فى حجمه عن الآخر ، وكان يحيط بالفناءين سور نرى فى جانبه الشرقى قريبا من ركن كل من البناءين دخلة عريضة فى الجدار ، وقد زينت هذه الدخلة فى الفناء الشمالى بثلاثة أعمدة متصلة كل منها يمثل ساق وزهرة البردى (شكل ٦) . واحتوت الدخلة فى الفناء الجنوبى على عمود واحد متصل فقط ربما كان يمثل نبات اللوتس .

وليس هناك حتى الآن تفسير مقنع للغرض الأساسى الذى من أجله أقيم هذان البناءان ومدى ما كانا يؤديانه من خدمة لزوسر فى حياته القادمة ، فكان هناك من يقول فى وقت من الأوقات انهما

كانا قبرين لاثنين من بناته ــ انت كا اس (Intkaes) وحتب حــرنبتى **Hetephernebti** ــ اللتين نقش اسماهما على بعض اللوحات التى عثر عليها بجوارهما ، ولكن الاكتشافات الحديثة فشلت فى العثور على أى شيء فى تركيبهما يمت الى الأصول الجنازية بصلة ، ولذا لا بد من البحث عن تفسير آخر . ومن الممكن أن يكون فى الرسوم التى فى دخلات الفناءين ما يساعدنا على فهم كنهما .

فمن المعروف أن نباتى اللوتس والبردى كانا رمزين لمصر العليا والسفلى على التعاقب ، وعلى ذلك فمن الممكن أن يمثل البناء الجنوبى

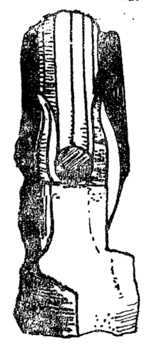




شكل (٦) ــ عمود بردى متصل

الهيكل الوطنى لمصر العليا فى عصر ما قبل الأسرات الذى كان يوجد فى الكوم الأحمر Hierakonpolis بينما يمثل البناء الشمالى الهيكل المماثل لمصر السفلى فى مدينة بوتو (Buto) . ويدل وجود مدبح على شكل حدوة الحصان فى فناء البناء الجنوبى دلالة قاطعة على أن هذا البناء بنى لغرض دينى وليس لغرض دنيوى .

والى الجنوب من سور البناء الجنوبى نرى فناء مستطيلا آخر ، جانباه الشرقى والغربى يحويان مجموعة من الهياكل الرمزية بنيت من أحجار متينة (شكل ٣) وأمام كل هيكل منها فناء صغير به ما يحاكى الباب المفتوح ، ويخفى بروز فى وسط جداره الجنوبى كوة غائرة فى قاعدة واجهة الهيكل ، ومن الناحية المعمارية يمكننا القول بأن واجهات عشرة هياكل من الثلاثة عشر هيكلا فى الجانب الغربى تشبه جداً واجهات البناءين الشمالى والجنوبى . فقد احتوت كل واجهة على ثلاثة أعمدة متصلة زينت بقنوات رأسية وتحمل كورنيشا مقوسا وتتصل أطرافها بدعامات عريضة . وكات تيجان هذه الأعمدة كما فى البناءين الشمالى والجنوبى مكونة من ورقتين كبيرتين من أوراق الأشجار المتدلية (شكل ٧) وقطعوا بين الورقتين ثقبا واحداً مستديراً ليثبت به سارية تحمل شارة من الشارات ، ويظهر أن واجهات الهياكل الباقية فى الجانب الغربى وكل الهياكل فى الجانب الشرقى كانت بسيطة خالية من كل زخرف اللهم الا من خرزة مستديرة من الحجر تظهر فى أعلاها وعلى الجانبين .



شكل (٧) تاج عمود مركب من أوراق شجر متدلية

وقد أقيم هذا الفناء والمبانى المحيطة به لتمد زوسر بما يلزمه ليعيد فى حياته بعد الموت الاحتفال بعيده الثلاثينى المعــروف عند قدمــاء المصريين باسم حب ســـد (Heb. Sed) فقد كان لكل ملك مصرى الحق فى أن يحتفل بعيد الحب . سد بعد أن يقضى على العرش عدداً محدداً من السنوات اختلف عددها من عصر الى عصر . وأصل هــذا الاحتفال غامض ، ولكن يظهر أنه بقية من الماضى البعيد عندما كان الملوك يحكمون لمدة محدودة فقط قبل أن ينهــوا حيــاتهم فى احتفال خاص . ومن هذه العادة البدائية جاء دون شك الاعتقــاد بأنــه من الضرورى لصالح المملكــة بقــاء قــوة الملــك الجســديــة دون أن يعتورهــا نقص ، وبذلك محــا عيد الحب ســـد Heb. Sed ضرورة تنصيب ملك شاب بدلا من الملك الذى قضى وقتا طويلا عــلى العرش ، وذلك بتمكين ذلك الملك من استعادة قوته بفعل السحر . ومن أهم عناصر عيد الحب سد اعادة تتويج الملك .

وفى هذا الاحتفال يدخل موكب يقوده أحد الكهنة الذين يطــلق عليهم المصريون اسم « كاهن سم » الى تلك الهياكل المحيطة بفنــاء الحب ســـد والتى يجتمع فيها آلهة الأقاليم فى الوجه القبلى . وبعد الحصول على موافقة كل اله بتجديد حق الملك فى الملك يؤخذ الملــك الى أحد العرشين فى أقصى الجنوب ويجلسونه على مقعد تحت مظلة لكى يتوج بالتاج الأبيض الخاص بالوجه القبلى ، ويعاد الاحتفال من جديد فى الهياكل الخاصة بأقاليم الوجه البحرى قبل أن يعتلى الملك عرش الشمال ليتسلم التاج الأحمر الخاص بالوجه البحرى ، ويرمــز الى اتحاد المملكتين فى طقس يتلو ذلك بربط زهرتى اللوتس والبردى حول وتد مثبت فى الأرض .

وهناك طقس فى عيــد الحب سد غير واضح المعنى تماما ، فقــد كان مفروضا على الملك أن يجرى مسافة معينة وبيده سوط صغير مصحوبــا بكــاهن يســمى كــاهن أرواح نخــن (١) (Nekhen) ففى أحد النقوش المكتشفة بالهرم المدرج نرى زوسر وهو يقوم بهــذا الطقس (لوحة ٣ أ) ، وربما جاءت فكرته من اعتقاد قديم بأن خصوبة الحقول تتوقف فى بعض الحالات على خفة الملك الجثمانية .

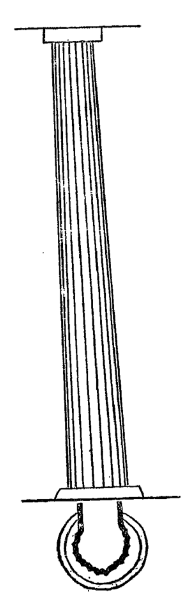
---

(١) كانت (أرواح نخن) ملوكا فى عهد ما قبل التاريخ على الوجه القبلى الذى كانت عاصمته فى نخن (أى هيراكونبوليس) Hierakonpolis ومكانها الآن الكوم الأحمر الى الشمال من ادفو .

وبالاضافة الى الهياكل التى سبق لنا وصفها ، ففى فنـــاء الحب سد بالهرم المدرج فى طرفه الجنوبى نرى قاعدة التتويج ، وفى الهيكلين الثانى والثالث فى الناحية الغربية قريبا من هذا المقعد ، دخلات تصل اليها ببضع درجات ربما كانت توضع عليها تماثيل للملك ، ففى التى فى أقصى الجنوب يوضع تمثاله كملك للوجه القبلى وفى التى فى أقصى الشمال تمثاله كملك للوجه البحرى . وان قرب هذه الدخلات من القـــاعدة يجعلنا نفترض أن المبانى التى كانت تنتمى اليها كانت تمثل الأكشـــاك التى يستريح الملك تحتها حتى يقوم الكهنة بعمل الطقوس التى تسبق التتويج المزدوج .

وهناك ممر يبدأ من الركن الجنوبى الغربى لفناء الحب . ســـد ويصله بفناء صغير فيه بناء متوسط الحجم ، بنيت حوائطه الخارجية بأحجار غير سميكة خالية من كل زخرف اللهم الا خرزة مستديرة على الواجهة الجنوبية ، وفى داخلها نراها تحتوى على بهو وثلاث قاعات داخلية ومجموعة من الحجرات الجانبية . ويبرز من وســـط الجـــانب الغربى لمدخل الصالة ثلاث حوائط تنتهى اثنتان منها بأعمدة متصلة محلاة بقنوات رأسية (شكل ٨) وربما احتوت النجـــوتان المكـــونتان من بروز هذه الجدران على تماثيل ، ولكن لا يمكن التكهن ان كانت هذه التماثيل للملك أو لآلهة ما دام الغرض الأصلى من هذا البناء غـــير معروف ، ولكن قربه من فناء الحب ســـد يرجح الظن بأن استعماله كان متعلقا بعيد الحب ســـد ، وربمـــا كان المكان الذى يقصـــد اليه الملك لتغيير ملابسه أثناء الاحتفال . ومن جهة أخرى ربما أقيم لأجل القيام بطقس آخر ما زال الغرض منه مجهولا .

ومن بين الأبنية التى يصعب تفسيرها أو معرفة الغرض منهـــا مجموعة الأروقة والحجرات التى تؤدى الى فناء الحب ســـد فى الركن الجنوبى الشرقى ، فنظراً لعدم وجود أى عناصر معمارية مميزة ظن البعض بأنها هى الأخرى ذات علاقة بعيد الحب ســـد . وهنـــاك دهليز يربط فناء الحب ســـد بالطرف الشرقى لبهو الأعمدة ، وهـــو قريب جداً من بوابة فى السور الخارجى . وهذه البوابة هى المدخل الوحيد لهذه المجموعة من المبانى . وبهو الأعمدة هذا عبارة عن ممر طويل ضيق يتجه نحو الغرب ، على جانبيه مجموعة من النجـــوات الناتئة من الجدران التى تبرز على كلا الجانبين (لوحـــة ٤) وتنتهى هذه الجدران البارزة — وعددها أربعون — بأعمدة متصلة مضلعة ، ويختلف عدد الأضلاع من سبعة عشر الى تسعة عشر ضلعا (شكل



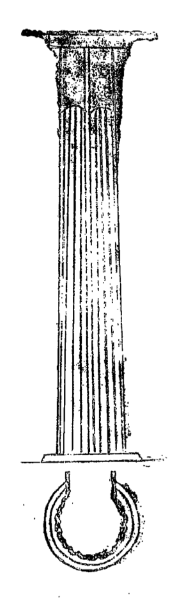
شكل (٨) عمود متصل ذو قنوات

٩) . وربما حوت هذه الفجوات فى داخلها تماثيل للملك تمثله التى على الجانب الجنوبى منها ملكا للوجه القبلى ، وتمثله تلك التى على الجانب الشمالى ملكا على الوجه البحرى .

ولما كان عدد هذه الفجوات يتناسب مع الاثنين والأربعين اقليما ، فقد حسب البعض أن كلا منها احتوى على تمثال مزدوج للملك مع أحد آلهة الأقاليم ، ولكن بالرغم من أن التماثيل من هذا النوع كانت معروفة فى الأسرة الرابعة فان الحفائر لم تكشف عن وجود أى أثر لمثل هذه التماثيل فى صالة الأعمدة .

وكان البناء كله مغطى بسقف حجرى مسطح فى أعلاه ومنحوت من أسفل ليحاكى كتل الخشب المستديرة ، أما النور فقد كان يأتى من فتحات مائلة فى جوانب الجدران على مقربة من السقف تسمح بدخول أشعة من الضوء ربما قصدوا منها أن تسقط على الزخارف التى كانت تزين الفجوات . وكان يتصل بطرف صالة الأعمدة الغربى دهليز صغير ، حمل سقفه الذى يشبه سقف بهو الأعمدة على ثمانية أعمدة مضلعة ، يوصل بين كل اثنين منها حائط صغير ، وفى الجدار الغربى تقليد فى الحجر لباب مفتوح يؤدى الى فناء مكشوف يحتل كل المساحة من واجهة الهرم الجنوبية الى السور الكبير . وبنيت الجدران الجانبية لهذا الفناء بالحجر الجيرى المنحوت ، وزينت بدخلات . وفى الطرف الشمالى قريبا من الهرم ، نرى مذبحا نصل اليه بمنحدر صاعد . وهناك أيضا بناءان الى الجنوب من المذبح يشبه كل منهما حافر الجواد ، وربما كان الغرض من وجودهما أنهما كانا النهاية التى ينتهى عندها أحد الطقوس ، ولكن لم يظهر الى الآن ما يساعدنا على معرفة حقيقته .

وفى الركن الجنوبى الغربى من الفناء الجنوبى المتصل بالسور ، مبنى مستطيل أقيم كله من الحجر ، وكسيت حوائطه من الخارج بالحجر الجيرى ، وزينت من أعلى بافريز من حيات الكوبرا ، ولا يحتوى داخله الا على حجرتين طويلتين تكون الواحدة منهما مع الأخرى زاوية قائمة . واذا كان هذا البناء غير متصل بالطقوس أو الاحتفالات التى كانت تقام فى الفناء الجنوبى ، فلا بد أنه كان مستخدما كحجرة للقرابين لمصطبة كبيرة كان بناؤها العلوى الذى يجرى محوره من الشرق الى الغرب مختفيا فى مبنى السور الكبير . ويتشابه موقع هذا البناء فى الجانب الشمالى للمصطبة مع المعبد الجنازى وموقعه من الهرم المدرج .



شكل (٩) عمود متصل مضلع ٠

ويتشابه البناء السفلي لهذه المصطبة الجنوبية في كثير من معالمها مع الهرم المدرج — فقد بنيت حجرة الدفن من كتل من الجرانيت الوردى فى قاع البئر العمودي . ويحتوى سقفها المسطح على ثقب (أغلب الظن انه قد سد بكتلة من الجرانيت) يسمح بنزول الجسم . وكان فـوق حجرة الدفن مباشرة حجرة أخرى ، القصد منها أن يحتفظ بالسدادة فيها قبل عملية الدفن ، وحمل سقفها كل الرديم الذى ملأ البئر . الا أن المنزلق الجانبى بدلا من أن يؤدى الى هذه الغرفة كنظيره فى الهـرم المدرج ، فقد زحزح الى الجانب القبلى ليفضى مباشرة الى الممرات التى تقع جميعها فى الجهة الشرقية من حجرة الدفن . ووجد فى أحد الدهاليز ثلاثة مناظر منقوشة ، وكل منها يمثل زوسر أثناء تأديته بعض الطقوس الدينية ، وفى دهليز مواز على مسافة قصيرة الى الغرب من الدهليز الأول ، نقشت ثلاثة أبواب من خلف فى واجهة الحائط الحجـرى . ووجود هذه الأبواب خلف النقوش تقريبا يجعلنا نظن أن اللوحـات المحتوية على النقوش كانت معتبرة كأبواب وهمية ليخرج منها الملك .

وكان بعض جدران هذه الدهاليز مغطى بألواح الفيانس الأزرق، تقليداً لستائر الجدران التى كانت مصنوعة من نبـات القصب المانى (لوحة ٥) .

ومنذ أن ثبت على وجه التحقيق أن زوسر قد دفن تحت الهرم المدرج، نجد من الصعب تفسير بناء مقبرة ثانية فى نفس المجموعة الهرمية ، لها كل المظاهر التى تنبىء بأنها كانت معدة له . ونحن نعرف أن ملوك مصر بنوا فى بعض الأحيان أكثر من قبر واحد — فمثلا سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة بنى هرما فى ميدوم وآخر فى دهشـور (١) — كما أن النقوش التى على الأبواب الوهمية فى المصطبة الجنوبية دليل قوى على أن زوسر بنى هذا القبر لاستعماله الشخصى ، الا أن حجرة الدفن تبلغ مساحتها ٣ أقدام و ٣ بوصات مربعة فقط ، وهى مساحة لا يمكن أن تتسع لجثة إنسان ذى حجم عادى الا اذا كان مقرفصا ، وهى طريقة من طرق الدفن لا يحتمل استخدامها لشخص ملكى فى الأسرة الثالثة . وعلى ذلك فاما أن تكون هذه المقبرة قبراً رمزيا بنيت لاستخدامها فى فى التضحية الرمزية بالملك أثناء عيد الحب سـد ، أو انه كان المدفن الفعلى لأحشائه التى استخرجت من الجسم لتساعد فى المحافظة عليه.

---

(١) بنى سنفرو هرمين فى دهشور ، ولا يعلم الى الآن على وجه التحقيق بانى هرم ميدوم (المعرب) .

فالجدار الخارجي للمبنى الأول ، وهو يواجه البناء الجنوبى ، كان مزينا بدخلات وثنيات تعطيه شكلا يتفق وباقى الجدران فى الساحيين الجنوبية والشرقية لهذا الفناء . أما المبنى الثانى ، وهو أعلى من المبنى الأول ، فقد كان له سقف مقوس يحاكي سقف المصطبة الجنوبيه ، وعلى ذلك فربما كان البناء العلوى لصف من القبور لأتباع زوسر ، ولكن نظراً لطبيعة الصخر الهشة تحت هذا المكان لم يتمكن أحد حتى الآن من حفرها حفراً كاملا . وخلف هذين البناءين يقوم السور الخارجي السميك .

ومن المحتمل أنه لم يتم مطلقا انجاز العمل فى المساحة الواقعة بين المعبد الجنازى والجدار الشمالى للسور ، اذ أن كل معالمها الظاهرة عبارة عن جزء مرتفع من الأرض به ردهات ورصيف تبلغ مساحته ٥٠ قدما مربعا تقريبا ، وهو مرتفع قد سوى فى الصخر . ونراهم قد كسوا ذلك الرصيف من الخارج بالحجر الجيرى ، وهو على خط واحد تقريبا مع المحور الشمالى الجنوبى للهرم ، ومن المحتمل جداً أنه كان مستخدما كمذبح . أما جدار السور الكبير فى هذه الناحية فقد بنى على هيئة حجرات صغيرة تفصلها جدران من الحجر .

ونظراً لأنه لم يعثر أثناء الحفر على اثر لأى شىء قد وضع فى هذه الحجرات ، فمن غير المحتمل أنها استخدمت فى أى وقت من الأوقات لتخزين أى شىء جنازى .

وعلى أى حال ، فتحت حجرات السور كانت هناك حجرات فى الممرات السفلية التى احتوت على خبز وفاكهة وبعض مقومات الحياة فى العالم الآخر .

وكان ارتفاع السور المحيط بمجموعة الهرم المدرج ٣٣ قدما تقريبا ، ومحيطه أطول من ميل (شكل ٣) وهو عبارة عن جدار سميك مبنى بالحجر ، وقد كسى جزء من واجهته الداخلية وجميع واجهته الخارجية بأحجار منحوتة من طره . ونرى فى الواجهة الخارجية شرفات كشرفات الحصون ، وهى مستطيلة تبعد كل منها عن الأخرى بمسافة ١٣٫٥ قدما ، وكلها بحجم واحد اللهم الا أربعة عشر منها أكبر حجما . وعلى كل من هذه الشرفات الأكبر حجما — والتى نراها فى أماكن مختلفة من السور دون أن يكون لها ترتيب خاص — رسوم لأبواب مغلقة ذات ضلفتين ، مضفية على هذه الشرفات البرجية مظهر

البوابات العظيمة . أما الباب الذى استخدموه فهو بالقرب من الركن الجنوبى للجانب الشرقى ، حيث نجد برجين بينهما ممر ضيق يفضى الى مدخل بهو الأعمدة ، ونراهم رسموا كذلك أبوابا ذات ضلفتين مفتوحتين على الجدران داخل هذين البرجين . وأما واجهة السور الخارجية فقد زينوها كلها بثنيات وزخرفوا نصفها العلوى بمستطيلات صغيرة غائرة ، رتبت عموديا كل ثمانية منها فى صف . والجدران المحتوية على الدخلات والخرجات فى المقابر المصرية قديمة العهد ، وترجع الى أوائل أيام عصر الأسرات . وليست المصطبة المبنية بالطوب النى ، والتى لا تبعد كثيرا عن الهرم المدرج والتى تنسب الى الملك عحا، الا مثلا واحدا من كثير من الأمثلة المعروفة ، الا أن السور المحيط بتلك المصطبة لا يحوى دخلات وخرجات ، بل كان مسطحا (شكل ٢). ووجود الأربع عشرة شرفة والبوابة فى جدار زوسر لم يقصد به مجرد تمثيل لجدار قصره ، بل كان نسخة حجرية من « الجدر البيضاء » المشهورة التى بناها مينا حول منف . ويبدو أن « الجدر البيضاء »كانت مبنية من الطوب اللبن ، ثم غطيت بطبقة رقيقة من الجبس الأبيض .

ولو القينا نظرة عامة على الهرم المدرج ، لوجدنا أننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا انه من أحسن الأعمال المعمارية التى خلفها قدماء المصريين . وقد نظرت اليه الأجيال فى عهد المصريين القدماء أنفسهم نظرة تقدير عظيم ، ولم يقف بهم الأمر عند حد احترامهم لايمحوتب بل رفعوه الى مرتبة الأرباب وسجلوا اعجابهم بالهرم وبنائه فى كتابات هيراطيقية على جدرانه دونها المصريون الذين زاروا ذلك الأثر بعد مضى أكثر من ألف سنة على بنائه . فلم يحظ أى هرم آخر من الأهرام المعروفة بمثل هذه المجموعة من المبانى العظيمة لتزود الملك بكل ما يحتاج اليه فى الحياة بعد الموت ، وقد اكتفى الملوك الذين حكموا بعد مرور أسرتين بعد الأسرة الثالثة بعمل رسوم منحوتة على الأحجار . ولنضرب لذلك مثلا بالمجموعة الهرمية لساحورع الملك الثانى فى الأسرة الخامسة ، فانها تحوى نقوشا تمثل الحب سد ولكنها لا تحتوى على فناء فيه مبان شيدت خصيصا لاستخدامها فى هذا الاحتفال .

وطالما شك بعض الباحثين فيما اذا كان من الميسور أن يصل المصريون القدماء الى هذه الدرجة العالية من الكمال دون أن يسبقها تطور طويل المدى ، ولكن بالرغم من ذلك فليس هناك أى دليل على أن الحجر قد استعمل فى أى مبنى سابق اللهم الا فى اقامة أجزاء متفرقة فى بعض المصاطب . كما أن الهرم المدرج يحوى كثيرا من

الأدلة على أن البنائين الذين شيدوه كانت تنقصهم الخبرة فى استخدام الحجر للبناء ، فاستخدموا مثلا أحجارا صغيرة الحجم يسهل نقلها بدلا من الأحجار الضخمة التى نراها بعد ذلك فى المبانى ، وهذا يدل على أن المصريين لم يتقنوا صناعة قطع الأحجار ونقل الأحجار الثقيلة اتقانا تاما حتى ذلك العهد . وكذلك الأعمدة المتصلة ، فمن المحتمل أنها لم تصنع حبا فى الجمال الفنى ولكنها أقيمت بسبب تشككهم فى قوة احتمال العمود المنفرد . وفى الزخارف أيضا نجد أن الأشكال الزخرفية التى فضلوها كانت منقولة عن الخشب أو البوص أو من مبانى الطوب اللبن فالأشكال الخاصة بالحجر وتناسبه لم تكن قد ظهرت حتى ذلك الوقت .

ولم يكن عظم الحجم والتصميم المعمارى هما كل ما جعل هرم زوسر يفوق مقابر أسلافه ، فقد وضع فيه من الأثاث الجنازى شيئا لم يحاوله أحد من قبل . وبالرغم من تعرض هذا الهرم للنهب والسلب مدة لا تقل عن أربعة آلاف سنة ، فقد ظل محتفظا بالكثير ، وأمد المكتشفين أثناء الحفائر الحديثة بآلاف من الأوانى والأطباق ذات الأشكال الجميلة المصنوعة من المرمر والأردواز Schist والحجر السماقى Porphyry والبرشيا Breccia والبللور الصخرى وحجر السربانتين Serpentine وأحجار أخرى كثيرة ، وما زالت كميات هائلة منها ينتظر نقلها من مقابر الأسرة المالكة ، حيث نجدها مكدسة فى أكوام تصل من الأرض الى السقف . ولم يوضع طعام أو أى مادة أخرى داخل هذه الأوانى ، وربما كان وجودها فى حد ذاته ذا صلة بما يتلوه الكاهن من صيغ سحرية ، اذ كانت تلاوته كافية لتضمن وجود كميات كافية من الأطعمة فيها ، تلك الأطعمة التى كانت الأوانى مخصصة لها لتقديمها للملك .

ويكاد يكون مؤكدا أن المبانى التى كانت داخل السور قد حوت قبل تهدمها عددا كبيرا من التماثيل ، ولم يبق سليما من تلك التماثيل الا تمثال زوسر الجالس الذى عثر عليه فى السرداب ، ولكن عثر على أجزاء من تماثيل أخرى أيضا . وفى الطرف الشمالى من فناء الحب سد نرى قاعدة تمثال من الحجر الجيرى حفر فى سطحها العلوى ثمانية أقدام آدمية ، لا بد أنها كانت لمجموعة من أربعة تماثيل ربما كانت للملك والملكة واثنتين من الأميرات . وعثر فى نفس البناء على ثلاثة

تماثيل كبيرة صنعت من كتلة واحدة ، ولكنهم لم يتموا الا نحت واحد منها . وعند النظرة الاولى يخيل الينا أن هذه التماثيل تحاكى بعض أنواع الأعمدة المشكلة بهيئة التماثيل ، ولكن من المستبعـــد جداً أن تكون صممت كأعمدة مستقلة ، وربما كانت النية متجهة لاقامتهـــا فى كوات بالحائط . وقد عثر على قطع من تماثيل أخرى — منها على الأقل تمثال للملك — وكانت خارج السور الكبير ، وفى دخلة فى الجدار الجنوبى للمدخل ذى الأعمدة . ولم يكن القصد من كل هـــذه التماثيل الأخرى التى لم يعثر لها على أثر احياء ذكـــرى الأشخـــاص الذين تمثلهم ، ولكن لتكون بديلا من أجسامهم وتستطيع الـــروح أن تجـــدها أثناء الطقوس الدينية المختلفة التى تقام داخل الهرم .

ونظراً لأنه لم يعثر الا على تمثالين ملكيين فقط من العصور السابقة — وكلاهما يمثل سلفا لزوسر يسمى خع — سخم Khasekhem — فمن المحتمل جداً أنه حدثت فى عهد زوسر نهضة كبرى فى صناعـــة التماثيل . واذا فحصنا تمثاله الذى كان فى السرداب ، وهو يمثل الفن فى ذلك العصر ، فاننا نستطيع القول بأن مجموعة التماثيل التى حوتها مجموعة مبانى زوسر كانت على درجة من الاتقان يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى أنتجتها الأسر التالية .

وقبل الحفائر الحديثة لم يكن هناك ما يراه الزائر من آثار زوسر غير الهرم نفسه ، وقد جرد تماما من كسائه الحجرى الخارجى . وقد عبث بالهرم أيضا من الداخل ، فكل الـــرديم الـــذى كان يمـــلأ البئر وأجزاء من الكتل المبنية فى المنزلق الجانبى بعد الدفن أزيحت بدقـــة بمعرفة اللصوص ، ولهذا أصبح فى استطاعتنا أن نقف على السقف الجرانيتى لحجرة الدفن ، ويمكننا اذا استعنا بضوء مصباح كهربائى قوى أن نرى الجانب السفلى من أول مدماك من الأحجار التى كانت تغطى فتحة البئر عندما بنيت المصطبة الأولى . وتحت هذه الأحجـــار اقـــام اللصـــوص عند ازالـــة الرديم الذى يملأ البئر رصيفـــا سميكا من الخشبلم يبق منه الآن سوى قليل من القطع . وان بقاء الأحجار معلقة دون استنادها على الرديم أو على الرصيف من غير أن تتداعى وتنهار داخل البئر أمر يكاد يكون من باب المعجزات .

وفيما عدا الأوانى الحجرية لم يبق من اثاث مقـــبرة زوسر شئ يذكر ، ولكنه قد عثر فى حجرة الدفن على بقايا من جسم آدمى ، ومع أنه لا يوجد ما يثبت أن هذه البقايا من زوسر نفسه فان طريقة دفن تلك

البقايا تتفق وطريقة الدفن التى كانت متبعة فى عصره . وقد تعرض الأحد عشر قبراً الخاصة بالأسرة الملكية للنهب أيضاً ، ولم يبق منهـــ غير التابوتين المرمريين السابق ذكرهما ، وكان أحد التابوتين ـــ الذى حوى هيكل الطفل ـــ مبطنا بست طبقات من الخشب سمك كل منه أقل من ربع بوصة ، وقد وضعت بحيث تجرى اليافها فى اتجاهـــات رأسية وأفقية على التوالى وشـــدت الى بعضها بمســـامير خشبيه صغيرة ، وقد عثر على بضعة مسامير من الذهب فى الطبقة الداخلية منها تدل على أن ذلك الخشب كان فى الأصل مغطى بالذهب .

ومن المستحيل أن نحدد على وجـــه التحقيق الوقت الذى بـــدأت فيه سرقة الهرم المدرج ، والكتابات التى على جدران المبنى الجنوبى تثبت أن المبانى المحيطة به كانت قائمة فى عهد الدولة الحديثة ، ولكن لا يعنى ذلك أن القبر ذاته لم يسرق ما به من أثاث قيم قبل ذلك الوقت .

وتدلنا نقوش زوسر الثلاثة فى الممر الشرقى على أن الوصول الى حجرات البناء السفلى والأروقة كان ممكنا فى العصر الصاوى ، فقد قسموا كل نقش الى مربعات بخطوط من الحبر لأجل عمل رسم له بنسبة معينة .

ونظراً لأننا نعرف عن الصاويين أنهم كانوا يحبون أن تـــكون بعض أعمالهم الفنية صورة من مثيلاتها فى الدولة القديمة ، فليس ببعيد أن يكونوا هم الفنانين الذين رسموا هذه الخطوط على نقوش زوسر . ولكن غيرهم ممن وصلوا الى القبر كانوا مدفوعين بعوامل دنيئة . وقد استمرت السرقات والنهب دون رادع حتى القرن الحاضر .

وقـــد قامت مصلحـــة الآثار تحت اشراف ج. ب. لوير بتـــرميم جزء كبير من الآثار التى فى داخل السور ، كما رممت المدخل ذا الأعمدة والركن الجنوبى الشرقى من السور الكبير ، وجمعت أحجار عدد من الأجزاء المتفرقة من المبانى الأخرى .

الفصــــــل الثالث

من الهــرم المدرج الى الهرم الكــــامل

قبل أن يبنى أول هرم هندسى كــامل صممت على الأقــل أربــع مقابر هرمية الشكل زيادة على هرم زوسر .

ونجد اثنتين من هذه المقابرفى زاوية العريان على مسافة أميال قليلة من الجيزة . ويعرف أقدمها عادة باسم الهرم ذى الطبقات ، ويبدو أنه كان مبنيا ليكون هرما مدرجا ، ولكن لم يبق منه الا القليل مما جعل تحديد شكله الأصلى أمراً لا يمكن اثباته . أما الهرم الثانى الذى ربما صمم ليكون هرما مدرجا ، فقد توقف العمل فيه قبل أن يتموا المداميك السفلى من مبناه العلوى ، ولكنهم كانوا قد قطعوا الجزء الأسفل منه فى الصخر وبدأوا فى تشييد حجرة الدفن ، وهى عبارة عن بئر مستطيلة طولها ٨٢ قدما وعرضها ٤٦ قدما ، قدت فى الصخر الى عمق ٨٥ قدما تقــريباً .

ويتصل بهذا البئر من جانبه الشمالى ممر مكشوف يتدرج صاعدا الى سطح الأرض ، وقد فى جزء من طول أرضية هذا الممر الصخريــة سلمان يفصلهما منزلق عريض ، وعلى الجانبين منزلقان متشابهان ، وقد أنزلوا بالحبال الى أسفل هذه المنزلقات أحجار الأســاس الــكبيرة الموضوعة فى قاع البئر ، وكذلك أحجار الجرانيت المجلوبة من أسوان والتى بنى بها جزء من حجرة الدفن ، وبمثل هذه الطريقة أنزلوا أيضا الى قاع البئر تابوتا جرانيتيا بيضاوى الشكل .

وعلى بعض أحجــار هــذا الهرم — ويسمى « الهرم الناقص » — اسم الفرعــون نب كــا Neb Ka كتبها عليها رجال المحاجر . وحيث أن طريقة بناء المبنى السفلى تشابه أعمال الأسرة الثالثة ، فقد ظــن أن هــذا القــبر أقيــم للمــلك نب كــا (أو نب كــا رع (Neb-Ke-Ra الذى ينتمى الى تلك الأسرة ، ولكن لم يعرف عنه شىء سوى اسمه .

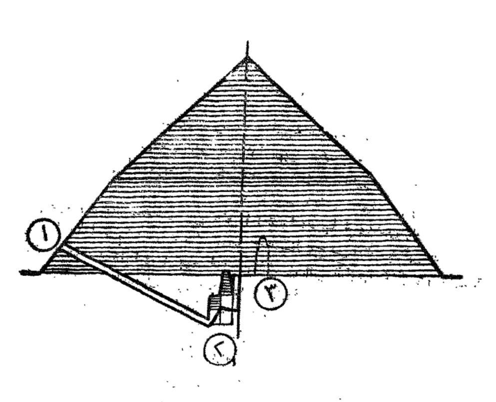
ولسنا نعرف أيضا بانى الهرم ذى الطبقات ، وقد عثر على بعض الاوانى فى مصطبة قريبة منه وعليها اسم الملك خع — باو (Kha-Bau) وهذا هو السبب فى محاولة نسبة هذا الهرم اليه ، وحاول العالم الأثرى الأمريكى ج. أ. ريزنر (G. A. Reisner) — الذى قام بعمل أبحاث وحفائر واسعة النطاق فى منطقة هذين الهرمين بعد بضع سنوات من اكتشافها أولا بمعرفة ألكسندر بارسانتى (Alexandre Barsanti) — أن ينسب الهرم ذا الطبقات الى الأسرة الثانية ، فاذا صحت نظريته هذه فانه يترتب عليها أن زوسر لم يكن أول ملك بنى قبره كله من الحجر ، ولكن الدليل الذى يقوم على الطراز فقط لا يمكن أن نعتبره دليلا قاطعا .

وبنى الهرم التالى فى دهشور ، ومع أنه صمم على أنه هرم كامل لا أنه لم يتم على هذا الشكل ، وغيروا فجأة زاوية الميل عند نقطة تعلو قليلا عن منتصفه « الشكلان ١٠ و ١١ » ولذلك سمى بأسماء مختلفة ، منها الهرم المنحنى (Bent) والهرم الكذاب (False) والهرم المنبعج (Rhomboidal) والهرم الكليل (Blunted) وزاوية الميل فى جزئه الأسفل ١٤ ٥٤° ، ولكن بعد الوصول الى نقطة معينة تتغير الزاوية فتصبح ٥٩ ٤٢° ، وتستمر كذلك الى القمة ، فاذا لم يكن تغيير الزاوية شيئا مقصودا منذ البداية ، فان التفسير الوحيد لهذا التغيير هو الذى فكر فيه لأول مرة السير جاردنر ولكنسن (Sir J. Gardner Wilkonson) منذ أكثر من قرن ، وهو أنهم أرادوا أن ينتهوا من تشييد الهرم على وجه السرعة ، ولهذا أنقصوا ارتفاعه، وأيد ج. برنج (G. Perring) هذه النظرية عندما فحص البناء العلوى فى سنة ١٨٣٧ ولاحظ أن أحجار الجزء الأعلى منه بنيت بعناية تقل عما تحتها .

وقد بنى الهرم المنحنى على مساحة مربعة من الأرض ، طول ضلعها من أسفل ٦٢٠ قدما تقريبا وارتفاعه العمودى عند اتمامه كان حوالى ٣٢٠ قدما ، وتواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية تقريبا . ولكن سير فلندرز بترى (Sir Flinders Petrie) حين قام بعمل مقاساته فى سنة ١٨٨٧ وجد أن الخطأ فى مطابقته للشمال والجنوب الحقيقيين أكبر من الخطأ فى الهرم الأكبر أو هرم خفرع بالجيزة . وكسوته الخارجية تعد من خير ما وصل الينا بين الأهرام القائمة حتى الآن ، اذ لم يبق هرم من الأهرام الأخرى محتفظا بكثير من كسوته الخارجية المجلوبة من حجر طره الجيرى . وربما كان السبب فى وجود هذا

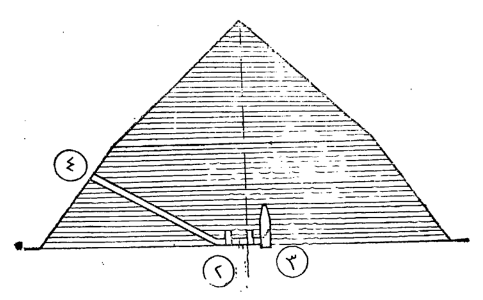
الكساء راجعا الى دقة العمل فى تشييد هـذا الكساء ، فلم توضع احجاره أفقية ولكنها كانت ــ مثل كساء الهرم المدرج ــ تميل الى الداخل ، وبذلك تزيد من متانة البناء .

وهذه الطريقة ــ طريقة وضع كتل حجرية مستطيلة ــ كان لها فضل تقليل المجهود الذى كانوا يبذلونه فى تهذيب سطوح الأحجار



شكل (١٠) الهرم المنحنى · قطاع فى اتجاه الناحية الشرقية

لتكون زاويتها مثل زاوية ميل الهرم . والهرم المنحنى فريد فى ترتيبه الداخلى بين الأهرام ، اذ له مدخلان مختلفان (الشكلان ١٠ و ١١ ــ ١ و ٤) .



شكل (١١) الهرم المنحنى · قطاع فى اتجاه الناحية الشمالية

ويفضى المدخل الذى فى وسط الواجهة الشمالية تقريبا الى ممر ضيق ذى سقف منخفض ، ينحدر انحدارا كبيرا أولا فى بنـاء الهـرم نفسه ثم فى الأرض الصخرية (شكل ١٠ — ١) ، وعلى مسافة تبلغ ٢٥٧ قدما من المدخل يصبح هذا الممر أفقيا لمسافة قدمين وثمانى بوصـات ، ثم يرتفع سقف متداخل الى علو ٤١ قدما تقريبا ، ويكون بذلك دهليزا ضيقا عاليا . ونجد بعد ذلك الحجرة السفلى وهى تنقسم الى حجرتين، وأبعادها ٢٠ قدما و ٦ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٦ قدمـا وبوصتان من الشمال الى الجنوب ، وارتفاعها نحو ٨٠ قدما (شكل ١٠ — ٢) . وأهم ما فى هذه الحجرة سقفها المتداخل الذى صنع بابراز الخمسة عشر مدماكا العلوية بضع بوصات فى كل من جدرانها الأربعـة المبنية بالحجر الجيرى ، فاذا وصلت الى اعلاها أصبح عرض السقف قدما واحداً . وفى الجدار الجنوبى لهذه الحجرة وفى مواجهة المدخل يوجد ممر طوله ١٠ أقدام يفضى الى قاعدة بئر أصم ارتفاعه العمودى ٤٢ قدما وست بوصات . ويعلو الممر الأول ممر آخر يبدأ فى سقف الحجرة وينتهى فى نقطة مرتفعة من البئر . وبنيت أرضية الحجرة الى ارتفاع بضعة أقدام بكتل صغيرة من الحجر نزع بعضها فيما بعد وكوم فى الدهليز .

وهناك ممر ثان يبدأ عند نقطة قريبة من وسط الواجهة الغربيـة للهرم يفضى الى الحجرة العلوية (شكل ١١ — ٤) وهذه هى الحالة الوحيدة المعروفة فى الدولة القديمة لمثل هذا الممر الذى يسير فى ناحية

أخرى غير ناحية الشمال ، وبعد أن ينحدر فى بنيان الهرم الى مسافة ٢٢٢ قدما يصل الى مستوى الأرض ويستمر أفقيا مسافة ٦٦ قدما حتى يبلغ الحجرة (شكل ١٠ و ١١ — ٣) . ولم تبن هذه الحجرة فوق الحجرة الأخرى المتصلة بالمر الشمالى ، ولكنها تقع الى الجنوب الشرقى منها ولها سقف متداخل ، وبنيت أرضيتها مثل أرضية الحجرة السفلى الى علو بضعة أقدام بمداميك من كتل الأحجار الصغيرة .

ولا يمكن الدخول الى الحجرة العلوية عن طريق المر الغربى الذى ظل منذ استخدامه عند الدفن مقفلا بكتل من الأحجار ، بينما سد مدخله بكساء الهرم الخارجى (١) . والطريق الوحيد للوصول اليها خلال ممر منحوت بغير انتظام يبدأ من ثقب فى الجانب الجنوبى من سقف الحجرة السفلية ، وينتهى عند نقطة فى الجزء الأفقى من المر العلوى ، وعلى ذلك فمن الصعب الوصول اليها الا بالاستعانة بسلم طويل لا يمكن اقامته الآن (٢) . ويصف برنج (Perring) الذى تمكن من الصعود بصعوبة ، السقاطتين الحجريتيناللتين رآهما فى المر العلوى ، وضعت كل منهما على جانبى المر الواصل من الحجرة السفلية (٣) . ولم تصنع هاتان السداداتان بالطريقة المعتادة لكى تنزلا عموديا ، ولكن صممتا لكى تنزلقا أفقيا من فجوات فى الحوائط الجانبية . ولكن السقاطة الخارجية من بين الاثنتين هى التى أسقطوها ، أما السقاطة القريبة من الحجرة فما زالت باقية فى فجوتها . ومنذ أن أغلقت السقاطة جبس عليها من كلا جانبيها الداخلى والخارجى . وانتهى برنج (Perring) الى نتيجة منطقية جدا ، وهى أن السدادة لابد وأنها أغلقت وقت أن كان المر الموصل الى الحجرة السفلية مفتوحا ، والا سجن العمال الذين وضعوا الجبس داخل الهرم ، وكانت ملاحظات برنج صحيحة ، ويظهر أن بناء المر الموصل بين الحجرتين يرجع تاريخه على الأقل الى وقت الدفن ، ولم يكن من صنع اللصوص المحدثين كما يظن لأول وهلة لعدم انتظامه ورداء صنعه . ولم يكن هو المثل الأول لمثل هذه المرات التى نقبت فى سرعة فى بناء الهرم ، ففى الهرم الأكبر نجد له شبيها سنقوم بوصفه فى الفصل القادم . وباستثناء بعض حبال ومقاطف قديمة من تاريخ غير معروف قال برنج انه وجدها فى أحد المرات ، فانه لم يعثر على أشياء أو أثاث جنازى داخل الهرم المنحنى ،

---

(١) قام الدكتور أحمد فخرى بفتح هذا المر فى سنة ١٩٥٢ — (المعرب) .

(٢) أمكن عمل هذا السلم فى أيام المرحوم عبد السلام حسين من رجال مصلحة الآثار سنة ١٩٤٩ — (المعرب) .

(٣) Vyse and Perring, The Pyramids of Gizeh, Vol. III, p. 67.

وليس من السهل أن نحدد فى أى الحجرتين وضع التابوت . وقد حاول البعض أن ينسب هذا الهرم الى حوني (Huni) آخر ملوك الأسرة الثالثة الذى حكم أربعا وعشرين سنة كما جاء فى بعض المصادر المتأخرة (١)، فاذا صحت هذه النسبة فتصبح الأسقف المتداخلة فى حجراته أقدم الأمثلة الحجرية لهذا النوع من التسقيف ، علما بأن هذه الطريقة فى البناء كانت مستخدمة فى البناء بالطوب فى مصاطب الأسرة الثانية .

ولم يبق فوق الأرض الا آثار نادرة من المبانى كانت يوما تكمل المجموعة الهرمية للهرم المنحنى ، ولن نعرف الا القليل من التفاصيل الهندسية حتى يتم كشف هذه المجموعة (٢) ، الا أن بعضا من معالمها الأساسية عرفناه منذ عهد قريب من أبحاث جوستاف جيكييه Gustave Jequier عالم الآثار السويسرى الذى قام بفحص المنطقة على حساب مصلحة الآثار .

وعلى مسافة نحو ٦٠ ياردة من الجهة الجنوبية من هذا الهرم يوجد هرم ثان أصغر منه حجما تغطى الرمال الآن جزءاً كبيراً من مبناه العلوى المهدم ، ولهذا فليس من السهل أن نقطع اذا كان هرما حقيقيا . ويحتوى هذا الهرم فى داخله على ممر منحدر ، ثم طرقة أفقية تنتهى بسقاطة ، وطرقة أخرى صاعدة تفضى من جهة الغرب الى حجرة صغيرة ذات سقف متداخل . وهناك عدد من هذه الأهرام الاضافية نراه داخل السور الكبير الذى يحيط بالهرم . وكان الرأى السائد أنها بنيت للملكات ، وربما استعمل بعضها حقيقة لأجل هذا الغرض ، ولكن البعض الآخر لم يستعمل كمقابر أبداً .

ويتكون السور الكبير المستطيل الذى يدور حول الهرم من جدارين يبعدان عن بعضهما بضع أقدام (٣) . ومن المحتمل أنه كان بين الجدار الداخلى للسور والواجهة الشرقية للهرم معبد جنازى صغير ، ولكن لا يظهر منه أى أثر (٤) . وعند الركن الشرقى للجدار الخارجى الشمالى يبدأ الطريق الجنازى الذى ينحنى انحناءة واسعة عند اتصاله

---

(١) ثبتت الآن نسبة هذا الهرم للملك سنفرو ـ (المحرر) .

(٢) قام الدكتور أحمد فخرى بالكشف عن هذه المجموعة فى الفترة من ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ . (المعرب) .

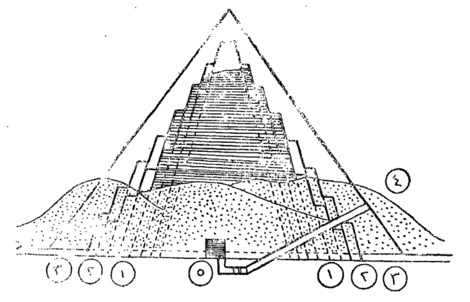
(٣) حقق الدكتور أحمد فخرى هذه النقطة فوجد أن السطور عبارة عن جدار واحد فقط . (المعرب) .

(٤) كشف الدكتور أحمد فخرى عن هذا المعبد فى عام ١٩٥١ ـ (المعرب) .

بالسور من جهة الشرق نحو الوادى . ويبدأ أعلى الطريق الجنازى بممر حدد جانباه بجدارين من الحجر ، وهو يصل السور بمبنى أقيم على حافة الوادى لم يكتشف شىء منه حتى الآن (١) .

وإذا صح تاريخ الهرم المنحنى فانه يصبح أقدم مثل لما أصبح بعد ذلك ، المثل الذى احتذاه الجميع فى بنائهم للمجموعات الهرمية . ففى تلك المجموعات كان الهرم المقام على أرض مرتفعة داخل سور . والمعبد الجنازى ، والطريق الجنازى المنحدر ، والمبنى المقام على الحدود الغربية للأراضى المنزرعة — والذى يطلق عليه عادة التسمية الخاطئة الى حد ما : « معبد الوادى » أو « البوابة » — كانت كلها تكون العناصر الأساسية للمجموعة الهرمية . وكانوا يحفرون قناة من النهر الى معبد الوادى ، لكى تمكن المراكب القادمة لأغراض جنازية من الوصول الى المجموعة الهرمية بدلا من عمل رحلة طويلة فى البر .

وآخر الأهرام السابقة للهرم الكامل بنى فى ميدوم Meidum وهى الى الجنوب من دهشور بمسافة ثمانية وعشرين ميلا تقريبا . وقد أصاب الكثير من الضرر بناءه العلوى الذى ما زالت الرمال تغطى نحو ثلث ارتفاعه لدرجة تجعله أشبه ببرج مستطيل مرتفع أكثر مما يشبه الهرم (لوحة ١٦) ، ولم يكن هذا الشكل عرضيا بالمرة ولكنه يرجع جزئيا الى طريقة بنائه اذ أصبحنا نعرف معالمه الأساسية بفضل حفائر السير فلندرز بترى Sir Flinders Petrie فى سنة ١٨٩١



شكل (١٢) : هرم ميدوم . قطاع فى اتجاه الناحية الغربية

(١) اكتشف هذا المعبد الدكتور أحمد فخرى سنة ١٩٥٢ م — (المعرب) .

وما تلاها من تحقيقات علمية قام بها فى أوقات مختلفة ج. ١. وينريت G. A. Wainwright ولـدفيج بورخـارت Ludwig Borchardt وألن رو Alan Rowe أضافت كثيراً من المعلومات الهامة الى اكتشافات بترى .

وقد مر على هرم ميدوم كثير من التغييرات مثل هرم زوسر قبل أن يبلغ شكله النهائى ، فلربما بدا كمصطبة أو كهرم مدرج صغير يختفى بناؤه العلوى فى صلب البناء الحالى ، ولهذا لا يمكننا الآن أن نعرف حقيقته على وجه التأكيد . وقد عثر أثناء الحفائر على بعض أحجار رسم عليها عمال المحاجر صورا تمثل أهراما ذات درجتين أو ثلاثا أو اربعا . وربما كانت هذه الرسوم تمثل الزيادات المتعاقبة التى طرأت على التصميم الأصلى .

وأول شكل تحقق اثباته هو أن البناء العلوى هرم ذو سبع درجات (شكل ١٢ — ١) ، وقد توصلوا الى ذلك بزيادة ارتفاع المبنى الأقدم وعمل البناء الذى يشبه البرج ، وبعد أن تم ذلك أصبح هذا البناء قلب الهرم والدرجة العليا من الهرم نفسه ، وبنوا بعد ذلك ست كسوات سميكة من البناء ، كانت كل منها تقل فى الارتفاع عن التى قبلها ابتداء من الوسط ، وكانت تبنى كل منها فى الجهات الأربع ، وأصبح الجزء العلوى من كل منها الجزء العلوى لكل من الدرجات الست الأخرى ، وكانت كل من هذه الكسوات تميل الى الداخل بزاوية ٧٥° تقريبا ، وبنيت كلها بأحجار محلية ثم غطيت من أعلى الى أسفل بأحجار جيرية من طره ، ولم تربط تلك الأحجار ببعضها البعض ولكنها اعتمدت فى التصاقها على زاوية الميل ، ولم يعنوا بتسوية سطح الأحجار الا تلك الأجزاء من الكسوة التى تغطى الدرجات ، وتركوا الباقى على خشونته .

وعندما تم بناء الهرم ذى السبع درجات أجريت اضافة كبيرة على البناء العلوى ، فرفعت القمة نحو ٤٥ قدما وزادت كل درجة تليها الى مستوى أعلى من الدرجة التى فوقها فى التصميم السابق ، وأضيفت درجة جديدة الى القاعدة (شكل ١٢ — ٢) ولم يستخدموا فى تلك الزيادة الا احجارا محلية غطيت بالحجر الجيرى من طره ، ولم يسووا منه غير سطحه الظاهر .

والجزء الظاهر من البناء العلوى الآن عبارة عن أجزاء من الدرجتين الثالثة والرابعة من الهرم ذى السبع درجات ، وجميع الدرجتين الخامسة والسادسة من الهرم ذى الثمانى درجات وجزء بسيط من الدرجة السابعة (شكل ١٢ — المظلل بخطوط) . ولو أن أحجار الكسوة

التى بنيت حول النواة قد ربطت مع بعضها لاتخذ البناء العلوى المتخرب بدون شك مظهرا مختلفا عما هو عليه ، ولأصبح من المستحيل عندما تعرض للهدم أن يتمكن من أخذوا أحجاره من تعرية جوانبه طبقة بعد أخرى ، بل لأصبح الهرم على الارجح كومة من الأحجار لا شكل لها .

ولم يقدر لهذا الهرم أن يبقى كهرم مدرج ، بالرغم من أنهم قصدوا من تصميم كل من الهرم ذى السبع درجات والهرم ذى الثمانى درجات أن يكون تصميما نهائيا .

ولأسباب لا يمكن توضيحها الآن ملئت الدرجات بالأحجار المحلية ، ثم غطى كل البناء بواجهة ناعمة من الحجر الجيرى المجلوب من طره ، وبهذه الطريقة تحول الأثر الى هرم هندسى كامل (شكل ١٢ ــ ٣) ولا تزال أجزاء أصلية من النصف الأسفل من الشكل النهائى سليمة ولكنها مغطاة الآن بكميات هائلة من الرمال .

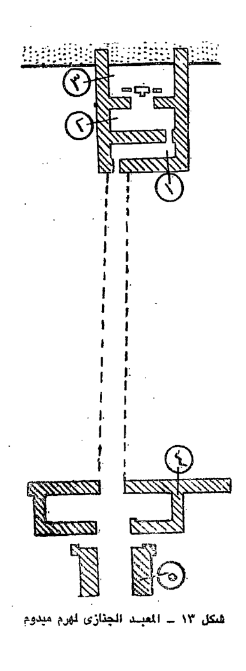
وكان مدخل الهرم فى جميع مراحل زياداته فى الواجهة الشمالية (شكل ١٢ ــ ٤) ، ويبدأ المدخل عند نقطة من آخر كسوة خارجية تقع قليلا فوق الدرجة السفلى من التصميم السابق للتصميم النهائى ، ويبدأ المدخل بممر ينحدر الى أسفل بزاوية ٢٨° تقريبا أولا فى بناء الهرم ثم بعد ذلك فى أعماق الصخر . وعلى بعد ١٩٠ قدما تقريبا من المدخل ينقطع الانحدار ويستمر الممر أفقيا مسافة ٣١ قدما ، وبالقرب من قاع المنحدر توجد فى الأرضية حفرة لا يعلم الغرض منها . وربما كان هناك عند نهاية المنحدر باب خشبى ثبت اطاره (حلقه) داخل الخطوط المحفورة فى الجدران وسقف وأرضية الممر . وجوفت دخلتان عرض كل منهما ٨ر٥ قدم تقريبا وعمقها ٤ أقدام فى جانبى الجزء المستوى من الممر ، الأولى فى الشرق والثانية فى الغرب . والسبب فى وجود هاتين الدخلتين أيضا غير واضح ، ولكن من المعقول أن يكون استخدامهما أثناء تشييد الهرم لتخزين بعض الكتل الحجرية التى تبلغ ضخامتها درجة يصعب معها إنزالها فى الممر بعد الدفن . ومساحة هاتين الدخلتين كافية للمساعدة فى تحريك الأحجار الكبيرة ، وقد أصبحت هذه المساحة فارغة الآن عندما نقلوها لوضعها فى أمكنتها فى البناء . وربما استعملت فعلا بعض كتل الحجر الجيرى التى وجدت فى الدخلات لهذا الغرض .

ومثل هذه الطريقة فى سد الممرات الموصلة لحجرة الدفن لم تكن الا طريقة مبسطة لطريقة السقاطات الجانبية التى وجدت فى الممر الغربى فى الهرم المنحنى .

وفى نهاية الممر نجد بئراً عمودية تتجه الى أعلى مخترقه أرضية حجرة الدفن فى ركنها الشمالى الشرقى (شكل ١٢ — ٥) ، ونجد جزءاً من هذه الحجرة فى الطبقة السفلية الصخرية والجــزء الآخــر فى قلب البناء العلوى للهرم ومقاسها ١٩٫٥ قدما من الشمال الى الجنــوب ، و ٨٫٥ قدم من الشرق الى الغرب ، وكلها من الحجر الجيرى ، ويتركب سقفها من طبقات مركبة فوق بعضها على شــكل سقف متداخــل . ورصفت الأرضية أيضا بكتل من الحجر الجيرى نزع بعضها الآن من مكانه ، وفى جدارها الجنوبى ثقب أحدثه اللصوص وقت البحث عن الكنز الذى اعتقدوا أنه مخبأ هناك .

ونجد فى كل من البئر والحجرة كتلا من الخشب التى ربما استعملت فى أغراض البناء أو كانت لازمة لنقل المعدات الجنازية الثقيلــة مثل التابوت الحجرى . الا ان سير جاستون ماسبرو Sir Guston Maspero الذى دخله سنة ١٨٨١ كأول عالم أثرى فى العصر الحاضر لم يجد أثرا لهذا التابوت .

ونرى المبانى الملحقة بهذا الهرم تشبه مثيلاتها فى مبانى المجموعة الهرمية للهرم المنحنى . فقد كان يحيط بالهرم أرضية عريضة من طبقة طينية رقيقة داخل سور من الحجر ، وهناك هرم اضافى بين ذلــك السور والواجهة الجنوبيــة للهــرم ، ولم يبق الآن من ذلك الهــرم الاضافى الا بضعة أحجار فوق الجزء الذى يقــع تحت الأرض منه . وكان السور يضم فى الناحية الشمالية منه مصطبة ضخمة — وهــذا أمر غير عادى فى مثل هذا المكان — وقد اختفت عن آخرهــا . وفى وسط الواجهة الشرقية من الهرم ، معبد جنازى بنى كله من حجــر طره الجيرى ، وما زال قائما كاملا حتى الآن ، وهو بناء بسيط جــداً ولا تزيد مساحته عن ٣٤ قدما مربعا ، وأقصى ارتفاعه ٩ أقدام ، ويقع مدخله فى الركن الجنوبى من حائطه الأمامى ويفضى الى ممر يكــون زاوية قائمة مع المدخل (شكل ١٣ — ١) . وهناك غرفــة واحــدة موازية للممر (شكل ١٣ — ٢) ثم فناء مكشوف أمام الهرم مباشرة ، ولم تزين جدران الممر أو الحجرة بأى نوع من النقوش ، ولم يكن لكليهما اية فتحة يدخل منها الضوء سوى الباب . وفى وسط الفناء فى مواجهة البناء المؤدى الى الحجرة يوجد مذبح منخفض أعــد لوضــع قرابين الطعام والشراب للملك المتوفى (شكل ١٣ — ٣) ، وترتفع لوحتــان طويلتان كل منهما قطعة واحدة من الحجر الجيرى ذات قمة مستديرة فوق قاعدتين مستطيلتين من الحجر نفسه ، وتقوم كل منهما على جانب



شكل ١٣ ــ المعبد الجنازى لهرم ميدوم

من جانبى المذبح . ومع أنه لم تنقش أية كتابة على هاتين اللوحتين ، الا أنه واضح من شكلهما أنهما على شكل لوحتين جنازيتين ربما أعدنا لتكتب عليهما أسماء الملك وألقابه.واحدى الصيغ التقليدية التى تعده بأن يكون له ما يريد فى الحياة الأخرى ، ولا بد أن عدم وجود مثل هده الكتابة وترك الأحجار المكونة للمدماك السفلى لجدران المعبد دون تسوية يجعلنا نميل الى الظن بأن هذا المعبد لم ينته العمل فيه . وهذا التفسير أيضا ربما ينطبق على عدم وجود الباب الوهمى الذى كان من المعتاد اقامته أمام الواجهة الشرقية للهرم ، لكى يسمح بخروج الملك من قبره ليتلقى نصيبه من القرابين الموضوعة فوق المذبح .

ولما كان من الطبيعى وضع الأحجار اللازمة لمثل هذا الباب داخل الفناء قبل أن تقام الجدران ، فيمكننا تقديم تفسير آخر أكثر احتمالا وهو أن ذلك الباب الوهمى كان من أحجار الجرانيت ، وهى أعلى قيمة من الحجر الجيرى . ولهذا أخذها من مكانها من اعتدوا على هذا المعبد دون أن يتركوا أثراً لها .

أما المسافة بين المعبد الجنازى والجدار الشرقى للسور (شكل ١٣ — ٤) فتبلغ ٨٠ قدماً ، وقد غطوها كلها بطبقة من الطين . وعند نقطة فى السور تكاد تكون مواجهة لمدخل المعبد ، نرى فتحة تؤدى الى الطريق الجنازى الذى يصل منطقة الهرم بمبنى يقع عند حافة الوادى كما هو الحال فى مجموعة الهرم المنحنى . والشىء الوحيد الباقى الآن من الطريق الجنازى انخفاض غير عميق مازال واضحاً ، وقد أثبتت الحفائر أن طوله عند تشييده كان ٢٣٥ ياردة ، أما أرضيته فكانت مرصوفة بالطين الذى وضعوه فوق طبقة عرضها ١٠ أقدام تدت فى الأرض الصخرية ، ويحفها من كلا الجانبين جدار من الحجر ارتفاعه سبعة أقدام ، ينقص سمكه من خمسة أقدام عند القاعدة الى أربعة أقدام عند القمة (شكل ١٣ — ٥) . وكانت الفتحة الوحيدة فى هذين الجدارين قريبة من نهاية الطريق عند نهايته العليا ، حيث نرى بابين يؤديان الى الطريق الجنازى من الجانبين . وعند ملتقى الطريق الصاعد بالسور الخارجى للهرم ، نرى دخلتين عميقتين ربما كان فى كل منهما تمثال للملك : الجنوبى منهما يمثله ملكا للوجه القبلى ، والشمالى منهما يمثله ملكا على الوجه البحرى ، ولكنه من المحتمل ايضا أن يكونا لأجل القيام ببعض الطقوس أثناء الاحتفال الجنازى . وعند نهاية الطريق الجنازى وعلى مقربة من المكان الذى يتصل فيه بمبنى الوادى ، كان يوجد باب ذو ضلفتين كان عقباه يدوران فى حفرتين فى الأرض

الصخرية تحت الأرضية المرصوفة بالطين . ومن الصعب أن نفسر سبب وجود باب فى مثل هذا المكان ، ولكن يمكن التكهن بأن المقصود منه منع أولئك الذين لم تكن وظائفهم تسمح لهم بأن يتجاوزوا مبنى الوادى .

وقد أثبتت الحفائر التى قام بها الأثريون حتى الآن فى مبنى الوادى انها غير مجدية ، نظراً لطبيعة الأرض الرخوة بسبب ارتفاع مستوى مياه النيل عما كانت فى الأيام التى بنيت فيها هذه المجموعة ، وتوحى بساطة المعبد الجنازى ومقاييسه أن مبنى الوادى كان بسيطاً أيضاً .

ولم يعثر فى ميدوم على كتابات معاصرة تعطى اسم بانى هذا الهرم. ولكن يوجد عدد من الكتابات فى ممر وحجرة المعبد الجنازى كتبهـا الزائرون دون عناية على جدران ذلك المعبد فى الأسرة الثامنة عشرة ، ونفهم منها أنهم كانوا يعتبرون الهرم فى ذلك الوقت من عمل سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة ، وها هى ترجمة احدى الكتابات : « فى اليوم الثانى عشر من الشهر الرابع من شهور الصيف فى السنة الواحدة والأربعين من حكم تحوتمس الثالث أتى الكاتب . عاخبر رع سنب بن آمون مسو (Amen Mesu) [الكاتب وكاهن الملك المتوفى تحوتمس الأول] ليرى المعبد الجميل للملك سنفرو ، فوجده كما لو أن السماء كانت مستقرة فيه والشمس تشرق فيه ، فقال : ليت السماء تمطر مراً طازجاً ، وليتها تسقط بخوراً على سقف معبد الملك سنفرو » . وذكرت احدى الكتابات الأخرى فى المعبد ، ويرجع تاريخها الى الأسرة السادسة ، اسم سنفرو ولكنها لم تقرر صراحة أن المعبد خاص به .

وتكفى الكتابات التى على الجدران وحدها لتكون دليلا كافيـا على نسبة هرم ميدوم الى سنفرو اذا لم يكن له هرم آخر منسوب اليه(*)، ولكننا نعلم أنه يوجد هرم فى دهشور وعلى مقربة منه مصاطب اكتشفها ج. دى مورجان J. De Morgan فى عام ١٨٩٤ — ٩٥ ، وهذه المصاطب ليست خاصة بأفراد عائلة سنفرو وموظفيه ، بل بينها مصاطب لكهنة كانوا يقومون بعملهم فى معبده الجنازى ، ومثل هـذه المصاطب توجد عادة قريبة من قبر الملك الذى ينتمون اليه أو يعملون فى خدمته .

ولهذا يتحتم علينا أن نعتبر ذلك الهرم قبراً للملك سنفرو ، ولحسن الحظ أن المسألة أسهل مما تبدو ، لأن نقوشاً من عصر الدولة القديمة تثبت أن سنفرو بنى فعلا هرمين سمى أحدهما الهرم الجنوبى ، وبين هذه النقوش مرسوم صدر من الملك بيبى الأول من الأسرة السادسة

(★) ثبتت الآن نسبة هرم ميدوم الى حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة . ويبدو أنه قد توفى قبل أن يكتمل ، فأكمله له خليفته — (المحرر) .

يعنى سكان مدينتى هرمى سنفرو من التزامات معينة . وقد تمكن « بورخارت » من تعيين المكان الذى عثر فيه على ذلك المرسوم بانه كان قريبا من هرم دهشور ، وهذا دليل واضح على أن دهشور كانت احدى مدينتى هرم سنفرو ، وربما عرفنا معلومات أوفى عند الكشف عن المجموعة الهرمية . وبالرغم من أننا لا نملك اثباتا على أن هرم ميدوم هو الهرم الجنوبى ، الا أن موقعه الجغرافى بالنسبة لدهشور ووجود الكتابات على جدرانه يرجحان ذلك رجحانا كبيرا .

ولم يكن سنفرو الملك الوحيد الذى بنى لنفسه أكثر من قبر واحد ، فمن المحتمل أن عحا — ثانى ملوك الأسرة الأولى — بنى لنفسه مصطبة فى سقارة وأخرى فى أبيدوس ، كما أننا متأكدون من أن زوسر بنى كلا من الهرم المدرج ومصطبة فى سقارة ، وربما بنى أيضا مصطبة أخرى فى بيت خلاف . وبنى سنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث هرمين فى دهشور وقبرين فى مكانين آخرين ، الا أنه من الواضح أن مقبرة واحدة فقط يمكن أن تكون مكانا للدفن ، بينما يتحتم علينا أن نفرض ان المقبرة الأخرى كانت مقبرة مؤقتة رمزية ، ولكننا لا نعرف على وجه التحقيق الغرض منها . وانقسمت الآراء بالنسبة لمكان دفن سنفرو . فيرجح « بترى » أنه دفن فى هرم ميدوم ، بانيا وجهة نظره على أساس اكتشاف بعض قطع من التابوت الخشبى داخل الهرم تشبه فى أسلوبها التوابيت التى كانت تصنع فى عصره .

ومن جهة أخرى رجح « بورخارت » هرم دهشور ، موضحا أن مقابر كهنة سنفرو عثر عليها فى دهشور ولم توجد واحدة منها فى ميدوم . وعلاوة على ذلك فليس المعبد الجنازى هو الشىء الوحيد فى ميدوم الذى ترك دون اتمام ، بل نرى هناك أيضا عدداً كبيراً من المصاطب المحيطة به لم يتم بناؤها ولم تستعمل للدفن مطلقا . ويعتقد بورخارت أن وجود المبانى غير كاملة يرجح العدول عن دفن الملك فى الخطة الأصلية ، بشأن هرم ميدوم ودفنه فى دهشور . أما « ألن رو » فأراد أن يوفق بين اكتشاف « بترى » لقطع التابوت الخشبى فى ميدوم وبين حجة « بورخارت » الدامغة عن هرم دهشور ، فتقدم برأى يقول بأن هرم دهشور لم يكن قد تم عند موت سنفرو ، ولذلك وضعوا جسده فى هرم ميدوم مؤقتاً ، ثم نقلوه بعد ذلك الى دهشور عندما تم بناء الهرم . ولكن هذا الموضوع ليس من المواضيع التى يمكن الاجابة عنها نهائية اذا لم يتيسر لدينا من الأدلة غير ما نعرفه حتى الآن .

ويقع هرم سنفرو فى دهشور على مسافة قليلة الى شمال الهرم المنحنى ، وهو أقدم قبر معروف صمم ونفذ ليكون هرماً كـاملا (١) . وأبرز معالمه الميزة لمظهره الخارجى زاوية ميله القليلة ، فبدلا من أن تكون زاوية الميل ٥٢° تقريباً حسب المعتاد نرى زاويـة الميل ٤٣° و ١٦ تقريباً ، أى أنها تقرب جداً من الجزء الأعلى من الهرم المنحنى. وفى الواجهة الشمالية على ارتفاع بضعة أقدام من سطح الأرض نرى الفتحة التى تؤدى الى الممر المنحدر حيث توجد ثلاث حجـرات (٢) ، واحدة بعد الأخرى ، تقع ثانيتها تحت قمة الهرم مباشرة ، والحجرتان الأولى والثانية فى حجم وشكل واحد تقريباً ، وطول كل منهما ١٣ قدماً من الشمال الى الجنوب ، و ١٢ قدما تقريبا من الشرق الى الغرب . وكلتا الحجرتين على الأرض الصخرية ولهما سقفان مرتفعان على طريقة السقوف المتداخلة ، وتصل الى الحجرة الثالثة عن طريق ممر قصـير يبدأ فى الجدار الجنوبى من الحجرة الوسطى على ارتفاع ٢٥ قدماً تقريبا من الأرضية ، وهى أرحب الحجرات الثلاث وتبلغ ١٣٫٥ قدمـا من الشمال الى الجنوب ، و ٣١ قدما من الشرق الى الغرب ، ويرتفـع سقفها المتداخل الى علو ٥٠ قدما .

وإذا ضربنا صفحا عن عدد وحجم حجراته ، فان هرم دهشـور لا يكاد يحتوى على تقدم فنى عن هرم ميدوم . فتصميمه منذ البداية ليكون هرما كاملا يحمل على الظن بأن بنائيه قد أفادوا من التجـارب التى اكتسبوها من هرم ميدوم ، الذى لم يصل الى شكله الأخير الا بعد عدة تغييرات . وفى كل من الهرمين نجد كتابات على بعض أحجـار الكساء الحجرى مؤرخة فى نفس السنة من حكم ملك غير مذكـور . ويترتب على ذلك انه اذا انتمى هذان الهرمان الى ملك واحد فلابد أن العمل فى بنائهما كان جاريا فى وقت واحد لفترة من الفترات . ولسنا نعرف الموضع المضبوط الذى كانت فيه أحجار الكساء الملقاة الآن على الأرض قرب هرم ميدوم ، وفى أى جزء منه كانت قبل هدمها ، ولكن ما دام الجزء الأسفل من الكساء ما زال سليما فيمكننا القول بأنها من الجزء

---

(١) ربما كانت الأهرام الصغيرة الاضافية التابعة للهرم المنحنى وهرم ميدوم أهراما كاملة ، ولكن ينقصنا الدليل على انها شيدت لتكون مقابر للدفن .

(٢) نظرا لكمية الرمل والرديم الهائلة التى تتراكم فى أسفل الممر المنحدر ، لا يمكن الوصول الى الحجرتين الأوليين الا بصعوبة . أما الثالثة فربما كانت حجرة الدفن ، ولا يمكن دخولها الا بسلم لا يمكن وضعه الا بعد تنظيف الممر . وقد وصل « برنج » الى هذه الحجرة ، ولذا فان الوصف المذكور هنا مأخوذ من تقريره .

العلوى منه . أما فى هرم دهشور فالأحجار المذكورة موجودة فى المداميك السفلية من الكساء . ولهذا يصبح من المعقول أنهم عندما وضعوا تلك الأحجار فى أماكنها كان العمل فى هرم ميدوم قد قطع شوطا بعيداً أكثر من العمل فى دهشور .

وبدون أن نبحث الآن عن الدوافع التى حملت سنفرو على بناء أكثر من هرم واحد ، فمن الميسور أن نتكهن بالحوادث التى أدت الى ذلك التطور . فمن المحتمل أن حونى (Huni) ترك تصميم الهرم المدرج فى سبيل تصميم آخر يختلف فقط فى نقطة واحدة عن الهرم الكامل ، ولكن سنفرو الذى خلفه فى الحكم عاد الى تصميم الهرم المدرج عندما شيد مدفنه الأول فى ميدوم . ولكنه قبل أن يتم بناء ذلك المدفن حسب التصميم الموضوع قرر أن يبنى قبراً آخر فى دهشور ، واضعا تصميمه منذ البداية ليكون هرما كاملا . وبدلا من أن يتشبث بخطته الأصلية وأن يصبح له هرمان من نوعين مختلفين ، قرر تحويل هرم ميدوم الى هرم كامل . ونحن اذا تساءلنا عن ضرورة كل هذه التغييرات فى التصميم ، فان الاجابة عن هذا التساؤل لا يمكن أن تكون على وجه التأكيد ، إذا اعتمدنا على ما لدينا من معلومات ضئيلة عن الحوادث السياسية والدينية لذلك العهد . وسنحاول فى فصل قادم أن نقدم بعض التفسيرات الفرضية لتوضيح بعض الحقائق المعمارية (١) .

---

(١) كتب « ادوارادز » ما كتبه فى هذا الفصل قبل أن يتقدم العمل فى حفائر مصلحة الآثار فى منطقة دهشور ، وقد تركنا تفسيراته كما هى دون تغيير لما تستوجبه الأمانة فى الترجمة . ونحن نعرف الآن على وجه التحقيق أن هرمى سنفرو هما الهرمان الحجريان فى دهشور ، وأن الهرم المنحنى هو هرم سنفرو القبلى . أما هرم ميدوم فيرجح الدكتور أحمد فخرى — الذى قام بحفر المعابد وفحص أهرام دهشور — أن الملك حونى آخر ملوك الأسرة الثالثة هو الذى بدأ تشييده ، ولكن حونى مات قبل أن ينتهى العمل فيه فأتمه سنفرو . وما من شك أن كتاب الأسرة الثامنة عشرة الذين زاروا ميدوم قرأوا اسم سنفرو هناك فكان ذلك سببا فى تحدثهم عنه ، خصوصا وأن ذكرى سنفرو كملك عادل رحيم بقيت عالقة فى ذهن المصريين الى آخر أيامهم . أما الهرم الذى دفن فيه سنفرو فالأرجح أنه الهرم الجنوبى ، وهو على بعد ميل واحد من الهرم الشمالى الذى ساعدت طبيعة الأرض على تشييد مصاطب أفراد عائلة سنفرو وكهنته على مقربة منه .

وأول محاولة قام بها المعماريون المصريون لبناء الهرم الكامل كانت فى الهرم الجنوبى على أيام سنفرو ، ثم بدأوا فى الوقت نفسه — وقبل الانتهاء من الهرم الجنوبى الذى غيرت زاوية ميله أثناء العمل — فى بناء الهرم الشمالى . (المعرب) .

الفصل الرابع

أهـــرام الجيزة

كان خوفو (أو كيوبس كما يسمى باليونانية) ابنا لسنفرو ، خلفه على عرش البلاد ومن المحتمل أنه نشأ متأثراً بعظمـــة مبـــانى والــــده فى ميدوم ودهشور ، فوقع اختياره على منطقة تقع على حافة الصحراء على بعد خمسة أميال غرب الجيزة ، وأقام فى ركنها الشمالى الغربى هرما حجمه أكبر من حجم هرم أبيه . وتبعه ملكـــان آخـــران من الأسرة الرابعة وهما خفرع (أو خفـــرن Chephren) ومنكـــــــاورع (أو ميكرمينوس Mycerinus) فبنيـــا هرميهمـــا فى نفس المنطقـــة على مسافة قصيرة إلى الجنوب . وتكون هذه الأهرام الثلاثة مع بعضها أشهر مجموعة أثرية فى العالم (لوحة ١) .

وهرم خوفو ، أو الهرم الأكبر ، يمثل أعظم ما وصـــل إليه بناء الأهرام من حيث الحجم والصناعة . ولو أردنا حساب الحجم لوجدنا أن الأحجار التى استخدمت فى بناء هرمى سنفرو تساوى تقريبا تلـــك التى فى الهرم الأكبر ، ولكن بناء كل منهما على حدة يجعل كلا منهما أقل كثيراً من الهرم الأكبر . ولسنا نستطيع أن نحـــدد تماما كميـــة الأحجار التى لزمت لبناء الهرم الأكبر أو نقدرها تقديراً صحيحـــاً ، لأن قلب بنائه يحتوى على نواة صخريـــة لا يمكن تحـــديد حجمهـــا بالضبط . ومع ذلك فقد قدر بعض الباحثين أنه عندما كان كاملاً كان يحوى من الأحجار المحلية فى قلب بنائه ومن الأحجار الجيرية من طـــره فى كسوته عدداً يبلغ ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ كتلة حجرية تقريبا تزن كل منهـــا ٢٫٥ طن فى المتوسط تقريبا ويصل وزن بعضها الى ١٥ طنا (١) .

وحاول كثير ممن كتبوا عن الهرم الأكبر أن يعقدوا مقارنـــات بين حجمه وحجم بعض المبانى الأخرى المشهورة ، فحسبوا مثلا أن مبانى البرلمان البريطانى وكنيسة القديس بولس فى لندن يمكن وضعها جميعا داخل مساحة قاعدته وتبقى منها مساحة كبيرة خالية . وفى حساب

(١) Somers Clarke and Re Engelbach- Ancient Egyptian Masonty Frontispiece.

آخر عن مساحة الهرم أنها تسع كاتدرائيات فلورنسا (Florence) وميلان (Milan) والقديس بطرس (St Peter) فى روما ، كما تسع دير وستمنستر (Westminster) وكنيسة القديس بولس (St. Paul) (١) . كما حسبوا أيضا أنهم اذا قطعوا كمية أحجار الهرم الى مكعبات بحجم قدم مربع ووضعت هذه المكعبات فى صف واحد فانها تمتد الى مسافة طولها ثلثا محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء . ونسب تقدير من هذا النوع الى نابليون أثناء حملته على مصر عندما نزل بعض قواده بعد تسلقهم قمة الهرم ، فقد رحب بهم نابليون — الذى لم يصعد بنفسه — وقال لهم انه يقدر أن أحجار أهرام الجيزة الثلاثة تكفى لبناء جدار ارتفاعه عشرة أقدام وعرضه قدم واحد حول فرنسا كلها . وقرر العالم الرياضى مونج (Monge) — ويقال انه أحد العلماء الذين صحبوا نابليون فى حملته — أنه أمن على هذا الحساب (٢) .

ولم يحظ أثر فى مصر بما حظى به الهرم الأكبر من رسوم ومقاييس وفحص ، وحتى قبل الوقت الذى بدات فيه النظريات القائلة بأن لزواياه وأبعاده معانى خفية قام ادميه فرنسوا جومار (Edmé Françcis Jomard) — أحد علماء حملة نابليون — والكولونل هوارد فيس (Colonel Howard Vyse) وج. س. برنج (J. S. Perring) عام ١٨٣٧ — ١٨٣٨ وغيرهم من أوائل علماء المصريات بقياس أبعاد هذا الأثر بدقة تامة كما يتطلبها البحث الحديث فى الحفائر العلمية . وأول دراسة شاملة لهذا الأثر قام بها السير فلندرز بترى (Flinders Petrie) الذى قضى جزءاً كبيراً من موسمين (٨٠ — ١٨٨٢) فى هذا العمل . وظلت نتائجه التى نشرها مسلماً بها فى هذا الموضوع حتى سنة ١٩٢٥ ، عندما حل محل بعض منها نتائج دراسة أحدث استخدم فيها ج. هـ. كول (J. H. Cole) من مصلحة المساحة المصرية (٣) آلات مساحية دقيقة من أنواع حديثة

---

(١) E. Baldwin Smith, Egyptian Architecture as a Cultural Expression, p. 96.

(٢) J. Capart and Marcelle Werbrouck, Memphis) l'ombre de pyramides

(٣) Survey of Egypt, paper No. 39 « The determination of the exact size and oriention of the Great Pyramid at Giza »

تحديد الحجم والاتجاه المضبوطين لهرم الجيزة الأكبر ، وقد أعطيت الأبعاد فى هذا التقرير بالأمتار وأجزاء المتر وحولت عنا الى أقدام وأجزاء القدم من أجل توحيد القياسات .

أثبتت أن الأبعاد الأصلية للجوانب الأربعة عند القاعدة كالآتى : الشمالى ٧٥٥٫٤٣ قدما ، والجنوبى ٧٥٦٫٠٨ قدما ، والشرقى ٧٥٥٫٨٨ قدما ، والغربى ٧٥٥٫٧٧ قدما . وفى الوقت الذى لا يتفق فيه جانبان فى الطول نجد أن الفرق بين أطولها وأقصرها لا يتعدى ٧٫٩ بوصة . واتجاه كل جانب من جوانب الهرم يكاد يكون مضبوطا على خطوط الشمال والجنوب والشرق والغرب الحقيقية . وفيما يلى الخطأ الذى حقق فيها .

الجانب الشمالى ٢٨″ ٢′ الى الجنوب من الغرب ، والجانب الجنوبى ٥٧″ ١′ الى الجنوب من الغرب ، والجانب الشرقى ٣٠″ ٥ الى الغرب من الشمال ، والجانب الغربى ٣٠″ ٢′ الى الغرب من الشمال ، وكذلك نرى الدقة فى الأركان الأربعة ، اذ تكون زوايا قائمة ومقاساتها المضبوطة كالآتى :

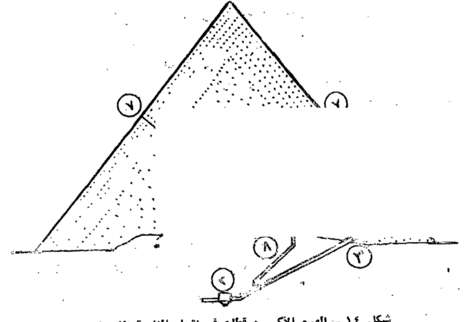
الشمالية الشرقية ٢٢″ ٣′ ٩٠° ، الشمالية الغربية ٥٨″ ٥٩′ ٨٩° ،
الجنوبية الشرقية ٢٧″ ٥٦′ ٨٩° ، الجنوبية الغربية ٣٣″ ٩٠° .

وعندما كان الهرم كاملا كان ارتفاعه ٤٨١٫٤ قدما ونقص الآن ٣١ قدما من قمته ، وتميل جوانبه الأربعة بزاوية مقدارها ٥٢ ′٥١ تقريبا نحو الأرض ، وتغطى قاعدته مساحة قدرها ١٣٫١ فدانا .

واذا نظرنا الى الهرم الأكبر من مسافة بعيدة خيل الينا أنه فى حالة من الحفظ تكاد تكون كاملة ، ولكن اذا فحصناه من مسافة قريبة نرى أنه قد عانى كثيراً من أيدى العابثين . فمن المحتمل أنه كان ينتهى بهريم من الجرانيت فى قمته ، وباثنى عشر مدماكا من الجرانيت أيضا . وقد زالت كلها من أعلاه ، ونزعت من جوانبه كل أحجار الكسوة الجيرية المجلوبة من طره باستثناء بعض الأحجار عند القاعدة. ونرى تحت المدخل الأصلى فى الواجهة الشمالية فتحة كبيرة قدت بدون عناية فى قلب البناء . وبناء على بعض الأخبار المتواترة من العصر الاسلامى فان تاريخ هذه الفتحة يرجع الى الجزء الأخير من القرن التاسع ، وأنها صنعت بأمر من الخليفة المأمون بن هارون الرشيد الذى ذاعت شهرته بما كتب عنه فى قصص ألف ليلة وليلة ، وذلك تحت تأثير الاعتقاد الخاطىء بأن الهرم يحوى كنزاً مخبوءاً ، فقد بقى الهرم حتى عهد المأمون سليم البناء بالرغم من نهب محتوياته ، وبعد ذلك العهد أصبح الهرم الأكبر محجراً ميسوراً لا ينضب معينه يمد

من يشاء بالأحجـار اللازمة لبناء القناطر فوق الترع ولتشييد المنازل والأسوار والمبانى الأخرى القريبة من الجيزة والقاهرة .

واذا صح فهمنا لترتيب حجرات وممرات الهرم الأكبر ، فانها يجب أن تفسر على أساس تطور تشييد هذا الهرم . فاذا قارناه بهرم ميدوم ، نجد أن التغييرات التى حدثت فى الهرم الأكبر أثناء بنائه كان أكثرهـا (ان لم يكن كلها — تغييرات فى الداخل ، فشكله من الخارج وأبعاده هى حسب التصميم الأصلى منذ الابتداء . ويقع المدخل فى الواجهـة الشمالية على ارتفاع نحو ٥٥ قدما فوق مستوى الأرض (شكل ١٤ — ١) ، ولا يقع بالضبط وسط الواجهة بل عند نقطة تبعد بمقدار ٢٤ قدما تقريباً من الوسط . وينحدر من المدخل ممر عرضه ٣ أقدام و ٥ بوصات وارتفاعه ٣ أقدام و ١١ بوصة تدريجيا بزاويـة قدرهـا ٢٣″ ٣١′ ٢٦° يسير أولا فى قلب بناء الهرم ثم يستمر بعد ذلك فى الصخر . وعلى مسافة ٣٤٥ قدما تقريبا من المدخل الأصلى يصبح الممر مستويا ويستمر أفقيا لمسافة ٣٩ قدما قبل أن ينتهى الى حجرة (شكل ١٤ — ٢) . وعلى الجانب الغربى من الجزء المستوى فى الممر بالقرب من مدخل الحجرة يوجد بروز لم يتم قطعه أبداً . ولم يكمل بناء الحجرة أيضا ، فأرضيتها غير المستوية وجدرانها التى لم يتم نحتها تجعلها أشبه بمحجر . وربما كانت الحفرة المربعة الغائرة فى أرضيتها هى الخطوة الأولى فى مشروع لم يتموه ، وهو تعميق هذه الحجرة . وبناء على رأى



شكل ١٤ — الهرم الأكبر ، قطاع فى اتجاه الناحية الغربية

فيز (Vyse) وبرنج (Perring) اللذين قاما بقياس هذه الحجرة في سنة ١٨٣٨ فان أبعادها كالآتي : الارتفاع ١١ قدما و ٦ بوصات ، ومن الشرق الى الغرب ٤٦ قدما ، ومن الشمال الى الجنوب ٢٧ قدما وبوصة واحدة . ولم يقم أحد بمراجعة هـذه الأرقام منذ هذا التاريخ ، لأنهم في أثناء الحفائر المتعاقبة ملأوا الجزء الأكبر من هذه الحجرة حتى السقف تقريبا بكتل من الأحجار ، ما زالت في مكانها ولم يقم أحد حتى الآن بتنظيفها .

وفي الجدار الجنوبي لهذه الحجرة وفي مواجهة المدخل فتحة تؤدي الى ممر مقفل نقر دون عناية ولم يتموه ، وان وجود هذا الممر يجعلنا نظن أن التصميم الأصلي ربما كان يقضي بنحت حجـرة أخرى بعـد الأولى وتتصل بها بممر . ويشبه ذلك ما اتبعوه في هرم سنفرو بدهشور ، غير أن الفرق الأساسي هو أن الحجرة الثانية في الهرم الأخير تقـع مباشرة تحت القمة ، وأن الأولى تقع الى شمالها ، بينما في الهرم الأكبر فان كلا الحجرتين تقعان في نقطة جنوب الخط الساقط عموديـا من القمـة .

ولا يخلو من الفائدة أن نقارن الحجرة الصخرية التي لم تتم بعـد بالوصف القصير الواضح للجزء السفلي من الهـرم الأكبر الذي كتبه هيرودوت (Herodotus) عندما زار مصر في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد . فقد قيل لهيرودوت ان تحت الهرم أقبية بنيت على شيء يشبه الجزيرة تحيطها مياه تأتي من النيل بواسطة قناة ، وأن القدماء وضعوا جسم خوفو فوق هذه الجزيرة ، ولكنه لم يوجد حتى الآن أي أثر للقناة أو للجزيرة ، والأرجح أنهما لم يوجدا أبداً .

ومع أن هذا الهرم قد فتح بكل تأكيد وبعثرت محتوياته قبل أيام هيرودوت بوقت طويل ، فمن المحتمل أنه سد ثانية أثناء العصر الصاوي حينما رمم عدد كبير من الآثار القديمة . والقصة التي يحكيها هيرودوت والتي لم يقل بأنه تثبت من صحتها بمشاهداته الخاصة ، ربمـا كان مرجعها الى ما نسجه خيال أدلاء الهرم جيلا بعد جيل وتناقلـوه على مر القرون .

وعندما جاء الوقت الذي تقرر فيه تغيير تصميم المشروع الأصـلي واستبدال حجرة الدفن السفلية المنحوته في الصخر بأخرى ضمن بناء الهرم ، كانت المباني العلوية للهرم قد وصلت الى ارتفاع بضعة أقدام ،

ولهذا عملوا ثقبا فى بناء سقف الممر المنحدر السابق عند نقطة تبعد حوالى ٦٠ قدما من المدخل ، ثم نحتوا ممرا جديداً صاعداً الى أعلى فى قلب البناء (شكل ١٤ — ٣) وملئت فوهة هذا الممر بعد الدفن بكتلة واحدة من الحجر الجيرى ، فأصبحت لا تفترق فى شىء عن باقى السقف فى الطرف العلوى للممر المنحدر ، ولكنهم لم يحكموا تثبيت هذا الحجر لأنه وقع عندما قام رجال المأمون بنحت النفق الذى نحتوه بالقرب منه . وبناء على آراء بعض الكتاب المسلمين فان الصوت الذى أحدثه سقوط هذه الكتلة على أرضية الممر المنحدر مكن العمال من معرفة مكان ممرات الهرم ، اذ أدركوا أنهم كانوا يعملون بعيدين بمسافة كبيرة غربى الممر الحقيقى .

ويتفق الممر الصاعد الذى يبلغ طوله ١٢٩ قدما تقريبا مع عرض وارتفاع الممر النازل ، ويطابق ميل زاويته وقدرها ٣٠" ٢' ٢٦° انحدار الممر النازل ولا يختلف عنه بأكثر من جزء من درجة .

وعند نهايته السفلى فوق الفتحة التى حدثت من انزلاق كتلة الحجر الجيرى مباشرة ، توجد ثلاث سقاطات كبيرة من الحجر الجرانيتى وضعت كل منها خلف الأخرى . وتملأ هذه السقاطات الممر الأصلى تماماً ، وقد تفاداها رجال المأمون بأن قطعوا فى الحجر الجيرى السهل ممراً فى الجدار الغربى حتى وصلوا الى نقطة تبعد عن أعلى تلك السقاطات الثلاث . وعندما قام بورخارت Borchardt بدراسة جدران هذا الممر لاحظ أن الأحجار فى الطرف السفلى قد وضعت موازية تقريباً للارضية ، بينما كل الأحجار فى الطرف العلوى كانت موازية لانحدار الممر ، فاستنتج من ذلك أن النقطة التى تغيرت عندها الزاوية هى أقصى ما وصل اليه ارتفاع بناء الهرم عندما أرادوا أن تكون حجرة الدفن فى البناء العلوى للهرم . ولاحظ بورخارت أيضاً أن لحامات الأحجار عند الطرف السفلى غير منتظمة ، بينما نرى لحامات الأحجار عند الطرف العلوى محكمة تماما ، مما أيد اعتقاده بأن الجزء السفلى من الممر قطع فى قلب جزء كان قد تم بناؤه ، فى حين أن الجزء العلوى بنى كالمعتاد مع باقى الهرم . وسميت الأحجار التى لم توضع فى الجزء العلوى موازية للانحدار « بالأحجار الرابطة » ، وهذا التعبير يستعمل لوصف حجر واحد أو حجرين موضوعين فوق بعضهما ينحت فيهما ممر . وهذه « الأحجار الرابطة » التى وضعت على مسافات منتظمة وتبعد عن بعضها ١٧ قدما وبوصتين ربما تفسر لنا السر فى التكوين الهندسى للهرم الأكبر الذى سنقوم بشرحه فى فصل آخر .

وفى أثناء تشييد الممر الصاعد ربما كان قصد البنائين أن تحتل حجرة الدفن مكاناً فى وسط الهرم فى الجزء العلوى منه دون أن ترتفع كثيراً فوق مستوى الأرض . وقد بنوا تلك الحجرة فعلا فى نهاية ممر يبدأ من أعلى الممر الصاعد (شكل ١٤ — ٥) وسماها العرب « حجرة الملكة » ، وهى تسمية خاطئة ظلت حتى الآن . وتقع هذه الحجرة فى الوسط تماماً بين جانبى الهرم الشمالى والجنوبى ، وأبعادها ١٨ قدما و ١٠ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٧ قدما وبوصتان من الشمال الى الجنوب ، ولها سقف مدبب يعلو الى ارتفاع ٢٠ قدما و ٥ بوصات ، وفى جدارها الشرقى فجوة ذات جوانب متداخلة يبلغ عمقها الأصلى ٣ أقدام و ٣ بوصات فقط ، ولكن جدارها الخلفى نزعه الباحثون عن الكنوز ، وارتفاعها ١٥ قدما و ٤ بوصات ، وعرضها عن القاعدة ٥ أقدام وبوصتان .

وربما كان الغرض منها أن يوضع فيها تمثال ، ولكنه لم يوضع قط على الأرجح . وهناك أدلة عديدة على أن العمل فى حجرة الملكة أوقف قبل أن تتم ، فأرضيتها مثلا خشنة للغاية ، فلو ان هذه الحجرة أكملت لبلطت بأحجار ملساء . ومرة ثانية نجد فى الجدارين الشمالى والجنوبى منها فتحات صغيرة مستطيلة يتفرع منها منافذ تمتد أفقيا لمسافة تبلغ نحو ٦ أقدام و ٦ بوصات ، ثم تنحرف الى أعلى بزاوية مقدارها ٣٠° تقريبا (شكل ١٤ — ٦) . وهذه الفتحات لم تنحت فى الوقت الذى بنيت فيه الحجرة ، وهذا يثبت أن العمل لم ينته فى هذه الحجرة ، وذلك ما ظنه فى سنة ١٨٧٢ مهندس يدعى وايمان ديكسون (Wayman Dixon) ، وقد جعله يبحث عنها وجود ما يماثلها فى حجرة الملك العليا . ولكن تلك الثقوب التى فى حجرة الملك تختلف عن تلك التى فى حجرة الملكة ، اذ ان الأخيرة لا تنفذ الى السطح الخارجى للهرم ، وهذه الحقيقة تمدنا ببرهان آخر على تغيير التصميم الأصلى . ويفسر لنا هذا الغرض أيضا اختلاف السطوح فى أرضية الممر الذى يربط الممر الصاعد بالحجرة . ففى بدايته لا يزيد ارتفاع هذا الممر عن ٣ أقدام و ٩ بوصات ، ولكن بالقرب من الحجرة نجد انخفاضا فى الأرضية يزيد من ارتفاعه الى ٥ أقدام و ٨ بوصات .

وأدى تغيير تصميم البناء وعدم الانتهاء من تشييد حجرة الملكة الى بناء عملين من أشهر الأعمال الهندسية التى بقيت لنا من الدولة القديمة ، وهما الدهليز الكبير وحجرة الملك . وقد بنى الدهليز الكبير (شكل ١٤ — ٤) كاستمرار للممر الصاعد ، ويبلغ طوله ١٥٣ قدما

وارتفاعه ٢٨ قدما . وترتفع جدرانه المبنية بالحجر الجيرى المصقول راسيا الى ارتفاع ٧ أقدام و ٣ بوصات ، ثم تبتدىء المداميك الباقيـــة — وعددها سبعة — يميل كل منها الى الداخل أكثر من المدماك الذى يرتكز عليه بمقدار ٣ بوصات ، فيكون من ذلك سقف متداخل ذو أبعاد أعظم من أى سقف آخر من هذا النوع ، والمسافة بين المداميك العلوية فى الجانبين عند السقف مقدارها ٣ أقدام و ٥ بوصات عرضا ، وسقفها مكون من أحجار وضع كل منها بزاوية تقل عن انحدار الدهليز . ويقول السير فلندرز بترى معقبا على هذه الطريقة فى وضع الكتل ، بأنهـا عملت لكى تكون الحافة السفلية من كل حجر كسقطة التروس بحجزها سن محفور فى أعلى الجدران حتى لا يضغط أى حجر على الحجر الذى يليه فيحدث ضغط كلى على السقف ، بل يستند كل حجر على انفراد على الجدران الجانبية الموضوع فوقها (١) ، وفى أسفل كـل جـدار يوجد افريز منحدر سطحه مستو وارتفاعه قدمان وعرضه قدم و ٨ بوصات يمتد على طول الدهليز من أوله الى آخره . ويجرى ممـر — أبعاده مثل أبعاد السقف وعرضه ٣ أقدام و ٥ بوصـات — بين الافريزين المنحدرين . ويوجد الآن فى الطرف السفلى لهذا الممر ثغرة سببتها ازالة الأحجار التى كانت تربط فى الأصل أرضية الممر بأرضية الممر الصاعد ، وكانت تغطى فى الوقت نفسه فتحة الممر الأفقى المؤدى الى حجـرة الملكة . وفى هذه الثغرة نجـد أن الحجر الذى فى أسفل المنحدر الغربى قد أزيل ، فكشف عن البئر التى تهبط تارة عموديـة وتارة أخرى تميل أولا فى قلب بناء الهرم ثم فى الصخر حتى ينفـذ فى الجدار الغربى للممر النازل (شـكل ١٤ — ٨) . وسنتحـدث عن الغرض منه وعن بعض الظواهر فى الدهليز الكبير بعد شرح حجـرة الملـك .

وتؤدى درجة سلم مرتفعة فى الطرف العلوى من الدهليز الكبير الى ممر ضيق منخفض يفضى الى حجرة الملك ، وبعد مسـاحة تبلغ ثلث طوله يرتفع هذا الممر ويتسع فيصبح شبيها بردهة بنيت جدرانها الجنوبية والشرقية والغربية من حجر الجـرانيت ، ونحتت أربـع دخلات عريضة فى كلا الجدارين الشرقى والغربى من هذه الغرفة ، ثلاث منها ممتدة من الأرضية وواحدة منهـا — الواقعـة فى أقصى الشمال — تنتهى عند مستوى سقف الممر . وأعدت الشقوق الطويلة

(١) W. M. Flinders Petrie, The Pyramids and Temples of Giza, p. 72.

لثلاث سقاطات لم يبق لها من أثر . وفى الدخلتين القصيرتين ما زالت كتلتان من الجرانيت فى أماكنهما فى عرض الردهة ، احداهما فـوق الأخرى . وربما كانت هناك كتلة ثالثة تملأ المسافة الباقية بين الكتلة العلوية والسقف . ولولا وجود مثل هذا الحاجز لتمكن اللصوص من الصعود خلال الثغرة والمرور بدون عائق بين السقاطتين الأوليين .

وبنيت حجرة الملك كلها بالجرانيت ، وتبلغ أبعادها ٣٤ قدما و ٤ بوصات من الشرق الى الغرب ، و ١٧ قدما وبوصتين من الشمال الى الجنوب ، وارتفاعها ١٩ قدما وبوصة واحدة . ويوجد فى الجدارين الشمالى والجنوبى — على ارتفاع نحو ٣ أقدام من الأرضية — فتحتان مستطيلتان لمنفذين ، يختلفـان عن مثيليهما فى حجرة الملكـة بكونهما يخترقان بناء الهرم وينفذان الى سطحه الخارجى . ويميل الشمالى منهما بزاوية قدرها ٣١° والجنوبى بزاوية قدرها ٤٥° (شكل ١٤ — ٧) . ولا يعرف بالضبط الغرض من وجودهما ، وربما كان الغرض منها تهوية الحجرة او لغرض دينى مازال العلماء مختلفين فى تحديده . ويقوم بالقرب من الجدار الغربى تابوت مستطيل من الجرانيت بدون غطاء ، كان يحوى يوما ما جثة الملك فى تابوت آخر من الخشب . وسطح التابوت خشن وكثير من عـلامات نشر الحجـر عـند قطعه ما زال واضحا . واكتشف السير فلندرز بترى أن عرض هذا التابوت يزيـد بوصة عن عرض الممر الصاعد عند فوهته ، واستنتج من ذلك أنه وضع فى مكانه عندما كان العمل جاريا فى الحجرة .

ولا يوجد لسقف حجرة الملك ما يماثله من الناحية المعماريـة ، اذ يوجد فوق سقفها المسطح — الذى يتكون من تسـع كتـل تزن فى مجموعها ٤٠٠ طن — خمس حجرات منفصلة ، سقف الأربـع الأولى منها مسطح ، أما سقف الحجرة الخامسة فمدبب . ويظهر أن الغرض من بنائها كان لتفادى خطر انهيار سقف الحجرة تحت ثقـل المبانى فوقها . وسواء تطلبت طبيعة البناء اتخاذ مثل هذه الاحتياطات الشديدة أو كانت أمراً قابلا للأخذ والرد ، فقد أثبتت الأيام ما يبرر بناءهـا ، فان كلا من الكتل الجرانيتية التسع التى يتكون منها سقف الحجـرة ، وكثيراً من تلك التى فى الحجرات التى فوقها للتخفيف عنها قد تصدع على الأرجح بسبب زلزال ، الا أنها بقيت كلها فى أمكنتهـا ولم تسقط واحدة منها .

ويمكن الدخول الى الحجرة السفلى من الحجرات الاضافية عن طريق ممر يبدأ من فتحة فى اعلى الجدار الشرقى للدهليز الكبير ، ونحن

لا نعرف الوقت الذى قطع فيه هذا الممر ، ولا نعرف من قـام بـه .
ولكن أول من اشـار اليه الرحالة الأوروبى دافيسون (Davison)
الذى زار الهرم فى عام ١٧٦٥ . ولم تكتشف الحجرات الأربع العلوية
حتى عام ١٨٣٧ — ٣٨ عندما فتح الكولونل هوارد فيس و. ج. س.
برنج طريقا اليها بتفريغ ممر يصعد اليها من أسفل . وقد بنيت بعض
جدران هذه الحجرات العلوية من الحجر الجيرى ، ولما كان المفروض
ألا يراها احد ، لم يهتموا بتسوية سطح جدرانها ، ولهذا فلا زالت
معظم الكتل تحتفظ بالعلامات التى خطت عليها بالمغرة الحمراء فى
المحجر . وعلى أحد هذه الأحجار ورد اسم خوفو مكتوبا للمرة الوحيدة
فى هذا الهرم .

ونظرا لانحدار الممر الصاعد فى الهرم الأكبر الى أعلى فان عملية
سده بعد الانتهاء من الدفن كانت عملية شاقة غير عادية . فالممرات
فى الأهرام الأخرى اما منحدرة الى أسفل أو مستوية تقريبا ، لذلك
استطاعوا بسهولة كبسها بأحجار السدادات التى كانت توضع خارج
الهرم حتى يحين وقت الحاجة اليها . وقد سدوا الممر الهابط فى الهرم
الأكبر بهذه الطريقة ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك فى الممر الصاعد . ولم
تكن عملية رفع السقاطات الجرانيتية الثقيلة من الفتحة التى فى سقف
الممر الهابط هى التى سببت كثيراً من الصعوبات الآلية فحسب ، بل
ان ادخال السقاطات بهذه الطريقة لا يؤدى الغرض منها ، لأنه لا يمكن
احكام وضعها فى أماكنها . ولم يبق اذن مجال للخيار سوى
تخزين السقاطات فى مكان ما داخل الهرم أثناء البناء ثم دفعها الى أسفل
الممر الصاعد بعد وضع الجثة فى حجرة الدفن . والذى يثبت أنهم
لجأوا الى هذه الطريقة وجود السقاطات الثلاث التى مازالت فى مكانها
عند الطرف الأسفل للممر الصاعد ، وهى اعرض من الفتحة بنحو
بوصة واحدة ، وعلى ذلك فلا يمكن ادخالها فى الممر الهابط . ومع
ذلك فتظهر أمامنا مشكلتان ، أولاهما : أين خزنت السقاطات قبل
انزالها الى داخل الممر الصاعد ؟ والثانية : كيف أفلت الرجال الذين
كان عليهم أن يدفعوا بهذه السقاطات من الخلف من الهرم بعد أن
انتهوا من عملهم ؟

والى أن اكتشف بترى أن الممر الأفقى المؤدى الى حجرة الملكة
كان أنقص ببوصة فى كل من العرض والارتفاع عن السقاطات ،
كان يظن أنها خزنت اما فى الممر أو فى حجرة الملكة . ونستطيع
أن نجد العرض والارتفاع اللازمين فى الفجوة التى بين قمة الممر

الصاعد وبين الطرف السفلى لمر الدهليز الكبير ، ولكن طول الفجوة لا يكفى لتشوين السقاطات إذا وضعت طرفاً لطرف . وعلاوة على ذلك فهناك شيء من الشك فى أنهم أقاموا على هذه الفجوة جسراً بكتل من الحجر فى الوقت الذى وضعوا فيه هذه السقاطات فى انتظار نقلها الى أمكنتها .

وزيادة على ذلك فان المر المؤدى الى حجرة الملك يجب استبعاده نظراً لنقص ارتفاعه ، وبالتالى حجرة الملك نفسها . ولذلك استنتج بترى أن السقاطات قد خزنت فى ممر الدهليز الكبير حيث يتيسر كل ما تتطلبه من مساحة كافية . ولكن هذا التفسير — كما أدرك بترى نفسه — كان يقوم ضده أن وجود السقاطات مشونة فى المر يعوق موكب الدفن ، ويتحتم فى مثل تلك الحالة اما أن يصعدوا بالجثة فوق السدادات أو تجر الى أعلى فوق الافريزين الجانبيين . والواقع أن الاعتبارات المتعلقة بحجم السقاطات تحول دون وجود حل آخر .

ولكن بورخارت — مع اقتناعه براى بترى فى أن السقاطات قد خزنت فى الدهليز الكبير — قد أشار الى أن بترى قد فشل فى تفسير وجود ثمانية وعشرين ثقباً على مسافات منتظمة فى السطح العلوى لكل من الافريزين الجانبيين . وهناك ظاهرتان أخريان لم يفسرهما بترى ، ويظهر أن لهما صلة بموضوع الثقوب ، وهما أولا كتل الأحجار الصغيرة التى حشرت فى الحوائط الجانبية فى مواجهة الثقوب وقد حفر بسطح كل منها شق ، وثانياً ذلك الشق الطويل المستمر الغائر فى الجزء السفلى من ثالث درج بارز من قاع كل من الحائطين الجانبيين ، وهذا الشق الذى يبلغ عمقه حوالى بوصة يمتد بطول جانبى الدهليز .

وقد اقترح بورخارت — بعد أن فحص هذا الدليل جيداً — أن الثقوب والفتحات قد عملت لتوضع فيها قوائم خشبية تحمل أرضية مصنوعة أيضا من الخشب يثبت جانباها فى الشقين الطويلين ، وكان الغرض من هذه الأرضية هو تخزين السقاطات ليستطيع الموكب الجنائزى أن يصعد المر الى أعلى بدون عائق ، ولكن طوله كان أكثر جداً مما يلزم لتخزين ثلاث سدادات فقط ، وربما كانت هناك فكرة أصلية عدلوا عنها فيما بعد وهى ملء المر الصاعد كله بالسقاطات .

ومنذ اللحظة التى تم فيها وضع السدادة الأخيرة فى الطرف العلوى للممر الصاعد ، أصبح العمال الذين كانوا مكلفين بعملية وضع السقاطات فى أماكنها النهائية غير قادرين على ترك الهرم بالطريق

العادى ، ولذلك احتاطوا لذلك فى عمل وسيلة الاقفلات بواسطة البئر التى تبدأ من الفجوة عند الطرف العلوى من الممر الصاعد وتنتهى عند الممر النازل (شكل ١٤ — ٨) . وليست هناك أى قيمة للتفكير فيما إذا كانت هذه البئر قد عملت بعلم أو بدون علم خوفو ، ولكن عـادة دفن الأشخاص أحياء لم يمارسها المصريون فى عصر بناة الأهـرام بكـل تأكيد . ولا بد أن البئر كانت مختفية تماماً وقت الدفن تحت كتل الأحجار التى تغطى الفجوة ، وكذلك الحجر الأسفل فى المنزلق الغربى ، وهى لا وجود لها الآن .

ولم تكن ازالة هذه الأحجار بالشىء الصعب على العمال عندمـا حان الوقت ليشقوا لهم طريقاً للنزول ، وبعد أن وصل آخـر عامل الى قاع البئر غطيت الفتحة التى فى الجدار الغربى من الممـر النازل بكتلة من الحجر ، وبذلك لا يمكن تمييزها عن باقى الممر .

وغطوا فى الوقت ذاته مدخل الممر الصاعد بعد السقاطة الأولى بكتلة من الحجر ، وهى التى سقطت الى أرضية الممر النازل عندمـا اقتحم عمال الخليفة المأمون طريقهم داخل الهرم .

وقد ذكر سترابو (Strabo) شيئاً عن طريقة غلق مدخل الهرم تسبب ما ذكره كثيراً من التخمينات ، فقد ورد فى مؤلفه عن الجغرافيـا (Geographica) الذى كتبه قبيل ظهور المسيحية ، أن الهرم الأكبر كان يحتوى على كتلة من الحجر فى مكان مرتفع قليلا فى احد جـوانبه يمكن نزعها ، فاذا رفعت من مكانها نرى وراءها ممراً نازلا الى أساس الهرم . وفسر بترى ذلك بأنه كان للهرم الأكبر باب متحرك يسـقط من أعلى الى أسفل ومكون من كتلة واحدة من الحجر مثبتة فى عقبين فى الجزء العلوى من الجانبين . وتدعيما لنظريته ذكر أنه يوجـد فى كل من الممرين الشماليين فى الهرم المنحنى وهرم ميدوم تجـاويف نحتت فى الجدران الجانبية بالقرب من المدخل كان المقصود منها تثبيت أعقاب الأبواب فيهـا .

ونظراً لضياع الكسوة الخارجية أصبح من المستحيل أن نقرر ما اذا كان مدخل الهرم الأكبر مزودا بأمثال هذه التجاويف أو لم يكن . وعلى أى حال فان من الصعب التسليم بأن الباب الذى ذكره سترابو — اذا كانت كلماته قد فهمت على حقيقتها — يرجـع تاريخـه الى العصر الذى بنى فيه الهرم . فلم يكن للسدادات والسقاطات أية قيمة

لسد الممرات فى الأهرام ، اذا كانوا يقدرون امكان الدخول بعد ذلك الى الحجرات الداخلية ، ولأن وجود الباب المتحرك يدعو الى التفكير فى أنهم كانوا يقصدون ذلك .

ومن المحتمل أن مدخل الهرم الأكبر — مثل المدخل الغربى للهرم المنحنى الذى ما زال سليما — مغطى بطبقة من أحجار الكسوة تجعله لا يمكن تمييزه عن باقى السطح الخارجى للهرم . وعندما اقتحم اللصوص الهرم لأول مرة — وربما كان ذلك أثناء عصر الفوضى التى جاءت فى أعقاب الدولة القديمة — تحتم عليهم أن يشقوا طريقا خلال الكتل الحجرية التى تغطى المدخل . ولسنا نعرف المدة التى ظل الهرم مفتوحا خلالها ، ولكن ربما أغلق واقتحم ثانية أكثر من مرة أثناء الأسرات المتعاقبة حتى ركب له اخيرا — ربما فى العهد الصاوى — باب يناسب وصف سترابو ، فاذا صح هذا القول — وهو تخمين صرف — فانه من الضرورى أيضا أن نفرض اما أن يكون وجود هذا الباب قد نسى امره ، واما انه سد بأحجار غطته فى وقت ما أثناء المدة بين زيارة سترابو وبين القرن التاسع الميلادى ، اذ ليس هناك تفسير آخر لعدم اقتدار الخليفة المأمون على العثور على المدخل حتى لجأ الى شق ممر جديد فى أحجار مبنى الهرم نفسه .

ومع أن المبانى التى كونت مجموعة الهرم الأكبر عند تشييده قد اختفت كلها أو بعضها ، فان آثارها الباقية كافية لتبين على وجه العموم مطابقتها لغيرها من المبانى المماثلة . وليس هناك الآن شىء باق من جدار السور الخارجى الذى كان حول الهرم ، ولكن جزءاً من الأرضية المصنوعة من الحجر الجيرى الناعم والتى تغطى المسافة بين الهرم وهذا السور لازالت فى حالة جيدة من الحفظ ، وكان المعبد الجنازى ملتصقا بواجهة الهرم الشرقية ، وكانت أرضيته مصنوعة من حجر البازلت المصقول فوق طبقة من الحجر الجيرى ، وكانت الجدران فى جزء منها على الأقل مكسية بالجرانيت ، ويقع فى شمال وجنوب المعبد حفرتان كبيرتان على هيئة مركبين نقرتا فى الصخر . وتقع حفرة ثالثة من هذا النوع فى الجانب الشمالى من الطريق الجنازى بالقرب من المعبد . ويبدو واضحا أن كل هذه الحفر كانت مسقفة ، ولكن رغم هذه الحيطة لم يبق شىء من المراكب التى كانت تملؤها فى الأصل ، وان اختفاءها الكامل يحملنا على الظن بأنها كانت مصنوعة من الخشب ، وهو مادة ليست سريعة العطب فحسب ، بل فى الاستطاعة حملها

بسهولة أكثر من نقل الحجر (١) . وقد عثر فعلا على أجزاء من الخشب فى الحفرة التى تشبه المركب والمبنية بالطوب اللبن فى مصطبة عحا بسقارة ، ومع أنه من الواضح أن هذه المراكب قصد بها مد الملك المتوفى بوسيلة أنتقال فى العالم الآخر ، الا أن المكان أو المنطقة التى تستخدم فيها مازال من الأمور الغامضة . وتتطلب ديانة الشمس وجود مركب لمرافقة اله الشمس فى رحلته اليومية عبر السماء ، وفى رحلته الليلية تحت الأرض ، كما يحتاج اليها للوصول الى المنطقة الواقعة بعد الأفق الشرقى حيث يظن أن الآلهة يسكنون فيها . وفى ديانة أزوريس لابد من وجود مركب للانتقال به الى أبيدوس وأبو صير ، والى أن نعرف معلومات أوفى عن العقائد الدينية فى المدة التى تسبق الأسرة الخامسة ، سيظل موضوع تلك المراكب وتفسير وجودها أمراً تختلف حياله آراء الباحثين .

وعلى زاوية قائمة من الطرف العلوى للطريق الجنازى من ناحيته القبلية ، نرى صفا من ثلاثة أهرام اضافية يلتصق بالواجهة الشرقية لكل منها هيكل صغير متخرب ، والى جوار الهرم الأول منها حفرة مركب صغيرة . ويعتقد ريزنر Reisner أن هذا الهرم لزوجة خوفو المفضلة التى — طبقا للعادات المصرية — كانت شقيقته فى الوقت ذاته على الأرجح ، أما عن الهرم الثانى فقد حكى هيرودوت القصة التالية :

« وصلت شرور خوفو الى الحد الذى جعله يفعل الآتى .. فبعد أن صرف كل أمواله وأراد المزيد أرسل ابنته الى بيوت الدعارة وأمرها أن تحضر له مبلغاً معيناً من المال — ولست أستطيع معرفة كميته لأنى لم أسمع ذلك من أحد — وحصلت على المبلغ .. وفى الوقت ذاته رغبت فى أن تترك أثراً يخلد ذكراها ، فطلبت من كل رجل أن يقدم لها هدية من حجر ليفيدها فى العمل الذى كانت تفكر فيه .. وبهذه الأحجار بنت الهرم الذى يقع فى وسط الأهرام الثلاثة التى أمام الهرم الأكبر ويبلغ طول ضلعه مائة وخمسين قدما » (١) .

ولحسن الحظ لا يوجد سبب واحد يحملنا على الظن بأن تفاصيل هذه القصة تمت الى الحقائق التاريخية بأية صلة . فنحن نعرف أن

---

(١) عثر فى صيف ١٩٥٤ على مركبين سليمتين فى الجهة الجنوبية من الهرم الإكبر . (المعرب) .

(١) Herodotus, II, 126 (Rawlinson's translation).

الهرم الثالث نسب فى العصور المتأخرة الى الملكة حنوتسن (Henutsen) التى ربما كانت أختا غير شقيقة للملك . وفى أثناء الأسرة الواحدة والعشرين قدست مع الالهة ازيس وأطلق عليها اسم « محبوبة ايزيس الأهرام » . وفى هذا الوقت أيضا وسعوا الهيكل الصغير الملاصق للهرم ليصبح معبداً يتناسب مع مكانة الالهة ايزيس .

ويتكون الطريق الجنازى من ممر بنى اما فوق الصخرة مباشرة ، أو فى تلك الأماكن ، حيث ينخفض كثيراً مستوى الصخر ، فوق جسر من المبانى . وبناء على ما ذكره هيرودوت فقد استغرق بناء الطريق الجنازى والمبانى الأخرى عند قاعدة الهرم عشر سنوات . والآن لم يبق سليما من هذا الممر شىء ، ولكن مازال بعض الجسور قائما فى المجر الصغير الذى يمر فوقه ، ثم عند عبوره حافة الهضبة . ولا يزال الجزء الأسفل من الطريق الجنازى ، وما عساه أن يكون قد بقى من مبنى الوادى دون كشف ، تحت منازل القرية الحديثة المعروفة باسم نزلة السمان . وبالقرب من وسط الطريق الجنازى أقيم نفق ليستطيع من يريد العبور أن يفعل ذلك دون أن يلف طويلا حول الهرم أو مبنى الوادى .

وذكر هيرودوت عند وصفه للطريق الجنازى أنه بنى بأحجار مصقولة حفرت عليها صور حيوانات . وقد شك بعض الأثريين فى صحة ذلك ، لأنه لم يعثر على أى أثر لنقوش فى أى هرم من أهرام الأسرة الرابعة ، أو حتى فى مبانيهم الملحقة بها ، مع أن بعضاً من المصاطب الخاصة المعاصرة قد اشتملت بكل تأكيد على نقوش . وربما كان السبب فى عدم وجودها ، هو أن المهندسين فى ذلك العصر كانوا مشغولين باتقان صناعة استخدام الحجر الجرانيتى ، واتقان فن تشييد المبانى الضخمة . الا أن و . ستيفنس سميث (W. Stevenson Smith) — الذى ساعد ريزنر فى حفائره بجبانة الجيزة — قد قرر حديثاً اكتشاف بعض قطع من النقوش الجميلة البارزة وسط خرائب المعبد الجنازى عند قمة الطريق الجنازى . فاذا سلمنا على أساس هذا الاكتشاف بأن جدران المعبد الجازى كات محلاة بنقوش بارزة فذلك دليل على صحة ما ذكره هيرودوت عن الطريق الجنازى (١) .

---

(١) عثر فى معابد سنفرو بدهشور على نقوش كثيرة فى عام ٥١ . ١٩٥٢ . (المعرب) .

والى جنوب الطريق الجنازى وعلى مقربة من الهرم الاضافى الأول عثر ريزنر Reisner فى عام ١٩٢٥ على حجرة دفن من عصر الدولة القديمة لم يعرف اللصوص طريقهم اليها ، ولم يكن أحد قد عرف مكانها من قبل ، وتقع فى قاع بئر عمودية عمقها ٩٩ قدما ملئت كلها بالمبانى . وفى داخل هذه الحجرة وضعوا التابوت المرمرى الجميل والأثاث الجنازى للملكة حتب — حرس (Hetep-heres) زوجة الملك سنفرو وأم الملك خوفو . ومع أن التابوت وجد خالياً الا انه عثر على الأحشاء التى استخرجت من الجسد ، لتساعد على الاحتفاظ به ، فى صندوق من المرمر يطلق عليه اسم الصندوق الكانوبى (Canopic chest) .

وحاول ريزنر أن يفسر عدم وجود الجسد ما دامت الحجرة لم تمس فقال ان حتب — حرس دفنت فى مقبرة بدهشور بالقرب من هرم سنفرو ، ولكن بعد دفنها مباشرة اقتحم اللصوص قبرها واخذوا الجسد بما عليه من جواهر وحلى ذهبية ، الا أنهم قبل أن يتمكنوا من سرقة باقى الأثاث وصلت أخبار اقتحام المقبرة الى سمع الملك . وأملا فى تفادى تكرار ذلك ، عزم خوفو الذى ربما لم يخبره أحد باختفاء الجثة على نقل مقبرة أمه — سراً — الى الجيزة ، حيث تصبح فى أمان ورعاية مثل هرمه . وزيادة فى الحيطة لم يبن فوق القبر الجديد أى مبنى علوى ، وعندما تراكمت الرمال فوق فوهة البئر لم يظهر من معالمها أى أثر ، ولهذا بقيت غير معروفة المكان حتى القرن العشرين عندما قام المكتشف الأمريكى بكنس الرمال عن الأرض الصخرية . وفى ذلك أحسن دليل على نجاح فكرة خوفو .

ومن بين الأشياء التى عثر عليها فى هذه الحجرة أوان من المرمر ، وابريق من النحاس ، وثلاث أوان ذهبية ، وأمواس وسكاكين من الذهب ، وأدوات من النحاس ، وآلة ذهبية لتقليم الأظافر مدببة من أحد طرفيها لتنظيف الأظافر ومقوسة من الطرف الآخر لضغط أطراف اللحم عند الظفر الى أسفل ، واحتوى صندوق الزينة على ثمان أوان صغيرة من المرمر ملأى بالعطور والكحل . وكان فى داخل صندوق الجوهرات عشرون خلخالا من الفضة ، رصع كل منها بفراشات من الدهنج واللازورد والعقيق الأحمر . ومن بين الأشياء الكبيرة الحجم اطار خيمة مصنوع من الخشب ومغلف بالذهب ، وكرسيان بمساند ، وسرير غلف جزء منه بصفائح من الذهب ، أما ناحية القدمين من السرير فهى لوحة من الذهب مرصعة برسوم

نباتية ذات رسوم زرقاء وسوداء . وهناك أيضا محفة مصنوعة من الخشب وكسى جزء منها بصفائح من الذهب محلاة بكتابات هيروغليفية من الذهب ، مثبته فى لوحات من الأبنوس ومكررة أربع مرات وترجمتها : « أم ملك الوجه القبلى والبحرى ، تابعة حورس ، رائدة الحاكم ، العزيزة التى تنفذ كل أوامرها ، ابية الاله [المولودة] من صلبه ، حتب حورس » .

ومهما أطنبنا فى الوصف فان ذلك لا يفى بحق المهارة الفنية ودقة صناعة الأثاث الجنازى الخاص بالملكة حتب . حرس ، فاذا قارنا أثاث هذه المقبرة باثاث مقابر العصور التالية فانه ببساطته المتناهية يجعل ما عداه يبدو مجردا من الذوق . ولم يتأثر غير الخشب فقط بمرور الزمن ، فتحلل أو تقلص حجمه الى درجة حالت دون اعادة استخدامه عندما أراد اخصائيو بعثة بوسطن — هارفارد اعادة تركيب الأشياء كما كانت قبل تسليمها الى المتحف المصرى بناء على قوانين الحفر المصرية .

ومن رأى ريزنر أن بعضا من هذه الأشياء على الاقل قد استعملته حتب . حرس أثناء حياتها . وهو رأى محتمل الى حد كبير ، فان الأدوات الشخصية من هذا النوع كانت لا توضع فى المقبرة حتى يحين وقت الدفن ، أما الأوانى والجرار التى يضعون فيها المأكولات وغيرها فكانت توضع فيها مقدما . وسواء اكانت هذه الأشياء جزءاً من أثاث جناح الملكة فى القصر أم لا ، فانه أمر ذو أهمية ثانوية . فأهمية هذا الاكتشاف الحقيقية هى فى الضوء الذى ألقاه على ما وصلت اليه المجهودات العملية والفنية فى الأسرة الرابعة ، وفيما أمدنا به من دليل لا يقبل الشك عن أنواع الأثاث الذى كان يوضع فى المقابر الملكية من ذلك العصر .

ومما زاد فى التأثير الفنى للهرم الأكبر تنسيق ما حوله من مبان . فقد كانت الأهرام الأخرى محاطة بمقابر موظفى وأقارب وأصحاب تلك الأهرام ، ولكنهم لم يعنوا الا قليلا بتنظيم أمكنتها وترتيبها ، ولكننا نرى فى شرق وغرب السور الذى كان يحيط بالهرم الأكبر جبانة كبيرة رتبت مصاطبها فى صفوف متوازية يبعد كل منها عن الأخرى بضعة أقدام . ولم يبن فى جنوب الهرم الا صف واحد منها بينما انعدم وجودها فى الشمال . وعنوا أيضا بتخصيص المقابر ، فتلك التى فى الجبانة الشرقية وزعت على أقرب أقرباء الملك ، وتلك التى فى الجبانة الغربية — وهى الأكثر عدداً — وزعت على الموظفين .

ومع أن معظم هذه المصاطب قد تعرت من كسوتها الخارجية كلها الا انه يجب أن نتصور أنها كانت كلها فى الأصل مكسية بأحجار طره الجيرية . وكان لونها كلها على نمط واحد يتفق ولون الهرم الكبير الذى يرتفع عاليا فى وسطها . ولاحظ هرمان يونكر (Herman) Junker الذى قام بحفر جزء من الجبانة الغربيه ملاحظة جديرة بالاعتبار . وهى أن الفكرة المصرية عن رغبة الملك المتوفى بأن يظل محاطا فى العالم الآخر باقاربه وأتباعه الخلصاء ، لم توجد بهذه الصورة الواضحة كما وجدت فى ترتيب مقابر هذه الجبانة . وربما قال قائل — وهو محق أيضا فى قوله — بأن الفارق بين الحاكم الالهى وبين رعاياه المتوفين لم يمثل بصورة أوضح وأقوى من الفارق بين ذلك الهرم المتسامى فى الارتفاع وتلك المصاطب المسطحة البسيطة .

ويبدو أن ما قصد اليه خوفو من التنظيم المعمارى لقبره لم يلق الا قليلا من التقدير من الأجيال التى جاءت بعده ، ففى الأسرتين الخامسة والسادسة اختل النظام الأساسى للجبانة ببناء مصاطب أصغر حجما فى المسافات التى بين صفوف المصاطب الكبيرة ، وكان أصحاب هذه المقابر اما موظفين فى الجبانة أو من كهنة الموتى الذين كانوا يقومون فى حياتهم بالواجبات المختلفة المعتبرة ضرورية لرفاهية الملك المتوفى وعشيرته . وفى العصور المتأخرة ، وبالأخص فى العصر الصاوى ، ساد الاعتقاد بأن الدفن فى منطقة أهرام الجيزة الثلاثة يفيد الموتى فوائد خاصة ، ونتيجة لذلك أصبحت المنطقة اشبه بخلية النحل تملؤها المقابر المختلفة ، وترتب على ذلك أن تصميمها الأول المنتظم أصبح خافيا على الأنظار من جراء ما استجد عليه .

ويقع تمثال أبى الهول جنوبى مجموعة الهرم الأكبر وعلى مقربة من مبنى الوادى للهرم الثانى (لوحة ٦ ب) . وهو عبارة عن ربوة من الصخر تركها بناؤو الهرم الأكبر عند قطع الأحجار لبنائه ، ثم شكلت فى عصر خفرع فى صورة أسد رابض هائل الحجم ذى رأس انسانية . وأغلب الظن أنه كان مغطى بطبقة من الجبس لونوها بعد ذلك . وطول هذا التمثال يبلغ نحو ٢٤٠ قدما ، وارتفاعه ٦٦ قدما ، ومتوسط عرض الوجه ١٣ قدما و ٨ بوصات . وفوق رأسه لباس الرأس الملكى وشعاران آخران للملكية هما حية الكوبرا على جبهته واللحية ، وقد ضاع جزء كبير منها الآن . ومع أن الوجه قد تغير كثيراً الا أنه ما زال شبيها بصورة الملك خفرع ، ولم يكن مجرد صورة رسمية عادية . وربما كان أمام صدر أبى الهول تمثال للملك ،

ولكن لم يبق له من الأثر اللهم الا اليسير ، وبين يديه المتدتين لوحة كبيرة من الجرانيت الوردى عليها نقش يسجل رؤيا للفرعون تحوتمس الرابع من الأسرة الثامنة عشرة ، قبل أن يعتلى العرش .

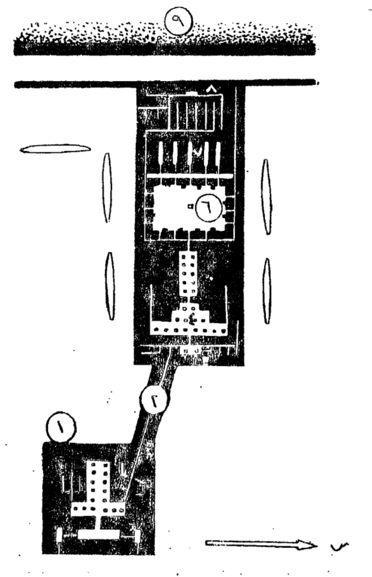
ويذكر النص أن الأمير خرج ليصطاد ، وعزم على أن يستريح وقت الظهيرة فى ظل أبى الهول . واثناء نومه وعده أبو الهول — الذى كان معتبراً فى ذلك الوقت رمزاً لاله الشمس حرما خيس Hormachis — بمنحه تاج مصر المزدوج اذا أزاح عنه الرمال التى كادت تبتلع جسمه . ولسوء الحظ تأثر الجزء الأخير من النقش بالجو تأثراً بالغاً الى الحد الذى يجعل قراءته متعذرة ، ولكن يمكن الظن بأنه يحكى كيف أن رغبة الاله قد تحققت ، وان الأمير قد كوفىء بتاج الوجهين . وعلاوة على ازاحة الرمال ربما قام تحوتمس الرابع بترميم الأجزاء المتهدمة من الجسم بوضع قطع صغيرة من الحجر الجيرى فى الأجزاء التى تهدمت ، وكررت هذه العملية فى عهد البطالسة وأيام الرومان عندما أزيحت الرمال للمرة الثانية واقيم مذبح أمام التمثال . وأول من قام بحفر أبى الهول فى العصر الحديث هو الكابتن كافيليا (Captin Caviglia) عام ١٨١٨ وتكلفت حفائره ٤٥٠ جنيها . وبعد مضى ثمانية وستين عاما من هذا التاريخ رفع جاستون ماسبرو Gaston Maspero ما حوله من رمال ، وأخيراً فى عام ١٩٢٥ قامت مصلحة الآثار بتنظيفه وترميمه .

ويمثل الاسد فى الأساطير المصرية حارس الأماكن المقدسة ، ولا يعرف كيف ومتى ظهرت هذه الفكرة ولكن يحتمل أن تاريخها يرجع الى عهد مترام فى القدم . وككثير من المعتقدات البدائية الأخرى أدمجه كهنة عين شمس فى مذهب الشمس ، فاعتبروا الأسد حارسا لبوابات العالم السفلى فى الأفقين الشرقى والغربى . واستمر الأسد فى مهمته فى الحراسة ولكن على صورة أبى الهول له وجه اله الشمس أتوم Atum . وفى نقش ربما يرجع تاريخه الى عصر أحدث من عصر خفرع يقول ما يأتى على لسان أبى الهول : « انى أحافظ على هيكل مقبرتك ، وأحرس حجرة دفنك ، وأطرد عنها الغرباء المتطفلين ، وأرمى بالأعداء الى الأرض وأسلحتهم معهم ، واطرد الشرير من هيكل قبرك ، وأهلك خصومك من مخابئهم سادا أياها فلا يخرجون منها مرة ثانية » . وربما كان السبب فى توحيد صورة اله الشمس مع صورة الملك المتوفى هو الاعتقاد بأن الملك سيصبح بعد موته اله الشمس نفسه حسب ديانة الشمس فى هليوبوليس ،

ولهذا كان أبا الهول يمثل خفرع كاله للشمس ويقوم بعمل الحـــارس لجبانة الجيزة .

وفى الجهة الجنوبية الشرقية من أبى الهول مبنى كان يظن فى وقت من الأوقات أنه معبد خاص بأبى الهول ، ولكننا نعرف الآن أنه مبنى الوادى فى المجموعة الهرمية الخاصة بالملك خفرع . واكتشف أوجست مـــــاربيت Auguste Mariette مؤسس المتحف المصرى هذا البناء فى عام ١٨٥٣ ، ومع أنه نظفه كله من الداخل الا أن كمية كبيرة مـــن الرمال ظلت حول الجدران الخارجية ، وقام ماربيت بتنظيف آخر فى عام ١٨٦٩ عندما أصبح هذا المبنى من أهم أماكن الزيارة التى يفـــد اليها الزائرون الذين أتوا لحضور افتتاح قناة السويس . وأخيراً فى موســـم ١٩٠٩ — ١٩١٠ أزالت بعثة فـــون سيجلين Von Sieglin الرمال عن الجدران الخارجية تحت ادارة أوفو هولشر Uvo Hölscher وجـــورج شتينـــدورف George Steindorff أثناء قيامهم بالكشف عن المجموعة الهرمية كلها .

واذا جعلنا فى اعتبارنا قدم تاريخ مبنى الوادى فاننا لا نملك أنفسنا من الاعجاب بما هو عليه من حالة جيدة جدا . ولا يوجد مبنى آخر فى الأسرة الرابعة — اذا استثنينا المعبد الجنازى غير الكامل لهرم ميدوم — ظل محتفظا بحالته مثل هذا المبنى . وهو مشيد فوق أرض تبلغ أبعادها ١٤٧ قدما فى كل اتجاه ، ويعلو الى ارتفاع ٤٣ قدما ، وبنيت جدرانه الضخمة من مداميك من الحجر الجيرى المحلى ، وكسيت من الداخل والخارج بأحجار منحوتة من الجرانيت الوردى المصقول المجلوب من أسوان (شكل ١٥ — ١) ولم تبن الجدران الأربعة الخارجية عمودية ، بل مائلة حسب الطراز السائد فى ذلك العهد . ولهذا المبنى بابان فى الواجهة الشرقية ربما أقيم على جانبيهما تمثالان لأبى الهول ، ويؤدى هذان البابان الى مدخل البناء من رصيف قد فى الصخر ، وحول كل باب شريط من الكتابة الهيروغليفية فيه اسم الملك وألقـــابه ، ولا نعرف غيرها من كتابات أو نقوش فى أى مكان من المبنى . وتؤدى الممرات القصيرة من البوابة — عن طريق يشبه الدهليز البسيط — الى رواق طويل وجد « ماربيت » فى أرضيته حفرة عميقة تحتوى على تمثـــال لخفرع من الديوريت ، وهو من أحسن الأمثلة فى فن النحت فى الدولة القديمة التى كشف عنها حتى الآن (لوحة ٨) .



شكل (١٥) ـ معبد الوادى والمعبد الجنازى لهرم خفرع

وكان هذا التمثال ـ الذى يزيد قليلا عن الحجم الطبيعى ـ موضوعا فى الأصل فى الصالة التى تشبه فى شكلها حرف T والتى تقع فى الجهة الغربية من الرواق المستطيل . وتاريخ نقله الى هذه الحفرة غير محقق ، وربما يرجع الى الرغبة فى الاحتفاظ به من العبث والضياع. وفى يوم من الأيام كان فى هذا المعبد مجموعة من ثلاثة وعشرين تمثالا ملكيا مصنوعة من الديوريت والاردواز والمرمر كانت تستند الى جوانب الصالة ، سبعة عشر تمثالا منها فى جذع حرف T والستة الباقية فى مواجهة الشرق فى الجزء الباقى من الصالة . وكان الضوء يدخل الى الصالة من شقوق مائلة ، فتح جزء منها فى أعلى الجدران والجزء الآخر فى أعلى السقف الجرانيتى المسطح ، بحيث لا تقع الأشعة مباشرة على التماثيل ولكن تنعكس عليها من الأرضية المرمرية ومن الأعمدة المربعة الضخمة المصنوعة من الجرانيت الوردى التى تحمل السقف . ويبدو أن مثل هذا النور غير كاف لاظهار جمال التماثيل التى كانت آيات فنية رائعة ، اذا حكمنا عليها من التمثال الذى بقى سليما منها .

ولكن التماثيل المصرية لم تكن لتصنع للزينة بل لتكون للروح بديلا لا يسهل تحطيمه . ولم يكن للنور المعتم أوالظلام الكامل أى تأثير على وظيفة ذلك البديل عن الجسم البشرى ، ونعرف ذلك تمام المعرفة من عادة وضع التماثيل فى سراديب . ولم يتضح تماما الدور الذى كان يؤديه مبنى الوادى فى تأدية الطقوس الجنازية ، ورأى ريزنر Reisner عند مناقشته لشكله المعمارى أنه مأخوذ أساسا من سرادق مكون من حصير محمول على قوائم ربطت مع بعضها بحبال ، وحدد ب. جردسلوف (B. Grdseloff) ـ الذى أضافت أبحاثه الحديثة مادة علمية لما هو معروف عن الغرض من مبنى الوادى ـ وظيفة هذا المبنى بأنه كان يسمى فى النصوص المصرية سح . نثر (سرادق الاله) .

وفى رأيه أيضا أنه يجمع فوائد بناءين أقيما فى الأصل منفصلين عندما بنيا ضمن مصاطب الدولة القديمة ، وهما الـ « أبو » (خيمة التطهير) والـ « واعبت » (بيت التحنيط) . ويفترض جردسلوف أن طقوس التطهير فى مبنى الوادى الخاص بخفرع ، قاموا بها فى كشك مؤقت بنى فوق السقف يوصل اليه عن طريق منزلق مبلط بالمرمر من ممر يبدأ عند الركن الشمالى الغربى من الصالة التى تشبه حرف T ولا تزال الثقوب المستديرة التى ربما استعملت لتثبيت القوائم فى مثل هذا السرادق واضحة فى بلاط السقف . وافترض أيضا أن تحنيط الجثة

تم فى الرواق المستطيل ، ولكن ظهرت أبحاث بعد ذلك تعكس ما افترضه جردسلوف ، وذلك بأن التطهير كان فى الرواق المستطيل وأن التحنيط كان فوق السقف .

ولعب التطهير بالغسل دورا هاما فى الطقوس المصرية فى كل العصور ، فكانوا مثلا يغسلون جسم الملك فى احتفال فى البحيرة المقدسة الخاصة بمعبد رع فى عين شمس قبل أن يدخل المبنى ، وكذلك لا بد أن تطهر جثته بالغسل قبل أن تدخل الى النطاق المقدس من قبره. واعتقدوا علاوة على أن عملية التطهير تجدد الملك المتوفى ، تماما كما كان يظن أن اله الشمس يولد كل صباح بالاستحمام فى « بحيرة الزنبق » قبل القيام برحلته عبر السماء . وتعاد الحياة الى أوزيريس أيضا — بناء على أحدى القصص — بتطهير جسده ، ولذا كان يظن أن الملك المتوفى عندما وحدوه مع أوزيريس ينال حظا مماثلا اذا فعلوا له الشيء نفسه .

وبعد اتمام مراسم التطهير تؤخذ جثة الملك للتحنيط ، وذلك اما فى الرواق المستطيل أو فى السرادق المقام فوق السقف ، أى فى المكان الذى يقوم مقامه الـ « واعبت » . ولم تكن عمليات التحنيط المتقن فى الدولة الحديثة قد عرفت واستخدمت فى عصر بناة الأهرام ، ومع أنه لا يوجد أى دليل على استخدام ما يحفظ الجسم من التحلل فان وجود الصندوق الكانوبى محتويا على أحشاء الملكة فى مقبرة حتب . حرس يثبت أن معظم الأعضاء القابلة للتعفن كانت تزال من الجسم . ونعرف أيضا من بعض مقابر الدولة القديمة أن الجسد كان يلف فى لفائف من الكتان بحيث يلف كل عضو على حدة ، وكانت تحشر فى بعض الأحيان وسائد من الكتان تحت اللفائف حتى يظل الجسم محتفظا بشكله الطبيعى ، وأحيانا أخرى تشكل صور بعض الأعضاء الأخرى — مثل الأنف والشفاه والصدر وأعضاء التناسل — بالكتان وهى أشياء لا ضرورة لها لو انهم كانوا قد عرفوا وسيلة فعالة لحفظ الجسم .

وكان ثالث المراسم التى تتم فى مبنى الوادى ما يسمى « فتح الفم »، فبعد عملية التطهير ولف الجسد فى اللفائف يؤخذ الى الصالة التى تشبه حرف T حيث كانت تقوم الثلاثة والعشرون تمثالا ، فيدنو الكهنة — ومن بينهم واحد على الأقل من ابناء الملك المتوفى — من كل تمثال ، الواحد بعد الآخر ، فينثرون عليها الماء ويعطرونها بالبخور ويقدمون أمامها الذبائح ويلمسون أفواهها بآلات مختلفة ، من بينها القدوم والازميل ، ويمسحون افواهها باللبن ثم يزينونها بشعائر الملك .

وفيما تلا من عصور كانت هذه المراسم تؤدى أيضا على جسد المتوفى ، ولكن هذه العادة لم يقم بها المصريون الا بعد الدولة القديمة ، وكان يظن أن اجراءها يمنح التمثال أو المومياء حواس الشخص الحى .

وكان انجاز هذه الطقوس الثلاثة فى مبنى الوادى يستغرق بضعة أسابيع ، فقد جاء فى نقوش مقبرة الملكة مرسعنخ (Meresânkh) — التى ربما كانت احدى زوجات خفرع — أن تحنيطها قد استغرق مائتين واثنين وسبعين يوما . وهذا ما يتطلبه تحنيط الملك على الأقل ، وبعد ذلك توضع الجثة فى تابوت خشبى ، ثم يحملونها الى خارج مبنى الوادى عن طريق الممر الذى يصل بين الصالة والطريق الجنازى (شكل ١٥ — ٢) .

وكان يتحتم أن يمر الموكب فى طريقه داخل الممر على مدخل ممر ضيق يؤدى الى حجرة صغيرة بنيت من المرمر ، ولكن الغرض من هذه الحجرة ما زال مجهولا ، وقد أراد هولشر أن يفسرها بأنها كانت حجرة البواب الذى كان من واجبه حراسة المدخل الى الطريق الجنازى ، الا أن جردسلوف رأى أنها كانت تستعمل لتخزين الطعام والقرابين التى يحتاجون اليها أثناء القيام بالمراسيم الثلاثة ، كما فسر أيضا وجود ستة مخازن طويلة مرتبة فى طابقين — ثلاثة فى كل طابق — وتقع فى نهاية ممر يفتح فى الجانب الجنوبى من الصالة ، بأنها كانت مخصصة لوضع المواد المختلفة والأدوات الدينية التى يحتاجون اليها أثناء الطقوس الثلاثة وأن كلا منها كان يحتاج الى مخزنين .

ولكيلا تكون هناك ضرورة لبناء جسر فوق منخفض عميق شرق المعبد الجنازى مباشرة بنى الطريق الجنازى على حافة الصخرة، ومر مائلا من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى ، وطول هذا الطريق أكثر من ربع ميل وعرضه نحو ١٥ قدما . ولم يبق شىء منه سوى جزء من الأساس الصخرى وبعض كتل من أحجار طره الجيرية من جدران وأرضية ممره . وعندما كان سليما ارتفعت جدرانه عمودية من الداخل ، أما وجهها الخارجى فكان يميل ميلا واضحا . واذا كان هيرودوت على صواب فيما كتبه من أن الطريق الجنازى للهرم الأكبر كان محلى بنقوش ، فلا بد أن تكون الجدران الداخلية لممر هذا الطريق الجنازى محلاة بنقوش أيضا . وكان مسقوفا بكتل من الحجر وضعت مسطحة ، وربما يرجع تاريخ تسقيف الطرق الجنازية الى الوقت الذى بدأوا فيه يضعون النقوش على جدران ممراتها . ويبدو أن

الطريقين الجنازيين للهرم المنحنى وهرم ميدوم قد خلا كلاهما من النقوش فلم يسقفا بكل تأكيد ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون الطريق الجنازى للهرم الأكبر ، هو أول طريق سقف ليحمى النقوش الملونة على جدرانه ، وكان الضوء يدخل الى هذا الممر من شقوق أفقية فتحت وسط السقف من أوله الى آخره .

وبما أن المطر كان يحتمل دخوله أيضا من هذه الشقوق ، واذا لم يصرف فانه يتجمع منحدرا الى مبنى الوادى ، لهذا عملوا مجرى ضيقا فى الأرضية عند الطرف الأسفل من الطريق الجنازى ليوجه الماء فيخرج خلال فتحة فى الجدار الجانبى .

فاذا نقلت جثة الملك الى المعبد الجنازى لم يعد فى استطاعة من يقف خارج الطريق الجنازى أن يرى الاحتفال ، ولا شك أن مثل هذا الحجب كان متعمدا ، ولو أن الباعث الذى دعا اليه لا يمكن استنتاجه بدقة . ويبدو ان التفسير المعقول هو أنهم كانوا يظنون أنه من الضرورى حماية الجسد الميت بعد تطهيره ، فى مبنى الوادى ، من نظرات أولئك الذين لم يتطهروا وفق طقوس خاصة . ولم يكن وضع الجسم داخل تابوت خشبى كافيا لحمايته من التدنس ، وربما كان لزاما على غير الكهنة من الأشخاص الذين كان عليهم مرافقة النعش الى المعبد الجنازى ، ان يتم تطهيرهم قبل انضمامهم الى الموكب . أما الكهنة — واسمهم فى اللغة المصرية وعب ، أى « طاهر » — فانهم كانوا متطهرين فى كل وقت من الأوقات .

ولم يبق من المعبد الجنازى غير خرائب ، وكان مبنى منخفضا مستطيل الشكل يبلغ طوله نحو ٣٧٠ قدما وعرضه ١٦٠ قدما ، بنيت جدرانه بالأحجار المحلية وكسيت من الداخل بالجرانيت ، ولكن باقى البناء كان ذا كساء من احجار طره الجيرية .

وهناك خمس حفر للمراكب فى الصخر قريبة من الجدارين الشمالى والجنوبى ، ولا تزال حفرتان منها تحتفظان بأسقفهما من كتل الحجر الجيرى ، ولكن لم يوجد أثر للسفن الخشبية .

وفى جميع المعابد الجنازية التى تم الكشف عنها لا يوجد معبد جنازى واحد نستطيع أن نقول انه صورة مماثلة لغيره ولكنها تختلف فى الترتيب وفى التفاصيل المعمارية فقط .

ومنذ عصر خفرع حتى نهاية الدولة القديمة نرى أن كل معبد يحتوى على خمسة عناصر أساسية : صالة المدخل ، وفناء مكشوف ، وخمس كوات للتماثيل ، ومخازن ، ومقدس . ومن المحتمل أن المعبد الجنازى للهرم الأكبر كان ذا تصميم مشابه ، ولكن حالته الخربة تجعلنا لا نستطيع تحديد تفاصيل رسمه .

وفى معبد خفرع لا يؤدى الطريق الجنازى الى صالة المدخل مباشرة بل الى ممر طويل ، وتفتح على هذا الممر بضع حجرات ربما قصد منها أن يضعوا فيها الأدوات المستعملة فى احتفالات المعبد .

وفى الجزء الأوسط يتسع الممر فيصبح شبيها بالردهة (شكل ١٥ ـــ ٣) التى تتصل بصالة المدخل عن طريق ممر ضيق ، وتتكون الصالة من جزأين : الأول مستعرض (شكل ١٥ ـــ ٤) والثانى طولى (شكل ١٥ ـــ ٥) ، وتحمل سقف كل من الدهليز وصالة المدخل أعمدة مستطيلة كل منها من كتلة واحدة من الحجر الجرانيتى الوردى، تشبه تلك التى فى مبنى الوادى ، وفى كل طرف من طرفى الجزء المستعرض من صالة المدخل حجرة طويلة ضيقة فى داخل قلب البناء . ولما كان الحائط الخلفى فى كل حجرة مكونا من كتلة واحدة من الجرانيت فقد ظن هولشر أنهم نحتوا سطحها على صورة ما يشبه تمثال الملك ، فاذا صح هذا التخمين فان هذه الحجرات كانت سراديب من نوع ليس له مثيل فى المعابد الجنازية الملكية .

ويقع خلف صالة المدخل الفناء المكشوف الذى كانت جدرانه من الجرانيت الوردى أيضا وأرضيته من المرمر (شكل ١٥ ـــ ٦) ، وعثر فى وسط هذا البناء على أثر بالوعة يوحى بوجود مذبح فى هذا المكان . وكانت هذه البالوعة لازمة لتصريف دماء ما يقدمونه قربانا من الحيوانات والسوائل المختلفة التى تقدم فى الطقوس الدينية ، ولكن من جهة أخرى ربما كانت وظيفة هذه البالوعة قاصرة على تصريف مياه الأمطار التى قد تتراكم فى المعبد . وكانت تماثيل الملك موضوعة على مسافات منتظمة حول جدران الفناء ، وربما كانت فى الهيئة التى تختص بها تماثيل الاله أوزيريس ، وكان بين التماثيل أبواب تفضى الى ممرات قصيرة تصل الفناء بممر يحيط به .

وأمام كل من الأبواب الغربية الخمسة التى كانت أمام الممر نرى كوة عميقة كانت تحوى تمثالا للملك . ولم يتغير عدد التماثيل فى أى معبد جنازى بعد ذلك ، ومن المحتمل أن كل تمثال منها كان منقوشا عليه اسم من أسماء الملك الخمسة الرسمية التى انتحلها الملك يوم اعتلائه العرش .

وكان الفناء المكشوف هو الحد الذى لا يسمح بعده لأحد — غير الكهنة — بأن يتقدم . وفى أثناء احتفالات المعبد يتحتم على من يكون حاضراً من غير رجال الدين أن يبقى فى الفناء ، بينما تتقدم الكهنة عن طريق الممر أمام كوات التماثيل الى المقدس (شكل ١٥ — ٨) .

وكان الشىء الأساسى للمقدس وجود باب وهمى فى الجدار الغربى ، ومذبح منخفض عند قاعدته ، وكان الكهنة يضعون القرابين يوميا على هذا المذبح . ولما كانت روح الأشياء المقدسة هى ذات أهمية للميت وليست صفتها المادية ، فان بقاء القرابين فى أماكنها دون أن يمسسها أحد حتى يغيروها لم يكن بالأمر الذى يشغل بال المصريين القدماء . وهناك خمسة مخازن بين المقدس وكوات التماثيل الخمس . وربما كان هذا التوافق فى العدد أمراً غير عرضى أو مصادفة . وكذلك فى البناء ، فقد شاركت المخازن خصائص الكوات فى كونها الأجزاء الوحيدة فى المعبد التى لم تكس أوجهها بالجرانيت وبلطت أرضيتها بالمرمر . واحتوت المخازن على أوان حجرية ومؤنة احتياطية من الطعام ربما احتاجها الملك اذا أهمل الكهنة واجبهم اليومى وهو تجديد القرابين التى تقدم اليه .

ويؤدى منزلق طويل من الركن الشمالى الغربى الى الممر المحيط بالفناء المكشوف المرتفع الذى يقوم الهرم فوقه . وان موقع المدخل من موقع المنزلق يجعلنا نعتقد أن الوصول الى داخل سور الهرم كان مباحا للأشخاص الذين لم يكن مرخصا لهم بالدخول الى الأجزاء الداخلية من المعبد الجنازى ، ولذلك فعند القيام بالمراسم الجنازية ربما دخل الحفل كله الى الهرم (شكل ١٥ — ١) بعد أن تتم عملية « فتح الفم » على التماثيل التى فى الكوات . ولا بد أن البنائين والعمال الذين كانوا يقومون بسد وقفل مدخل الهرم كانوا يصلون الى داخل حرم الهرم عن طريق هذا المنزلق . وقد منع الجدار العالى الذى يحيط بالهرم الوصول اليه عن طريق مباشر آخر .

وجد بين الهرم والجدار المحيط به رصيف يبلغ عرضه نحو ٣٤ قدما من ناحية الشمال والشرق والغرب ، أما من ناحية الجنوب

فيزداد عرضه قليلا حيث اقيم هرم اضافى أمام منتصف هرم الملك تقريبا . وبين المعبد الجنازى وواجهة الهرم الشرقية طريق مرصوف . ونجد فى داخل أسوار الأهرام الأخرى أن المبنيين متلاصقان ، ولذلك لا توجد مسافة بين الباب الوهمى والهرم . وتفسيرا لهذا الشذوذ عن القاعدة ظن « بورخارت » أنه كان يوجد باب وهمى ثان أقيم فى واجهة الهرم الشرقية ، ولكن لم يوجد أى أثر لهذا الباب أثناء الحفائر .

وأهم المعالم الخارجية المميزة لهرم خفرع هى حجمه ، وذلك الجزء الباقى من كسائه الخارجى الذى ما زال باقياً بالقرب من القمة ، وقد حفظت بعض أجزاء الكسوة أيضا عند القاعدة ، الا أن الحجر المستعمل يختلف فى المكانين ، فالبقية العلوية مكونة من حجر طره الجيرى ، والسفلية من الجرانيت الوردى وهى المادة التى استعملت فقط لكساء المدماك الأسفل . وذكر هيرودوت فى وصفه للهرم أن خفرع استعمل الحجر متعدد الألوان الوارد من اثيوبيا Ethiopia (١) لبناء الجزء السفلى منه ، وربما كان ذلك راجعا الى الاعتقاد الخاطىء بأن الجرانيت لم يكن للكسوة فقط بل انه استخدم كرصيف بنى عليه الهرم . وربما كان حجر القمة ، الذى اختفى الآن ، مصنوعا من الجرانيت أيضا .

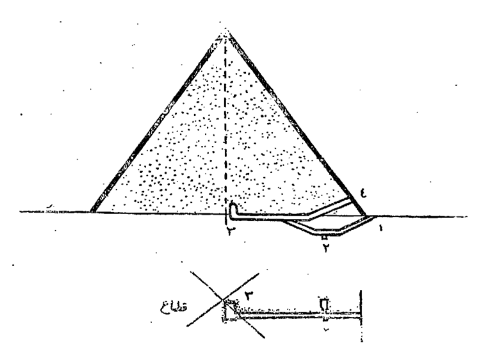
ونظرا لتشييد هذا الهرم فوق أرض مرتفعة قليلا ، فان بعض الناظرين اليه يظنون خطأ أنه أكثر ارتفاعا من الهرم الأكبر ، ولكن ارتفاعه الحالى ٤٤٧,٥ قدما أى أنه أقصر من ارتفاع الهرم المجاور بقدمين ونصف قدم . وفى الأصل كان ارتفاعه ٤٧١ قدما ، ولذا كان أقل ارتفاعا من الهرم الأكبر بنحو ١٠ أقدام عندما كان الأخير أيضا كاملا . والمساحة التى يشغلها هرم خفرع اليوم تبلغ حوالى ٦٩٠,٥ قدما فى كل ضلع ، وكان يبلغ طول كل ضلع فى الأصل ٧٠٧¾ قدم ، لذا فان أبعاد القاعدة كانت تقل بنحو ٤٨ قدما فى كل اتجاه عنها فى الهرم الأكبر . وترتفع أوجه الهرم بزاوية مقدارها ٥٢° ٢٠´ أى أن زاويته أكبر من زاوية الهرم الأكبر ، وهذه الحقيقة تفسر الفرق البسيط فى الارتفاع بين الهرمين ، اذ قارنا ذلك بالفارق الكبير فى طولى قاعدتيهما .

---

(١) Herodotus, Book III. p. 127.

ولا يكاد هرم خفرع يتشابه فى نظامه الداخلى مع الهرم الأكبر ، فله مدخلان : واحد فى الواجهة الشمالية على ارتفاع يقرب من ٥٠ قدما ، والآخر تحته مباشرة منحوت فى الأساس الصخرى للرصيف المحيط به (شكل ١٦ — ٤و١) . ويقع كلا المدخلين على مسافة تبعد بنحو ٤١ قدماً الى شرق محور الهرم الشمالى — الجنوبى ، ومن المدخل العلوى ينحدر ممر منخفض ضيق بزاوية مقدارها ٥٥ ٢٥َ داخل قلب بناء الهرم حتى يخترق الصخر ثم يصبح أفقيا ، ويستمر كذلك حتى حجرة الدفن (شكل ١٦ — ٣) . وقد كسى سقف وجدران وأرضية القسم المنحدر بأكمله وجزء صغير من القسم الأفقى بأحجار من الجرانيت الوردى ، وبالقرب من نهاية التكسية الجرانيتية نرى شقوقا رأسية فى الجدران لوضع سقاطة من الجرانيت لا تزال بقاياها المهشمة فى مكانها حتى الآن . أما حجرة الدفن فقد نحتت كلها — ما عدا السقف — فى الصخر ، ويتكون سقفها الهرمى المدبب من كتل من الحجر الجيرى تميل بزاوية مماثلة لزاوية أوجه الهرم . ويبلغ طول الحجرة ٤٦٫٥ قدما من الشرق الى الغرب ، وعرضها ١٦٫٥ قدما ، وارتفاعها ٢٢٫٥ قدما . وفى جانبها الغربى نرى تابوتا مستطيلا دقيق الصنع من الجرانيت المصقول موضوعا فى أرضية الغرفة الى مستوى غطائه ، أما الغطاء نفسه فما زال ملقى الى جانب التابوت مكسورا الى قطعتين ، وهى الحالة التى وجده عليها فى عام ١٨١٨ جيوفانى بلزونى (Giovanni Belzoni) أول باحث أوروبى دخل هذا الهرم فى العصر الحديث .

أما جثة خفرع فلم يعثر على أثر منها فى التابوت ، ويسير الممر السفلى (شكل ١٦ — ١) فى بدايته فى اتجاه مشابه للممر العلوى ، الا أنه منحوت كله فى الصخر ، وبعد سيره بانحدار بدرجة ٢١ ٤٠َ يصبح أفقيا لمسافة قصيرة ، ثم يرتفع ثانية بزاوية كبيرة ليتصل بأرضية القسم الأفقى من الممر العلوى . وفى هذا الممر أيضا سقاطة من الجرانيت ، ولكن الجدران لم تكس بالجرانيت . وفى الجدار الشرقى من القسم الأفقى من الممر نرى دخلة أمامها ممر منحدر يؤدى الى حجرة طولها ٣٤ قدما و ٣ بوصات ، وعرضها ١٠ أقدام و ٤ بوصات ، وارتفاعها ٨ أقدام و ٥ بوصات (شكل ١٦ — ٢) . وما من شك فى أن الغرض من هذه الحجرة عند بنائها هو أن يوضع فيها تابوت الملك، ولذا يجب أن نجد تفسيرا للعدول عن ذلك .



شكل (١٦) هرم خفرع • قطاع فى اتجاه الناحية الغربية ، مع رسم قطاع افقى

اذا فحصنا هذه الحجرة يلفت يظرنا وجود أمرين غير مألوفين ربما ساعدانا على حل الموضوع ، أولهما أن الحجرة قريبة جداً من مدخل الهرم ذاته خارج حدود البناء العلوى للهرم • وفى الأهرام الأخرى المعاصرة نرى حجرة الدفن تقع تقريبا تحت القمة ، والمدخل فى الواجهة الشمالية • فلو فرضنا أن التصميم الأول للهرم هو أن يكون الى الشمال من مكانه الحالى بمسافة تقرب من ٢٠٠ قدم ، لأصبح كل من الحجرة والمر فى مكانهما المعتاد • والسبب المحتمل للتغيير فى التصميم هو العثور على أساس صخرى مناسب للطريق الجنازى كان مختفياً تحت الرمال الى الجنوب من المكان الذى كان قد وقع عليه الاختيار •

وهناك مشكلة أخرى من الصعب أن نجد لها حلا مقبولا ، وهى الغرض من الممر المنحدر الذى يصل الأماكن السفلى بالممر العلوى • فالتفسير الوحيد الذى أمكن التفكير فيه هو أنه استعمل لنقل التابوت من الحجرة القديمة الى الحجرة الجديدة ، ولكن يبدو أن عملية قطع ممر جديد فى الصخر عمل شاق ولا داعى له ، اذ كان من الميسور اخراج التابوت من الحجرة القديمة عن طريق ممر المدخل الأسفل ثم ادخاله الى الحجرة الجديدة من أعلى قبل بناء السقف الهرمى (جمالون). على أن الحقيقة التى ستظل باقية هى أن الممر قد أعد لغرض من الأغراض ، وأنه بعد تأديته لذلك الغرض سد بكتل من الحجر

الجيرى ما زال الكثير منها فى مكانه الأصلى ، وقد سد الممر السفلى بهذه الطريقة سدا محكما حتى انه لا يمكن دخوله الآن (١) .

والى الغرب من الهرم ، وفى خارج السور ، كان هناك عدد كبير من الأروقة التى حدد سير فلندرز بترى وظيفتها بأنها كانت ثكنات يعيش فيها البناءون والعمال الذين كانوا يعملون فى تشييد المجموعة الهرمية . وقد اختفت الآن هذه الأروقة كلية تحت الرمال ، ولكن بترى — الذى قام بمسح المنطقة بين ١٨٨٠ و ١٨٨٢ — قرر أن عددها واحد وتسعون رواقا ، يبلغ طول كل منها ٨٨ قدما وعرضه ٩٫٥ أقدام وارتفاعه ٧ أقدام (٢) . وبنيت جدران هذه الأروقة من أحجار غير منحوتة من الحجر الجيرى ، وكانت مطلوسة بطبقة من الطين . كما غطيت الأرضية بطبقة من نفس المادة . وتقوم دعامات عريضة من الحجر الجيرى بمثابة أطراف الجدران عند المدخل . وسد الطرف الشرقى من كل رواق بجدار واحد يكون زاوية قائمة مع الأروقة ، ويكاد يكون موازيا للجانب الغربى من الهرم .

واذا أردنا مقارنة هرم خفرع بالأهرام التى بنيت قبله ، فان هذا الهرم هو أول واحد منها نستطيع أن نتعرف فيه على جميع أجزاء المجموعة الهرمية التى تظهر فيها جميع العناصر المعمارية على اتم صورها . ففى المجموعات الهرمية السابقة ، وبالأخص مجموعة الهرم الأكبر ، فان كثيراً من معالمها البارزة لم تكن فى حالة من الحفظ تسمح بمقارنتها وبالمثل المعبد الجنازى لهرم ميدوم الذى كان لا يزال فى حالة ابتداء ، اذا تحدثنا عنه من الناحية المعمارية . أما فى مجموعة هرم خفرع فان معظم مبنى الوادى سليم ، وأساسات الطريق الجنازى واضحة تماما ، وبقى من المعبد الجنازى قدر كاف يساعد على تحديد تخطيطه تحديدا تاما . ويحوى كل من هذه المبانى فى تصميمه كل العناصر الأساسية لمجموعات الأهرام التى بنيت بعد ذلك ، مع ادخال بعض التعديلات فى التفاصيل أو عمل تجديدات زخرفية ، ولكن الهيكل الأساسى ظل دون تغيير .

ويقع الهرم الثالث من مجموعة أهرام الجيزة فى الركن الجنوبى من الهضبة (لوحة ١) ، وبالرغم من أن هيرودوت وديودور الصقلى — الذى زار مصر فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد — قد نسباه الى منكاورع ، الا أن ذلك لم يتحقق بصفة قاطعة الا فى عام ١٨٣٧ — ٣٨

(١) قامت مصلحة الآثار المصرية فى عام ١٩٤٩ بتنظيف هذا الممر ويمكن دخوله الآن بسهولة . (المعرب) .

(٢) Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, pp. 101-3.

عندما وجد الكولونل هوارد فيس اسم منكاورع مكتوبا بالمغرة الحمراء على سقف حجرة الدفن فى ثانى الأهرام الثلاثة الاضافية لمجموعته الهرمية . ثم جاءت الأدلة الأخرى من حفائر بعثة جامعة هارفارد ومتحف بوسطن للفنون الجميلة التى قامت بحفر المنطقة بين عامى ١٩٠٥ ، ١٩٧٢ تحت ادارة ج. ا. ريزنر .

ولم تلق النصوص المعاصرة أى ضوء على حياة وطباع منكاورع ، ويظهر أن ذكراه بين المصريين فى العصور المتأخرة جداً كانت طيبة ، وكان متصفا بالتقوى والعدل ، بينما اعتبروا خوفو وخفرع ملكين شريرين مستبدين .

ويتحدث هيرودوت — الذى ردد تلك الأحاديث المتواردة عن منكاورع — بالعبارات الآتية : « ... واستنكر هذا الأمير (يعنى منكاورع أخلاق أبيه ففتح المعابد ، وسمح للشعب الذى وصل الى أحط دركات التعاسة ، بأن يعود كل الى عمله ، وأن يعودوا الى تقديم القرابين . فسبق فى عدالته جميع الملوك السابقين ، وامتدحه المصريون بسبب ذلك أكثر من أى ملك آخر من ملوكهم الآخرين ، مجاهرين بأنه لم ينصف فى أحكامه فحسب ، بل انه عندما كان يرى أحد الناس غير راض بحكمه يعطيه تعويضا من ماله الخاص لكى يهدىء من سورة غضبه » (١) . ولكن الآلهة كانت قد قررت أن يحكم مصر حكام مستبدون لمدة مائة وخمسين سنة ، فبناء على هذه القصة ، ولما كان حكم خوفو وخفرع قد دام مائة سنة وستاً ، فقد كان على المصريين أن يتوقعوا أربعا وأربعين سنة من العذاب عندما اعتلى منكاورع عرش البلاد . ولكيلا تغير الآلهة ما حكمت به ، قررت أن يكون حكم منكاورع العادل الرحيم حكما قصيرا ، ولكن مع انذاره بأن منيته قد قربت ..

وها هى كلمات هيرودوت : « .. وجاءته نبوءة من مدينة بوتو قائلة له : « ستعيش على الأرض ست سنوات وستنتهى أيامك فى العام السابع » ، وغضب منكاورع وارسل رسالة ملأى بالغضب الى النبوءة معلنا فيها عدم عدالة الاله قائلا : « ان كلا من أبى وعمى قد أغلقا المعابد ، ولم يأبها للآلهة ، وأهلكا جموعا كثيرة من الناس ، ومع ذلك فقد تمتع كل منهما بحياة طويلة . وأنا التقى أموت بعد وقت قليل ! » فوصله الرد من النبوءة فى رسالة ثانية : « ولهذا السبب بالذات تنتهى حياتك سريعا .. فانك لم تفعل ما كان ينبغى عليك أن تفعله ، فقد قدر على مصر أن تقاسى المحنة مائة وخمسين سنة ، وقد فهم الملكان

(١) ترجمه رولنسن . Herodotus, Book II, p. 129 (Rawlinson)

اللذان سبقاك على العرش ذلك ، بينما لم تفهمه أنت ! » . وعندما وصلت الى منكاورع هذه الرسالة أحس أن قضاءه أصبح محتوما . فأمر بتجهيز المصابيح لايقادها كل يوم عند المساء ، وأقام المآدب ومتع نفسه بدون انقطاع طول الليل والنهار ، متنزها فى الأحراش والغابات، ومرتحلا الى الأماكن التى سمع بطيب العيش فيها ، وكانت رغبتـه اثبات كذب النبوءة باحالة الليل الى نهار ، وهكذا عاش ست سنوات كأنها اثنتا عشرة سنة » (١) .

وليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن القصة التى اقتبسها هيرودوت مستمدة فى أصلها من حقائق تاريخية ، رغم وجود الدليل على مـوت منكاورع المفاجىء ، بعد حكم ربما دام ثمانى عشرة سنة ، اذ نرى ذلك فى جميع مبانى مجموعته الهرمية . ولا بد أن منكاورع كان يريد السير على نهج خفرع فى اقامة مبنى الوادى ومعبده الجنازى من الحجـر الجيرى المكسى بألواح من الجرانيت المصقول ، وأن يكون طـريقه الجنازى مشيداً من الحجر الجيرى . الا ان حفائر ريزنر قد أظهرت أن الخطة لم تنفذ ، وأن الجزء الأكبر من العمل قد تم بسرعة بمواد من نوع رخيص ، أو أنها تركت دون اتمام . وبنيت أساسات مبنى الوادى بالحجر فقط ، بينما بنيت كل مبانيه تقريبا بالطـوب اللبن ، أما الطريق الجنازى فقد كان رصيفا مكونا من الأحجار بنى عليها ممر من الطوب اللبن المطلوس من الداخل والخارج بالملاط الأبيض ، وكـان مسقوفا بكتل من الخشب ، وأعدت أساسات المعبد الجنازى والقلب الداخلى لبعض مبانيه من الحجر الجيرى . وقد بدىء فى وضع بلاطات من الجرانيت فى الأرضية ، وكسوا بعض الجدران بالجرانيت ، ولكن الطوب اللبن كان المادة التى عم استخدامها فى انجـاز الجزء الأكبر من البناء .

وهناك عدد من المقابر والآثار التى تركها أصحابها دون أن يتموها وقام بعدهم أبناؤهم أو خلفاؤهم باتمامها ، وعلى هذا يكون أمراً متمشيا مع المنطق اذا قلنا ان الملك شبسسكاف — الذى يعتقد أنه خلف منكاورع على العرش — هو الملك الذى أتم بالطوب اللبن المجموعة الهرميـة لسلفه منكاورع . وأحد النصوص التى عثر عليها فى المعبد الجنازى يدل على أن شبسسكاف هو الذى أخذ على عاتقه اتمام المجموعة الهرمية، اذ يقرر انه « صنعه (المعبد) كتذكار لوالده ملك الوجه القبلى والبحرى (منكاورع) » .

---

(١) ترجمة رولنسن Herodotus, Book II, 133.

ولكن كلا من مبنى الوادى والمعبد الجنازى قد رمما وعدل تصميمهما فى عصر متأخر . ونسب ريزنر هذه الاصلاحات وهذه التغييرات الى الكهنة الذين كانوا قائمين بالخدمة فى المعبد فى عصر الأسرتين الخامسة والسادسة . وأشار الى أن عملهم ربما لم يصدر عن شعورهم بالواجب فحسب ، بل بدافع من المصلحة الشخصية . اذ أنهم - ككهنة جنائزيين - كان لهم الحق فى التمتع بايرادات الوقف السخى الذى أوصى به الملك المتوفى ، فى مقابل خدمته فى المعبد ، وكان لهم أيضا الحق فى سكنى مدينة الهرم ، وهى عبارة عن مبان مسورة الصقت بمبنى الوادى ، كان يعفى سكانها من دفع ضرائب معينة . ولكى يضمنوا لأنفسهم هذه الامتيازات أصبح من الواجب عليهم أن يحتفظوا بكيان المبانى سليما ، وأن يفعلوا بعض ما يظهرهم بأنهم قائمون بالطقوس اللازمة فى المعبد . واختلفت الاصلاحات القديمة والجديدة من الناحية المعمارية والترتيب الداخلى عن مبانى خفرع ، ولكن لم تدخل عليها أية تغييرات أساسية فى تكوينها العام .

واكتشف ريزنر أثناء حفائره فى مبنى الوادى وفى المعبد الجنازى عدداً كبيراً من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، معظمها يمثل الملك اما بمفرده أو كفرد فى مجموعة ، اذ كان من بين ما عثر عليه فى مبنى الوادى بعض مجموعات تماثيل من حجر الاردواز تحوى كل منها ثالوثا مكونا من الالهة حاتحور والملك وأحد آلهة الأقاليم (لوحة ٩) . ولا شك أن منكاورع كان يريد أن يكون لديه اثنتان وأربعون من هذه المجموعات الثلاثية ، تمثله كل منها فى صحبة اله والهة من آلهة الأقاليم ، غير أنه لم يعثر الا على أربع فقط منها وبعض أجزاء أخرى ، وربما لم يتم عمل العدد الباقى أبدا .

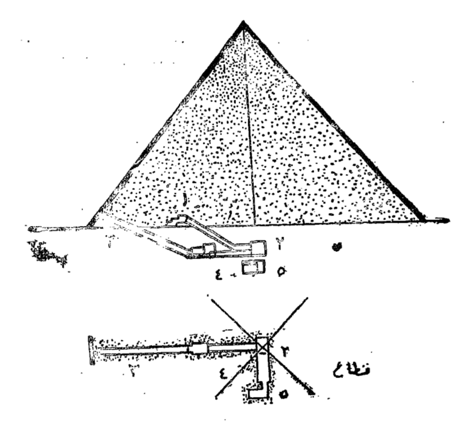
وعثر ريزنر أيضا على قطع فنية أخرى فى مبنى الوادى ، منها تمثال يجمع بين الملك منكاورع والملكة خع - مرو - نبتى الثانية ، (لوحة ١٠) . وهذه التماثيل كلها أعمال فنية ممتازة يمكن مقارنتها بأحسن القطع الفنية التى عرفت من نوعها حتى الآن ، فقد نحتت كلها على أساس الطراز الفنى الطبيعى الذى يميز تماثيل هذه الدولة . وكان من نتيجة ذلك أنها وصلت الى درجة عالية من العناية باظهار بعض المميزات الفردية فى كل منها . ففى الأشكال الثمانية التى نرى فيها وجه الملك لا نجد اثنين منها يتشابهان تماما ، ولكن معظمها يبين الوجه بعينين منتفختين قليلا ، وأنف مكسور ، والشفة السفلى مدلاة ، ويشبه

الوجه فى كثير من مظهره وجه خفرع كما نراه فى تمثاله الشهير المصنوع من الديوريت (لوحة ٨) ولكن عظام الخدين فى الأخير أعلى والوجه أضيق .

وهناك خمسة عشر تمثالا صغيرا لهذا الملك تركت دون اتمام ، ويمكن تفسير ذلك بموت الملك المفاجىء وشح خلفه . ولئن كان ترك هذه التماثيل الصغيرة دون اتمام أمرا يؤسف له دون شك يحرمنا مما كنا نتوقعه من جمال فنى ، الا أنها بحالتها الراهنة تلقى كثيرا من الضوء على الطريقة الفنية التى كان يستخدمها المثالون المصريون ، ولهذا فهى الآن أهم لنا مما لو كانوا قد أتموا نحتها . وقد قام ريزنر بفحص دقيق لهذه التماثيل ، وتمكن من تمييز ثمانى خطوات فى تطور العمل ، يماثل بعضها الخطوات المختلفة التى نراها فى التماثيل غير التامة فى مناظر صناعة التماثيل فى نقوش جدران المقابر .

ويشغل هرم منكاورع أقل من نصف المساحة التى اقيم عليها الهرم الأكبر . ويبلغ طول كل ضلع فى القاعدة ٣٥٦٫٥ قدم ، والارتفاع العمودى له الآن ٢٠٤ أقدام ، وكان عند تشييده يزيد أربعة عشر قدما . وكسى الجزء الأعلى منه بالطريقة العادية بأحجار منحوته من أحجار طره الجيرية . ولكن الستة عشر مدماكا السفلية كانت مكسية بالحجر الجرانيتى الوردى ، وقد ترك بعض منها دون أن يصقل . ومن المرجح أن منكاورع كان يريد كساء الهرم كله بالجرانيت ، ولذا يمكن أن نقول ان تغيير المادة يبين الحد الذى وصل اليه العمل عند وفاته . ومن ناحية أخرى فربما كان الجمع بين الحجر الجيرى والجرانيت عن قصد ، وفى هذه الحالة يكون البرهان الوحيد على موت الملك المفاجىء هو وجود أحجار الجرانيت غير المصقولة عند القاعدة .

اما فى الداخل ، فهناك على الأقل تغيير واحد فى التصميم ، وربما تغييران . فالتصميم الأول يتكون من ممر منحدر من النوع المعتاد (شكل ١٧ — ١) قطعوه فى الصخر ويؤدى الى حجرة الدفن المستطيلة الشكل ومحورها الأطول من الشرق الى الغرب ، وعندما عدلوا هذا التصميم عمقوا أرضية حجرة الدفن (شكل ١٧ — ٢) ونحتوا ممرا ثانيا تحت الأول (شكل ١٧ — ٣) . ويظهر أن السبب الوحيد لهذا التغيير فى التصميم كان عزمهم على تكبير البناء العلوى للهرم ، وما يحتمه ذلك من تشييد المر فى مستوى منخفض ، لكى يحتفظوا بموقع المدخل فى الواجهة الشمالية الجديدة فى مستوى مرتفع عن سطح



شكل ١٧ ـ هرم منكاورع · قطاع فى اتجاه الناحية الغربية ، مع رسم قطاع أفقى

الأرض تقريبا ، وقد كسى الممر الجديد من المدخل بالجرانيت الى النقطة التى يبدأ عندها دخوله فى الصخر . وعند أسفل المنحدر اتسع الجزء الأفقى من امتداد الممر ، وأصبح ردهة زينت جدرانها الصخرية بدخلات وخرجات منحوتة فى الصخر ، ووضعت ثلاث سقطات من الجرانيت فى هذا الممر بين تلك الردهة وبين حجرة الدفن .

ولم يشمل التصميم الثالث والأخير أى تغيير فى المشروع الأول ، بل اقتصر على اضافة حجرتين : أولاهما لوضع الأشياء التى رغب الملك فى أن تكون قريبة من جثته ، أما الثانية فهى حجرة دفن جديدة . ويمكن الوصول الى هاتين الحجرتين عن طريق منزلق ينحدر جهة الغرب من وسط أرضية حجرة الدفن الأصلية وينتهى بممر قصير أفقى . أما المخزن الذى يقع على الجانب الأيمن من الممر فيمكن الوصول اليه عن طريق بضع درجات (شكل ١٧ ــ ٤) ، وهو حجرة مستطيلة فيها أربع حجرات صغيرة عميقة فى الجدار الشرقى واثنتان فى الجدار الشمالى ، والحجرة كلها مقطوعة فى الصخر . وتقع حجرة الدفن الجديدة فى نهاية الممر (شكل ١٧ ــ ٥) وقد شيدت كل جدرانها

وأرضيتها وسقفها من الجرانيت . وقطعوا الجانب الأسفل من سقفها المدبب على شكل مدور لتشبه بذلك السقف المقبى (الشبيه بالبرميل) .

وقد عثر الكولونل هواردفيس داخل هذه الحجرة على تـــابوت مستطيل من حجر البازلت زينت أوجهه على شكل دخلات وخرجات . ولسوء الحظ ضاع هذا التابوت الجميل — الذى كان يحوى أصلا جثة منكاورع — عندما غرقت السينة التى كانت تنقلـــه الى انجلترا أمـــام شاطىء اسبانيا . واكتشف الكولونل فيس فى حجرة الدفن الأصلية بعض العظام الآدمية ، وغطاء تابوت خشبى على هيئـــة انســـان (Anthropoid) عليه اسم منكاورع . وهذا الغطاء موجوذ الآن فى المتحف البريطانى ، ولا يمكن أن يكون قد صنع فى عهد منكاورع لأنه على نمط لم يستخدمه المصريون قبل العصر الصاوى .

أما تحديد صاحب العظام فهى مسألة شائكة ، لأنه لا يوجد أى برهان على أنها خاصة بذلك الملك . واعتقد « بورخارت » — وهو تحت تأثير تاريخ غطاء التابوت — أن كل التصميم الثالث للهرم كـــان من عمل المرممين الصاويين ، الذين وجدوا عند دخولهم الهرم أن حجرة الدفن العلوية فى حالة فوضى ، وأن بقايا الجثـــة مبعثرة ومعرضـــة للأنظار . ولكن بعد أن أعلن « بورخارت » وجهة نظره هذه كشفت الحفائر عن مقبرة شبسسكاف وثبت أنها تحتوى على مخزن وحجرة للدفن يشبهان فى طرازهما مثيليهما فى هرم منكاورع .

ومن ذلك لا نرى أى داع للشك فى أن التصميم الثالث يرجـــع تاريخه الى عهد منكاورع نفسه . أما ما قام به الصاويون فلم يزد على وضع الجثة فى تابوت داخلى جديد ، ثم اعادتها الى تابوتها الأصلى ، ولم يقوموا بعمل أى تغييرات فى البناء من أى نوع كان .

ويقع الى جنوب هرم منكاورع صف من ثلاثة أهرام اضافية ، لم يتم العمل فى أى واحد منها على الأرجح ، ويقع اكبرها فى الطرف الشرقى من هذا الصف ، وكسى جزء منه — مثل الهـــرم الأصلى — بالجرانيت . ولكن العمل فى الهرمين الثانيين لم يتقـــدم بعد البنـــاء الحجرى ، اذ اهمل العمل فيهما . وفى الناحية الشرقية من كل هرم بنوا معبدا جنازيا صغيرا من الطوب ، ولذا فمن المحتمل أن يكون شبسسكاف هو الذى بناها بعد موت منكاورع .

ولم يظهر أى دليل على شخصية أصحابها أثناء حفائر ريزنر لهذه الأهرام ، ولكن حجم الأول منها يجعلنا نظن أنه كان للملكـــة خـــع — مرر — نبتى الثانية ، وهى الزوجـــة الملكيـــة الأولى . واكتشف

الكولونل فيس فى الهرم الثانى منها تابوتا صغيرا من الجرانيت وبعض العظام الآدمية التى قال انها كانت لامرأة شابة ، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون هذا الهرم قبرا لملكة شابة أو اميرة . أما صاحب الهـرم الواقع فى اقصى الغرب من هذا الصف فلا يعرف عنه شىء .

وعلاوة على الأهرام الثلاثة الكبيرة فى الجيزة وهرمى سنفـرو فى ميدوم ودهشور ، فما زال هناك هرم آخـر لملـك من ملوك الأسرة الرابعة وبانيه هو « ددف — رع » الذى حكم بين خوفو وخفرع ، وقد اختار له مرتفعا يشرف على الوادى عند أبو رواش على بعـد خمسة أميال الى الشمال من منطقة أهرام الجيزة . ولم يبق من بنائـه العلوى الا النزر اليسير ، ومن المستحيل أن نقدر أبعـاده الأصليـة أو نجرؤ حتى على القول بأنه تم بناؤه . ويتكون بناؤه السفلى من خندق مكشوف ، ينحدر الى أسفل نحو قاع بئر عمودية يبلغ عمقهـا نحو ٣٠ قدما ، وعرضها ٣٠ قدما من الشمال الى الجنوب ، وطولها ٧٠ قدما من الشرق الى الغرب .

ومن الغريب أن ددف — رع اختار العودة الى تصميم الخندق المكشوف والبئر العمودية الخاصين بالأسرة الثالثة ، فى حين أن سلفه خوفو قد نجح فى بناء الأجزاء السفلية من قبره بطريقة تستنفد مجهوداً أقل من مجهود عمل خندق ، ولكن ربما كان اختلاف نوع الصخـر فى الهضبتين هو السبب فى ذلك .

ولا شك أن الاعتبارات الخاصة بطبيعة المنطقة هى التى حددت خط الطريق الجنازى ، الذى بدلا من أن يسير من الشرق الى الغـرب نراه يتصل بالمعبد الجنازى من الشمال ، وذلك لأنه باتباع هذا الخط أمكن استخدام احدى الهضبات الصخرية ، وبذلك قلت كمية البنـاء اللازمة للعلو به الى المستوى المطلوب . وقدر بترى — الذى قـام بدراسة هذا الطريق الجنازى — أن طوله كان حوالى ميل وارتفاعه فى بعض المواقع ٤٠ قدما . ولا يظهر الآن اى أثر لمبنى الوادى ، ولكن قدراً كافيا من المعبد الجنازى ما زال قائما كالمعتاد أمام الواجهة الشرقية للهرم ويكفى لاستخلاص رسمه التخطيطى . وبنيت جدرانه من الطوب اللبن ، مما يرجح أن هذا المبنى شيد بسرعة بعد موت صاحبه . وتقع الى جنوب هذا المبنى مباشرة حفرة عميقة ينبئى شكلها أنها حـوت يوما مركبا من مراكب الطقوس الدينية .

ولم يبين شبسكاف ، الذى أكمل مجموعة منكاورع الهرمية ، لنفسه هرما . وقد قام مرييت فى عام ١٨٥٨ بفحص قبره فى سقارة ، ولكنه

قال خطأ ان صاحبه هو الفرعون أوناس آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ثم قال بعد ذلك انه قبر أتى (Aty) خليفة أوناس .

و فى عام ١٩٢٤ قامت مصلحة الآثار المصرية بعمل حفائر فى المنطقة تحت ادارة جوستاف جيكييه (Gustave Jequier) فتوصل الى معرفة صاحبه الحقيقى ، ويعرف هذا القبر باسم « مصطبة فرعون » ، وقد شيد على شكل تابوت ضخم مستطيل فوق رصيف واطىء على الأرجح . وتميل جوانب هذا التابوت الى الداخل بدرجة تبلغ حوالى ٦٥° ، وترتفع نهايته المربعة فوق مستوى سطح سقفه المقبى . ولم يبق منه الآن الا قلب البناء المبنى بالحجر المحلى ، ولكنه كان فى الأصل مكسيا بأحجار طرة الجيرية ، وعملت له « وزرة » من الجرانيت . وأقيم فى الجانب الشرقى منه معبد جنازى صغير ، يخرج من ركنه الجنوبى الشرقى طريق جنازى طويل بنيت جدرانه بالطوب اللبن ويتجه الى أسفل ويصل الى مبنى الوادى .

وبنت ملكة تسمى خنت كاوس — التى ربما كانت زوجة لشبسسكاف — فى المساحة الواقعة بين الطريقين الجنازيين لخفرع ومنكاورع قبرا يشبه تماما مصطبة فرعون . وظن فى وقت ما أنه هرم لم يتم ، ولكن الحفائر الحديثة التى قام بها الأستاذ سليم حسن على نفقة جامعة القاهرة اثبتت أن بناءه العلوى كان على شكل تابوت فوق قاعدة مربعة عالية . ونحت معبده الجنازى — الذى يتكون من ثلاث حجرات فقط — فى قلب صخرة القاعدة ، أى أنه ليس بناء منفصلا . ويجرى الطريق الجنازى أولا نحو الشرق ، ثم ينحرف بزاوية قائمة تماما نحو الجنوب ، وينتهى عند مبنى الوادى الذى يمتد حتى يصل الى نهاية طول مبنى الوادى الخاص بمنكاورع .

واذا القينا نظرة عامة على أهرام الأسرة الرابعة نجد أنها امتازت دون شك بالميل الى الضخامة فى البناء ، وقدر ريزنر أن بعض الكتل من الأحجار المحلية المبنية فى جدران معبد منكاورع الجنازى تزن أكثر من ٢٢٠ طنا ، فى حين ان بعض كتل الجرانيت التى جاءوا بها من أسوان — أى من مسافة تبعد ٥٠٠ ميل — يزيد عن ٣٠ طنا . ولاستخدام مثل هذه الكتل الهائلة فائدتان رئيسيتان ، أولاهما الحصول على متانة أكثر ، وثانيتهما تقليل عدد اللحامات فى المبانى .

وما كان فى استطاعة خوفو — الذى ربما كان مجنونا بحب العظمة — أثناء حكم دام نحو ٢٣ سنة أن يقيم بناء فى حجم ومتانة الهرم الأكبر ، لو لم يكن بناؤوه قد بلغوا قدرا عظيما من التقدم الفنى أعانهم فى معالجة رفع الأحجار المفرطة فى ثقل الوزن وعظم الحجم ؛ وليس أدل على اتقانهم الكامل لهذا الفن من ملاحظة بترى بأن سمك اللحامات فى كسوة الهرم الأكبر واحد على خمسين من البوصة .

والى جانب اتقانهم الكامل لفن رفع كتل الأحجار الثقيلة فقد أتقنوا أيضا فن قطع ونحت الأحجار الصلبة . فمنذ وقت مبكر ، يرجع الى الأسرة الأولى ، استخدموا الجرانيت فى تبليط حجرة ، بينما بنيت حجرات الدفن الصغيرة فى هرم زوسر المدرج وفى المصطبة الجنوبية كلها من هذه المادة ، ولكنهم لم يبنوا الا فى الأسرة الرابعة فقط مبانى فى حجم مبنى الوادى أو معبد خفرع الجنازى يكسونها كلها بالجرانيت . واستخدموا حجر البازلت أيضا من حين لآخر قبل الأسرة الرابعة بمدة طويلة ، ولكنهم لم يستخدموه بالكمية التى نراها فى تبليط أرضية معبد خوفو الجنازى أو تابوت منكاورع المفقود .

وقد كان من رأى بترى أنه كان لأحد الأهرام الاضافية للهرم الأكبر حواجز من البازلت تمتد أسفل كل ركن ، لتحول دون ما يتعرض له من التهدم أو التأثيرات الجوية .

وتقدم صنع التماثيل أثناء الأسرة الرابعة تقدما محسوسا فى الكم والقيمة ، وحسب ريزنر — بعد أن فحص كل أجزاء التماثيل المكتشفة فى مبنى الوادى ومعبد خفرع الجنازى — أن مجموعة الهرم الثانى وحدها كانت تحتوى بين مائة تمثال ومائتين . وربما صنع عدد مماثل من التماثيل للهرم الأكبر وهرم منكاورع ، وبذا يصل المجموع الاجمالى للتماثيل فى المجموعات الهرمية الثلاث الى عدد لا ينقص الا قليلا عن خمسمائة تمثال . وقد ظهر الأثر الكامل لهذه النهضة الفنية فى صنع التماثيل التى شجعها أولئك الملوك ، عندما جاءت الأسرتان التاليتان واحتوت كل مقبرة خاصة فى الجيزة وسقارة على تمثال لصاحبها . وتثبت تلك التماثيل القليلة نسبيا التى عثر عليها فى مجموعات الأهرام الثلاث فى الجيزة ، أن المصريين كانوا قد وصلوا الى اظهار الملامح كما كانت فى وجوه أصحابها أكثر من أى تماثيل صنعت فيما سبق ذلك من عصور .

ومما يستلفت النظر كثرة انتاج التماثيل وعدم وجــود أى أثر للنقوش فى المجموعات الهرمية الخاصة بالأسرة الرابعة ، والأمثلـــة الوحيدة لتلك النقوش هى التى كشفت عنها الحفائر فى معبد خوفـــو الجنازى وفى هيكل الهرم الثانى من أهرامه الجانبية ، ولكنه قـــد عثر على أحجار منقوشة من معابد خوفو وخفرع فى مبـــان من الدولـــة الوسطى فى اللشت كانوا قد أخذوها من الجيزة . وتبين كـــل هـــذه النقوش أن فن نحت الأحجـــار بالنقـــوش البـــارزة — التى نـــرى أمثلة منها فى ممرات الهرم المدرج والمصطبة الجنوبية — لم يندثر أثناء الأسرة الرابعة ، وما لم يخبىء لنا المستقبل بعض اكتشافـــات غير منتظرة فيجب أن نقرر أنها لم تكن مستعملة على نطاق واسع (١) .

---

(١) اكتشف الدكتور أحمد فخرى فى مبنى الوادى لهرم سنفرو بدهشور كثيرا من النقوش التى كانت تغطى مساحات كبيرة من جدرانه وأعمدته ، وهى غاية فى الاتقان والجمال الفنى والأهمية — (المعرب) .

الفصل الخامس

أهرام الأسرتين الخامسة والسادسة

وبالرغم من افتقارنا الى وجود وثائق تاريخية فان فى امكاننا التكهن بطبيعة الحوادث السياسية التى أحاطت بنهاية الأسرة الرابعة من عدد من المعلومات غير المباشرة ، فقد أفصح خلفاء خوفو الثلاثة (ددفرع وخفرع ومنكاورع) عن اعترافهم باله الشمس رع بوجوده فى تكوين أسمائهم . وهناك أيضا بعض القرائن على أن خفرع ومنكاورع اتخذا اللقب « ابن رع » ، وهو لقب ملكى أخذ يظهر فى أسماء الفراعنة ابتداء من الأسرة الخامسة . ولهذا فمن المعقول أن نستنتج من ذلك أن عبادة الشمس كانت قائمة فى عهد هؤلاء الملوك ، وأنها حلت محل عبادة اتوم التى كانت أقدم منها فى هليوبوليس ، ولكن عند نهاية الأسرة الرابعة نرى أن شبسسكاف لم يخالف من سبقوه فى اختيار طراز دفنه فحسب ، بل انه — حسب ما وصلت اليه معلوماتنا — لم يتبع ما كانوا يسيرون عليه من اعترافهم الصريح بصلتهم بالاله رع فى أسمائهم والقابهم . وسواء أكان منقاداً فى ذلك بدوافع دينية أو ضرورة سياسية فان هذا لا يمكن أن يقلل من الحقيقة الواقعة . ولكن نظراً لما نعرفه عن المصريين فى جميع العصور من حذر ومحافظة فى الأمور التى تتعلق بالدين والحياة فى العالم الآخر ، نجد من الصعب أن نعتقد أن شبسسكاف كان سيدخل مثل هذه التغييرات الأساسية ما لم يفكر فى أن قوة كهنة رع المطردة تهدد تهديدا مباشرا سلطة واستقلال العرش . وفشل نضال شبسسكاف — الذى كان فى أغلب الظن سلبيا ولم تصحبه عداوات مريرة — فى احراز اى نجاح دائم ، لأنه بعد وفاته ، بعد حكم دام أقل من أربع سنوات ، اعتلى العرش طائفة من الملوك الذين رفعوا من شأن عبادة الشمس وجعلوها دين الدولة الرسمى .

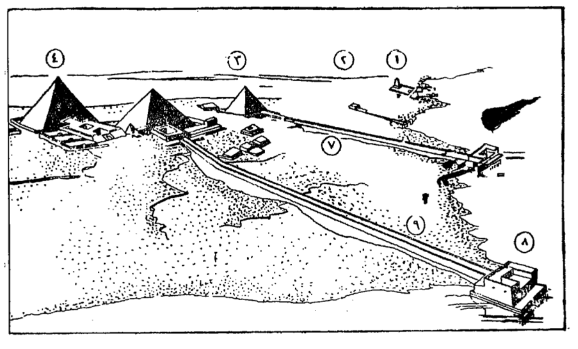
وحفظت لنا بردية فى متحف برلين تسمى « بردية وستكار » أسطورة عن أصل الأسرة الخامسة ربما كان فيها شىء من أصل الحقيقة،

وتاريخ البردية نفسها يرجع على الأرجح الى عصر الفترة الثانية ، ولكنها كانت بكل تأكيد نسخة من مخطوط أقدم منها . وبناء على هذه الأسطورة كان الملوك الثلاثة الأول لهذه الأسرة — أوسركاف وساحورع ونفرار كارع — توائم ثلاثة للاله رع ولدتهم زوجة كاهن من كهنة رع . وربما كان أوسركاف من عائلة كهنة ووصل الى منصب الكاهن الأعظم فى هليوبوليس قبل اعتلائه العرش .

أما أمه نفرحتبس Neferhetepes فيرجح أنها كانت بنتا لددفرع ، ومن المرجح أيضا أن ساحورع ونفرار كارع كانا أخوين من ابناء شبسسكاف وخنت — كاوس ، ولكنهما لم يحاولا أن يعيدا ما بداه ابوهما من خروج على الدين .

وبنى كل من هؤلاء الملوك الثلاثة وثلاثة من خلفائهم معابد خاصة للشمس تمجيداً لرع . وقد ذكرت الكتابات المعاصرة ستة معابد ، ولكن لم يعثر الا على معبدى نى — أوسر — رع وأوسركاف (شكل ١٨ — ١ و ٢) ، والمعبد الأول فى حالة حسنة جدا اذا قورن بالآخر ، وهو مشيد بالحجر وتم حفره فى الأعوام ١٨٩٨ — ١٩٠١ بمعرفة لودويج بورخارت وهاينريش شيفر (Heinrich Schaefer) على نفقة البارون فون بيسينج (Baron von Bissing) وجمعية الشرق الألمانية (Deutsch Orient-Gesellschaft) (شكل ١٩) ، وقد أقيم على قمة منخفض يقع على حافة الصحراء فى أبو غراب ، على مسافة ميل تقريبا الى الشمال من بلدة أبو صير حيث بنى أوسر رع هرمه .

ويبدأ الطريق الجنائزى من مبنى صغير (مبنى الوادى) أقيم داخل مساحة كبيرة مسورة ، وبنوا فوق هذا الطريق ممراً مسقوفا يصل الى أعلى التل . وعند الطرف العلوى من الطريق الجنازى ما زالت توجد بقايا فناء مبلط طوله ٣٣٠ قدما وعرضه ٢٥٠ قدما ، ومن أهم ما فيه قاعدة مستطيلة فوقها مسلة غير مرتفعة ، وهى الرمز المقدس لاله الشمس . وعند أسفل القاعدة يقوم مذبح منخفض لتقديم القرابين مكون من خمس كتل من المرمر . وحفرت بالوعات فى البلاط لتصريف دم الحيوانات المقدمة قرابين على المذبح الى تسعة أحواض كبيرة من المرمر . وفى الجانب الشمالى من الفناء يوجد مكان مسور لتقديم القرابين وعدد من المخازن ، وفى خارج الفناء وفى الجهة الجنوبية منه نرى الى ناحية الجنوب أساسات من الطوب اللبن لحفرة كانت تحوى



شكل (١٨) ـ أهرام أبو صير . رسم تصويرى لما كانت عليها عند تشييدها

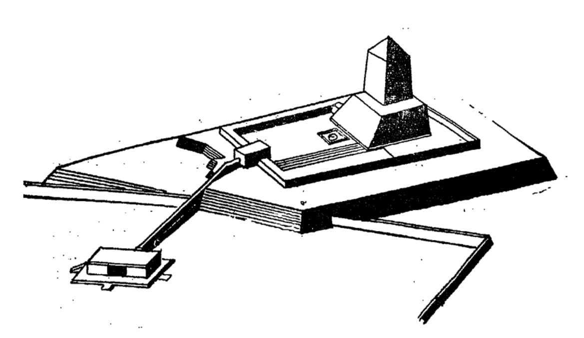
نموذجا للمركب التى كان يستخدمها اله الشمس فى رحلته اليومية عبر السماء .

وكانت المعابد والمبانى الجنازية فى الأسرة الخامسة مليئة بنقوش ملونة على الجدران على أعظم جانب من الأهمية والقيمة الفنية . وفى المعبد الشمسى للملك نى — أوسر — رع نجد نقوشا بارزة ، نقلت الآن الى المتحف المصرى ومتحف برلين ، وكانت فى ممر الطريق الجنازى ثم حول الجانبين الشرقى والجنوبى من الفناء ، وفى الهيكل الذى يقع بين نهاية الممر والمسلة . وتمثل هذه النقوش مواضيع مختلفة ومتنوعة ، ففيها كثير من النباتات والحيوانات التى خلقها اله الشمس، وفيها أيضا مناظر الاحتفالات المتصلة بتأسيس المعبد واحتفالات الحب سد للملك . ويدل وجود مناظر الحب سد على أن هذا المعبد لم يبن الا بعد عدة سنين — ربما ثلاثين سنة — بعد اعتلاء الملك للعرش . وليس من المعقول أن يكون نى — أوسر — رع قد تباطأ فى بناء معبد الشمس حتى ذلك الوقت المتأخر من حياته ، ولهذا فربما يكون المبنى الحجرى قد بنى بدلا من معبد سابق من الطوب اللبن ، وأقامه لأجل استخدامه فى حفلات الحب سد .

وقد عاد ملوك الأسرة الخامسة الى عادة بناء الأهرام التى نبذها شبسسكاف ، الا أن حجم هذه الأهرام ومراعاة الاتقان فى تشييدهما يقلان كثيراً عما كان فى أهرام أسلافهم ، لأن قلب الهرم مبنى بأحجار صغيرة ثم كسوه بأحجار طره الجيرية . ونظراً لرداءة بنائها فقد حل الخراب بأهرام هذه الحقبة وتأثرت تأثراً بالغا ، بل ان بعضها تقلص الى كومة من الرمل والرديم .

وبنى أوسركاف هرمه فى سقارة على مقربة من الركن الشمالى الشرقى لسور الهرم المدرج ، ومن المحتمل أن قبر زوسر أصبح له تقديس خاص ، وربما اعتقدوا أن الدفن فى حرمه يضفى عليهم منافع خاصة ، وهذا يفسر لنا اختيار أوسركاف لمنطقة تبدو من وجوه عدة غير لائقة لاقامة هرم عليها .

فالى الشرق مباشرة ، حيث يقام المعبد الجنازى عادة ، ترتفع الأرض ارتفاعا كبيرا ، ولهذا لم يشيد الا هيكل صغير فى الناحية الشرقية من الهرم ، وأقام المعبد الجنازى فى الناحية الجنوبية مخالفا بذلك القاعدة العامة . وقد أثبتت الحفائر التى قام بها س. م. فيرث

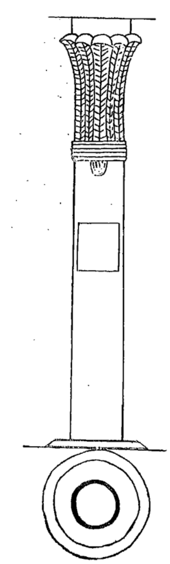


شكل (١٩) ـ معبد الشمس للملك نى • أوسر • رع

لحساب مصلحة الآثار المصرية عام ١٩٢٨ ـــ ٢٩. أن هـــذا المعبـــد تخرب فى العصور القديمة ، واستخدموا موقعه فى العصر الصـــاوى لبناء المقابر ، فشيدوا مبانيها العلوية من أحجار معبد أوسركاف رمن الأهرام المجاورة . وكان تخريب المعبـــد كـــاملا ، حتى أن كثيراً من تفاصيل رسمه التخطيطى ـــ التى كانت غير عـــادية على ما يظهر ـــ لا يمكن معرفتها الآن على وجه اليقين . وعثر الحفارون وسط الخرائب على أجزاء من مناظر نقشت بعناية نقشا بارزا ، تمثل الملك أمام الآلهة ، وغيها بعض مناظر من رحلات لصيد الطيور فى أحراش الدلتا . واكتشفوا أيضا رأس تمثال ضخم من الجرانيت الوردى للملك ، ولهذا الرأس أهمية خاصة لأنه الرأس الملكى الوحيد فى الأسرة الخامسة ، وأقدم الأمثلة فى التماثيل المصرية ، باستثناء تمثال أبى الهول ، التى تزيد على الحجم الطبيعى .

واختار ساحو رع ، ونفر اركارع ، ونى أوسر رع لأهرامهم هضبة على حافة الصحراء بالقرب من أبو صير (شكل ١٨ ـــ ٣ و ٤ و ٥) ، وبينما تتفق مجموعتا هرمى ساحو رع ونى ـــ أوسر ـــ رع فى نظامهما مع القواعد المتبعة ، نراهما يفوقان فى فخامتهما الفنية كـــل ما بنى قبلهما . وقد قدر لودويج بورخارت الذى كشف عن هذه المجموعات الهرمية لحساب جمعية الشرق الألمانية بين أعوام ١٩٠٢ ـــ ١٩٠٨ أن

مساحة سطح الجدران المغطاة بالنقوش البارزة فى مجموعة ساحورع الهرمية وحدها بلغت نحو ١٠٫٠٠٠ متر مربع . ولكن من سوء الحظ كان سكان المنطقة قد اكتشفوا أن حجر طره الجيرى المنقوش يخرج أحسن أنواع الجير ، وكانت نتيجة ذلك أنه لم يبق من المساحة الأصلية الا حوالى ١٥٠ متراً مربعاً نجت من أولئك المخربين وكانت مكسرة الى قطع صغيرة لا حصر لها . وكان تخريب مجموعة نى أوسر رع الهرمية أكثر مما حدث لمجموعة ساحورع . أما مجموعة نفر اركارع الهرمية فمن المحتمل أن العمل لم يكن قد انتهى فيها وأوقفوه قبل تنفيذ كثير من النقوش التى كانوا يزمعون القيام بها .



شكل (٢٠) ـ عمود من الطراز النخيلى

وكان لمبنى الوادى فى معبد ساحورع مرفآن ، أحدهما يواجه الشرق والآخر يواجه الجنوب (شكل ١٨ — ٦ ، شكل ٢١ — ١ و ٢). وكان هناك منزلقان متصلان بالمرفاين اما بقناة أو بالنيل الذى كان فى أيام فيضانه السنوى يمتد الى ما وراء مجراه العادى . وفى داخل الواجهة الشرقية من البناء شرفة مقامة فوق أعمدة ، بلاط أرضيتها من البازلت الأسود المصقول ، وسقفها من الحجر الجيرى المدهون بالأزرق ليحاكى السماء ومزين بنجوم ملونة بلون الذهب ، وكل عمود من الأعمدة الثمانية يتكون من قطعة واحدة من الجرانيت . أما الجدران فكانت من الحجر الجيرى المزين بالنقوش البارزة ولكن افريزها الأسفل كان من الجرانيت . أما طراز الأعمدة فكان محاكاة لأشجار النخيل وقد ربط جريدها فى حزمة مكونة تاج العمود (شكل ٢٠) . وعلى كل عمود ، داخل اطار مستطيل ، وضعوا اسم الملك والقابه الهيروغليفية وملأوها بمعجون ذى لون أخضر . وشيدوا شرفة أخرى فى الواجهة الجنوبية للبناء ، وهى أقل فى اتساعها من الشرفة الشرقية ، وأرضيتها من الحجر الجيرى وأعمدتها أسطوانية ، وليس عليها أى نوع من التيجان . وكانت كل من الشرفتين تتصل ببهو على شكل حرف T ، وهذا البهو هو القاعة الوحيدة فى هذا المبنى . وكان الملك يمثل فى النقوش التى فى هذا البهو اما على صورة أبى الهول أو بشكل أسد له رأس طائر يطأ تحت قدميه آسيويين أو ليبيين أحضرهم الاله له أسرى مكبلين ، ويتكرر هذا المنظر — ربما مع اختلافات بسيطة — على الجدران الداخلية للطريق الجنازى فى نهايته السفلى (شكل ١٨ — ٧ وشكل ٢١ — ٣) .

واحتوى معبد ساحورع الجنازى على العناصر الأساسية الخمسة فى معبد خفرع ، وهى : بهو المدخل ، والفناء المكشوف ، وخمس كوات للتماثيل ، والمخازن ، والمقدس . وبهو المدخل (شكل ٢١ — ٤) مخرب تخريبا تاما الى درجة تجعلنا عاجزين عن معرفة أى شىء عنه على وجه التأكيد ، ولكن أرضيته كانت من الحجر الجيرى وجدرانه من الحجر نفسه تغطيها نقوش بارزة ملونة ، وكان الافريز الأسفل من تلك الجدران من الجرانيت . وبلط الفناء المكشوف (شكل ٢١ — ٥) بالبازلت المصقول ، واذا استثنينا مذبحا من المرمر فى الركن الشمالى الغربى فقد كان هذا الفناء خاليا خلوا تاما ، وأحيطت جوانبه الأربعة برواق يشبه فى مبناه الشرفة الشرقية فى مبنى الوادى فيما عدا سقفه المزين بالنجوم فقد كان محمولا على صف واحد من الأعمدة النخيلية الطراز . وكانت جدران هذا الرواق مغطاة بنقوش تمثل

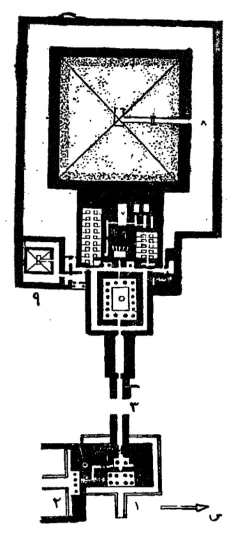
الملك ينتصر على أعدائه ، فالذين على الجانب الشمالى أسيويون ، والذين على الجانب الجنوبى ليبيون . وعلى أحد هذه النقوش ، التى عثر عليها فى الركن الجنوبى الغربى ، نرى ساحورع وهو يقتل زعيما ليبيا أسيراً ، كما نرى اثنين من أبناء هذا الزعيم وامرأة — ربما كانت زوجته أو ابنته — يقفون متضرعين ، وهناك أسرى ليبيون آخرون — بعضهم من النساء والأطفال — يتضرعون مثلهم . ونرى فى أماكن أخرى مبعثرة مناظر لحيوانات حية أخذت كغنيمة ، ذكروا عددها فى الكتابات المجاورة فمثلا ١٢٣٫٤٤٠ رأسا من الماشية ، ٢٢٣٫٤٠٠ حمار ، و ٢٣٢٫٤١٣ غزالا ، و ٢٤٣٫٦٨٨ من الغنم ، ولكنهم لم يرسموا ذلك العدد الهائل من الحيوانات بل رمزوا لها بعدد قليل من كل منها .

وهناك مناظر أخرى مشابهة يبلغ عددها احد عشر منظرا عثر عليها على بقايا مبانى هذا الرواق ولكنها محطمة الى درجة لا يمكن معها اعادة تركيبها أو فهم تفاصيلها .

وهناك ممر عريض يحيط بالفناء وهو مبلط أيضا بالبازلت ومزين بالنقوش . وأمكن بدراسة الأجزاء الباقية من نقوش هذا الممر التأكد من أنها تختلف كثيراً فى طبيعتها عن تلك التى فى الفناء أو الطريق الجنازى . فكان على الجانب الشمالى منه مناظر تمثل الملك وهو يطعن بحربته سمكة كبيرة ، أو تمثله وهو يصطاد الطيور بعصا الرماية .

وعلى الجانب الجنوبى نقوش يبلغ طولها ٣٠ قدما تقريبا تمثل الملك وهو يصيد الحيوانات ، ويقف وراءه خليفته على العرش نفر اركارع وعدد من حاشيته وأمامه مجموعة من الآرام والغزلان والأيائل وحيوانات أخرى ذات قرون ، يسوقها رجال يضربونها لتدخل الى أرض متسعة مسورة حيث يرميها الملك بسهام من قوسه ، وتمسك كلاب الصيد بعضا من الحيوانات المجروحة من نحورها لاحضارها للصيادين . ونرى هنا وهناك شيئاً من التنويع فى المناظر ببعض أشياء مسلية ، كتصوير فأر الغيط (اليربوع) والقنفد وهما يختفيان فى جحريهما أو الضبع وهو يحاول أخذ ريم جريح ليلتهم جزءاً منه . ويرجع الفضل فى حفظ هذه التحفة الممتازة من النقش الفنى الى محض الصدفة ، اذ تحول هذا الجزء من الممر فى العصور المتأخرة فأصبح هيكلا للالهة سخمت الهة النار .

ومن أهم النقوش فى المعبد كله تلك التى كانت على الجدار الشرقى للممر الغربى . فالى يسار الباب الذى نفاذره من الفناء المكشوف كان يقف الملك بصحبة رجال بلاطه وهم يشاهدون رحيل اثنتى عشرة سفينة بحرية ذاهبة الى أرض غير معينة ، ربما فلسطين أو سوريا . ويقابل تلك المناظر فى الناحية الجنوبية للباب منظر الملك مع حاشيته يشاهدون وصول السفن وقد عادت محملة ومعها عدد من الأسيويين . ونحن لا نعرف ان كانت هذه السفن قد خرجت فى مهمة حربية أو لغرض تجارى . ونهذا ربما كانت حمولتها جزية أو بضائع تجارية ، ولا نعرف أيضاً أن كان الأسيويون أسرى حرب أو عبيداً اشتروهم . وقد



شكل (٢١) ـ المجموعة الهرمية لساحورع

استورد المصريون الخشب من سوريا فى عهد سنفرو ، ولهذا لا يمكننا أن نعتبر هذه الخملة شيئاً جديداً استحدثه ساحورع .

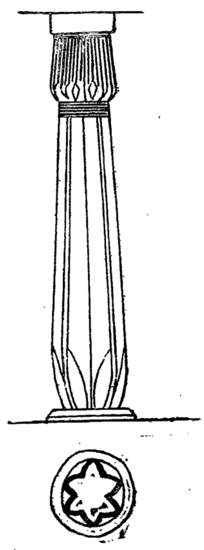
ويمكن الدخول الى جميع أجزاء المجموعة الهرمية بطريق مباشر أو غير مباشر من الممر الغربى . ويمكن الوصول عن طريق باب فى الطرف الشمالى الى داخل حرم الهرم أو الى سلالم تؤدى الى سقف المعبد ، ويؤدى باب آخر فى الطرف المقابل من الممر الى داخل حرم الهرم ، وكذلك الى فناء الهرم الجانبى (شكل ٢١ — ٩) والى مدخل جانبى للمجموعة الهرمية . وفى وسط الممر على الجانب الغربى يوجد ممر يعقبه بضع درجات تؤدى الى حجرة صغيرة فيها السكوات الخمس للتماثيل (شكل ٢١ — ٦) . وفى الجدار الجنوبى لهذه الحجرات باب هو الطريق الوحيد للوصول الي المقدس (شكل ٢١ — ٧) والى خمس حجرات خلفه كانت اثنتان منها على الأقل تستخدمان فى اقامة نوع من الطقوس فى حفلات المعبد الدينية .

ويبلغ طول المقدس حوالى ٤٥ قدما وعرضه نحو ١٥ قدما ، ويحتمل أن تكون ارضيته قد بلطت بالمرمر ، وهو المادة التى صنعوا منها المذبح المنخفض القائم عند أسفل الباب الوهمى الجرانيتى فى الجدار الغربى .

والجدران الشمالية والجنوبية والشرقية كانت مشيدة من أحجار جيرية ومزينة بنقوش تمثل الآلهة وهى تحضر الهدايا من الأطعمة للملك ، أما افاريزها السفلى فكانت من الجرانيت .

ويمكن الوصول الى المخازن — وهى فى صفين متقابلين — عن طريق ممرات تبدأ من دخلتين عميقتين فى الجدار الغربى من الدهليز الغربى . وهى سبعة عشر مخزنا تصل اليها من الدخلة الجنوبية وعشرة مخازن من الدخلة الشمالية . ويحمل سقف كل دخلة عمود من الجرانيت ارتفاعه ١٢ قدما على هيئة حزمة مكونة من ستة جذوع من نبات البردى مربوطة مع بعضها ، وكونت براعمها تاج العمود (شكل ٢٢) . وبنيت المخازن فى مجموعات من طابقين ، وكل مخزن حجرة واحدة ، ولكل مجموعة سلمها الخاص . ومن المحتمل جداً أن المجموعة الصغيرة من المخازن كانت للاحتفاظ بالأشياء النفيسة ، مثل الأوانى المزخرفة والتماثيل المذهبة التى يستعملها الكهنة الجنازيون فى مناسبات خاصة .

وعلى بعض القطع المنقوشة من جدران احدى الحجرات نرى الملـك ممسكا بحلية . ولهذا فمن المحتمل أن تكون هذه الحجرة مخزنا لوضع النياشين الذهبية التى كان الملك يكافىء بها موظفيه اعترافا بخدماتهم الممتازة ، وربما كانت المخازن فى المجموعة الكبيرة تستخـدم لتخزين بعض الأوانى والأطعمة .



شكل (٣٢) ـ عمود من طراز حزمة البردى

ومن أهم معالم مجموعة ساحورع الهرمية ذلك النظام الدقيـق لتصريف المياه التى كانت تسقط على السقف فتنصرف من ميازيب على هيئة رءوس الأسود ، تبرز من أعـلى الجدران الخارجية . أمـا فى

الأجـزاء المكشوفة (غير المسـقوفة) فى المجموعة الهرميـة فان ماء المطر الذى يسقط فيها ينصرف من فتحات عند أسفل الجدران الخارجية بعد أن يصـل اليها عن طريق قنوات محفـورة فى أحجـار بـلاط الأرضية . الا أنه كانت هناك طريقـة أخرى لتصريف الميـاه ونقل المياه والسوائل الأخرى التى كانت تستخدم أثناء اقـامة الاحتفالات فى المعبد ، والتى أصبح بعضها نجسا من الناحية الدينية ولذلك كان من الخطر لمسها . فقد وضعوا فى اجزاء مختلفة داخـل المعبد خمسة أحواض من الحجر ، مغلفة بالنحاس ولها سدادات من الرصاص تحكم غلق فتحاتها . اثنان منها فى الحجرات الواقعة خلف المقدس ، وواحد فى المقدس نفسه ، وآخر فى الممر المؤدى الى المقدس ، والأخير فى مجموعـة المخـازن الصغرى . وركبوا فى هذه الأحـواض مواسير من النحاس لتوصلها بأنابيب نحاسية تجرى تحت أرضيـة المعبـد الداخلى والفناء المكشوف وبهو المدخل والطريق الجنازى حتى طرفه السفلى حيث تنتهى الى منفذ فى الجانب الجنوبى ، وذلك كله لتصريف المياه الى خارج المعبد ، ولا شك أن المصريين استخرجوا المعدن اللازم لهذه الأنابيب من مناجم سينا أو مناجم الصحراء الشرقية ، لأن طولها أكثر من ألف قدم . وان فى استعمال مثل هذه الكمية من هذا المعـدن النفيس ، دليلا واضحا على الأهمية التى كان ساحورع يعلقها على وجودها فى معبده .

وتهدم هرم ساحورع تهدما بالغا سواء من الخارج أو الداخل . وكان طول ضلع قاعدته عندما كان تاما ٢٥٧ قدما ، وكان ارتفاعـه العمودى نحو ١٦٢ قدما ، ولم يبق من كسوته الأصلية التى كـانت من احجار طره الجيرية الا بعض قطع ، غير ان جزءاً كبيراً من قلب بنائه ما زال سليما . وقد سد معظم الممر المؤدى الى حجرة الدفن سدا كاملا بانهيار بنائه ، ولهذا لا يمكن المرور فيه . أما مدخله فهـو فى الواجهة الشمالية (شكل ٢١ — ٨) عند نقطة تبعد عن شرق الوسط بقليل وفى مستوى الفناء المحيط به ، وينحـدر بزاويـة قدرها ٢٧° لمسـافة ١٤ قدما تقريبا ، ويستمر افقيا لمسافة ٢٧ قدما حيث سـد بسقاطات من الجرانيت ، ثم يصعد بانحدار تدريجى بسيط حتى يصل الى حجرة الدفن المستطيلة . وكسيت جدران الممر كلها من الداخـل بالحجر الجيرى ، أما منزلق المدخل وبضعة اقدام على جانبى السقاطات

ومسافة قصيرة فى نهايته فقد كسيت بالجرانيت . وبنيت حجرة الدفن كلها من أحجار طره الجيرية ، ويتكون سقفها المدبب من ثلاث طبقات فوق بعضها . وقدر برنج الذى فحص السقف أن أضخم أحجارهـا يبلغ ٣٥ قدما فى الطول وعرضها ٩ أقدام وسمكها ١٢ قدما . ولـكن بالرغم من حجمها وثقلها فلم يبق منها سليما دون تكسير سوى أثنين فقط .

ووضع نفرار كارع Neferirkhara ـــ الذى دام حكمه أكثر من عشر سنوات ـــ تصميم مجموعته الهرمية على مثال مجموعة ساحورع تقريبا ، ولكنها على نطاق أعظم (شكل ١٨ ـــ ٤) . ولكن لم يقدر له أن يراها كاملة ، فعندما حانت منيته لم يكن قد تم الا وضع أساسات مبنى الوادى . وبنوا الطريق الجنازى ، ولكنهم لم يتموا الممر الذى فوقه . أما العمل فى كوات التماثيل الخمسة وفى المقدس داخل المعبـد فقد تم منها جزء كبير . ولم يتم بناء الهرم ، مع أن العمل فيه كان قد تقدم أكثر من أى مبنى آخر فى المجموعة الهرمية . ويبلغ طول ضلـع القاعدة ٣٦٠ قدما وارتفاعه ٢٢٨ قدما . وهو بذلك يزيد قليلا عن هرم منكاورع . وتبين القطع القليلة الباقية من كسوته الخارجية أن المدماك الأسفل على الأقل كان من الجرانيت الذى لم يصقل سطحه . وأراد نفرفرع ـــ خليفة نفرار كارع الذى لم يحكم الا فترة قصيرة وبدأ يبنى هرما على مسافة قصيرة فى الجهة الجنوبية الشرقية لنفسه ـــ أن يتمم مجموعة نفرار كارع ، وكذلك فعل نى أوسر رع ، ولكنهما استعمـلا فقط الطوب اللبن وعدلا فى التخطيطات الأصلية ، وتركا مبنى الوادى والطريق الجنازى دون انجاز ، فأتمهما نى أوسر رع (Niuserra) فيما بعد واتخذهما لنفسه . وترتب على ذلك أن كهنة نفرار كـارع الجنازيين ـــ بدلا من أن يتبعوا القاعدة المألوفة ببناء مدينة الهرم على مقربة من مبنى الوادى ـــ وجدوا أنفسهم مضطرين لتشييد منـازلهم المبنية بالطوب اللبن خارج جدران المعبد الجنازى .

ولكى يستعمـل طريق « نفراركارع » الجنـازى دون عمـل أى تغيير ، اضطر « نى أوسر رع » أن يبنى مجموعته الهرمية الى جانب معبد نفرار كارع الجنازى فى الجهة الشرقية . وقد اختار أرضا واقعة فى الناحية الشمالية الشرقية ، وبذلك أمكن استعمال النصف الأسفل من الطريق الجنازى فقط كما هو ، وخلع أحجار الجزء الأعلى منـه وأعـاد بنـاءه حسب الاتجاه الجديد أى فى اتجـاه الشمال الشرقى (شكل ١٨ ـــ ٩) وأصبحت هذه الزاوية الى حد ما أقـل ، نظرا

لوضعهم بهو المدخل وفناء الأعمدة أمام النصف الجنوبى من الواجهة الشرقية للهرم . فاذا لم يكونوا قد فعلوا ذلك عمدا لتقصير المسافة بين المعبد والطريق الجنازى القديم ، فلا بد أن عدولهم عن بناء المعبد على خط محور الهرم من الشرق الى الغرب كالمعتاد كان نتيجة حتمها عليهم وجود عائق فى المكان ، مثل وجود مقبرة مثلا أو نظراً لعدم صلاحية الأرض فى ذلك المكان .

واختلفت مجموعة نى أوسر رع الهرمية عن مجموعة ساحورع فى التفاصيل فقط ، غير أنها تعطى صورة واضحة للمدى الذى يمكن عمله فى تعديل التخطيط المتبع ليلائم ما تفرضه طبيعة المكان فى أى موقع من المواقع . وكان لمبنى الوادى شرفتان ، كبراهما تواجه الناحية الشرقية وصغراهما تواجه الناحية الغربية (شكل ١٨ — ٨) الا أنه بدلا من الأعمدة النخيلية التى نراها فى مبنى الوادى لساحورع فقد زودت هاتان الشرفتان بأعمدة بردية الطراز من الجرانيت الوردى ، وقد استخدموا أيضا أحجار طره الجيرية والجرانيت الوردى والبازلت الأسود المصقول فى الأسقف والجدران وأرضيات الغرف . كما استخدموا البازلت فى بناء الافريز السفلى لجدران ممر الطريق الجنازى . أما الجدران نفسها فقد كسيت بأحجار طره الجيرية ، وزينت بنقوش لمناظر مختلفة منها ما يمثل الملك كأسد أو كأسد له رأس طائر يطأ أعداءه تحت قدميه . وفى المعبد الجنازى تحمل الأعمدة البردية سقف الممر المحيط بالفناء . وبنيت معظم المخازن — نظرا لضيق المكان — فى المعبد الداخلى خارج الجدارين الشمالى والجنوبى لبهو المدخل . وشغل المقدس مكانه المعتاد ، الى الشرق من حجرة الدفن ، وبذلك أصبح الى الشمال من المحور الشرقى الغربى للمعبد بمسافة غير قليلة . وفى جنوب شرقى الهرم الأصلى بنوا الهرم الاضافى المعتاد .

وبنى دد كارع أسيسى — وهو الذى خلف نى أوسر رع على العرش — هرمه فى سقارة ، وهو الهرم المسمى باللغة العربية « الهرم الشواف » . ولم تتحدد نسبة هذا الهرم الى أسيسى الا فى خريف عام ١٩٤٥ عندما كشفت عنه مصلحة الآثار المصرية تحت ادارة اسكندر فارى (١) .

---

(١) كان المرحوم اسكندر فارى يعاون المرحوم عبد السلام محمد حسين فى حفائره فى تلك المنطقة . (المعرب)

وأقام أوناس — آخر ملوك هذه الأسرة — هرمه قريبا من الركن الجنوبى الغربى لسور الهرم المدرج ، أى فى الناحية المقابلة للمنطقة التى قام عليها هرم أوسر كاف مؤسس الأسرة ، وثبت من حفائر مصلحة الآثار — التى تمت منذ سنوات قليلة تحت ادارة الأستاذ سليم حسن أولا ثم عبد السلام حسين فيما بعد — أن جزءاً كبيراً من الطريق الجنازى ما زال محتفظا بكيانه فى هذه المجموعة الهرمية اكثر من اى طريق جنازى آخر (لوحة ١١ أ) . وبالرغم من أن الطرف العلوى من هذا الطريق فقط هو الذى قد أزيحت عنه الرمال ، فان اتجاه الطريق بأكمله أصبح واضحا على طول المسافة كلها، أى الـ ٧٣٠ ياردة التى تفصل بين مبنى الوادى والمعبد الجنازى . ولا يتبع هذا الطريق خطاً مستقيما ، ولكنه يغير اتجاهه مرتين لكى يستفيد من طبيعة الأرض . ولكن بالرغم من هذه التعديلات فقد كان من الضرورى ملء هبوط فى الأرض يبلغ عمقه نحو ٢٥ قدما واتساعه أكثر من ذلك ، وقد أخذوا بعض الأحجار التى استعملت فى ملء هذا الهبوط من مبانى الهرم المدرج ، وهذا يثبت أن آثار زوسر الشهيرة كانت قد بدأت تتهدم فى أواخر أيام الأسرة الخامسة . وبنيت جوانب الجسر منحدرة فأصبح اتساعه فى سطحه العلوى ٢٢ قدما تقريبا . وفوق هذا الأساس الضخم بنوا الممر العادى المسقوف ؛ ويبلغ ارتفاع جدرانه نحو ١٢ قدما وسمكها حوالى ٦ أقدام و ٨ بوصات، أما عرض الممر فى الوسط فلم يزد على ٨ أقدام و ٧ بوصات تقريبا . وسقفوا الممر بكتل من الحجر يبلغ سمكها قدما و ٩ بوصات ، وقد تركوا فى وسط السقف فتحة عرضها ٨ بوصات تقريبا لادخال الضوء . والى جنوب الطريق الجنازى حفرة المركب طولها ١٤٨ قدما ومبطنة كلها بأحجار طره الجيرية .

والجدران الداخلية للممر رسمت عليها نقوش دقيقة ومناظر كثيرة شغلت مساحات كبيرة منها ، وفى بعضها نرى سفينة تنقل بعض الأعمدة النخيلية والأعتاب المستعملة فى بناء المعبد الجنازى ، وكلها من الجرانيت جاءت بها السفينة من أسوان .

وفى مجموعة أخرى من هذه النقوش نرى بعض الصناع يطرقون الذهب ، ويصبون الأدوات النحاسية ، أو يصقلون الأوانى المصنوعة من الذهب أو الحجر . ونجد فى أماكن أخرى نقوشاً تبين عمال الضياع الملكية وهم يجنون التين ويحصدون القمح ويجمعون العسل ، وهناك عدد كبير من الخدم يحضرون الأطعمة من مختلف الأنواع الى

القبر . واشتملت مناظر الصيد على صور لكل حيوان ذى قرنين معروف للمصريين ، وكذلك على رسم للزرافة والأسد والفهود والذئاب والضباع واليرابيع والقنافذ . وربما كان أكثر هذه المناظر تعبيراً عن موضوعه ، ذلك النقش الذى يمثل ضحايا احدى المجاعات ، فقد هزلت أجسامهم حتى بدت جلدا على عظم (لوحة ١١ ب) . ومما يدعو الى الأسف أن هذا المنظر غير كامل ، ومن الصعب أن نتكهن بالمناسبة التى جعلتهم يرسمونه ، بل لا يمكن على وجه اليقين تحديد الجنسية التى ينتمى اليها الأشخاص المرسومون فيه .

ولما كانت نقوش المقابر توضح عادة الوقائع والحوادث التى يرغب صاحب المقبرة فى تخليدها ، فربما كان هؤلاء الناس الذين كادوا يموتون جوعا غير مصريين ، وأن الجزء المفقود من هذا الجزء من النقوش يحتوى على مناظر المؤن التى أرسلها اليهم أوناس . ولونت كل هذه المناظر بألوان زاهية بقيت بعض آثارها واضحة حتى الآن ، وزين السقف أيضا بنجوم ذهبية نقشت نقشا بارزا فوق أرضية تشبه السماء فى زرقتها .

أما معبد أوناس الجنازى فقد كشف ا. بارزانتى (A. Barsanti) عن جزء منه عندما كان يعمل هناك لحساب مصلحة الآثار فى عام ١٩٠٠، وأجرت مصلحة الآثار فى عام ١٩٢٩ حفائر أخرى تحت ادارة س. م فيرث فأتمت حفره . وهو يشبه فى تخطيطه وبنائه معبد ساحورع الجنازى شبها كبيراً ، ولكنه يختلف عنه فى وضع الممرات والمخازن داخل المعبد . وتختلف أرضيتهما ، فقد استخدم أوناس أحجار المرمر ، بينما استخدم ساحورع البازلت فى تبليطات أرضيات معبده . وبينما وصل الينا عدد عظيم من النقوش التى كانت فى الطريق الجنازى ، لم تحفظ لنا الأيام من نقوش المعبد الا قطعا قليلة عليها رسم بعض الخدم يحملون القرابين .

ولا يختلف هرم أوناس فى مظهره الخارجى عن غيره من الأهرام فى شىء ذى أهمية خاصة ، وطول ضلع قاعدته ٢٢٠ قدما وارتفاعه العمودى ٦٢ قدما ، وهذه مقاييس متواضعة اذا قارناها بآثار الأسرة الرابعة ، أما فى داخله فهناك عدة أشياء جديدة . فالمدخل ، ولو أنه فى الناحية الشمالية الا أنه ليس فى واجهة الهرم بل تحت الأرضية . وكانت هناك ثلاث سقاطات من الجرانيت لسد الممر المؤدى من المدخل الى ردهة مربعة (شكل ٢٣ — ١) وعلى الجانب الشرقى

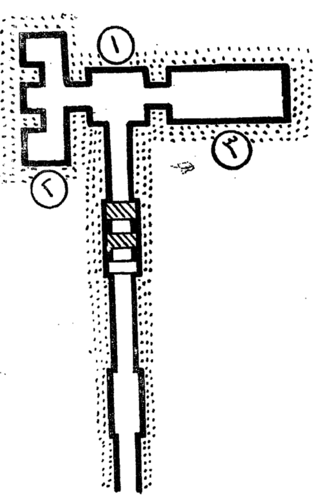
لهذه الردهة تفتح حجرة طويلة ضيقة فى الجدار الشرقى منهــا ثلاث كوات لتماثيل (شكــل ٢٣ ــ ١) . أما حجــرة الدفن فكــانت فى الناحية الأخرى غربى الردهة (شكل ٢٣ ــ ٣) ، وفى نهاية الحجرة نجد تابوتا حجريا مستطيلا ، وقد ظل سليما حتى الآن ولكن محتوياته سرقت من مدة طويلة قبل عــام ١٨٨١ وهــو الوقت الذى اكتشفه فيه ج. ماسبرو ، أول عالم أثرى فتح هذا الهرم .

وبنيت كل الحجرات داخل الهرم من أحجار طره الجيرية ماعدا الجدار الغربى من حجرة الدفن ، وكذلك النصف الجنوبى من كل من الجدارين الشمالى والجنوبى أمام التابوت ، اذ بنوها بأحجار المرمر بدلا من الحجر الجيرى ، ونقشوا على المرمر زخارف تمثل دخــلات وخرجات وبابا وهميا لونوها كلها .

ولكن هناك ما هو أهم من هذه التجديدات فى البناء فى هذا الهرم : وتلك هى السطور الرأسية من الكتابات الهيروغليفية التى تغطى جدران الردهة والأجزاء المبنية بالحجر الجيرى من حجرة الدفــن ، وملأوا كل حرف هيروغليفى بمعجون أزرق اللون فجعلها واضحة جلية فوق الأرضية البيضاء . وتعرف هذه الكتابات باسم « متون الأهرام » ، وهى غير قاصرة على هذا الهرم فقط بل وجدت أيضا فى أهرام الأسرة السادسة ، فى أهرام تيتى ، وبيبى الأول ، ومرن رع ، وبيبى الثانى ، وفى هرم ملك يسمى ايبى (Ibi) لا يعرف تاريخه على وجه التحقيق ، وفى أهرام زوجات الملك بيبى الثانى الثلاث .

وليست متون الأهرام قصة متصلة ، بل تحتوى على مجموعة من التعاويذ جمعت دون عناية كبرى بما تحويه ، ودون أن يكون لها ترتيب خاص . وبالرغم من اننا نجد معظم هذه المتون فى اكثر من هــرم ، الا أن الموجود منها فى هرم ما يختلف عن الموجود فى هــرم آخــر ، فمثلا فى هرم أوناس نجد فقط مائتين وثمانيــة وعشرين متنا اختيرت من مجموع الرقى المعروفة لنا والتى يزيد عددها على سبعمائة .

وكان الغرض من متون الأهرام ــ كأى عنصر آخر فى المجموعــة الهرمية ــ أن تضمن للملك أو الملكة السعادة فى الحياة بعد الموت . وكان سحر الكلمة المكتوبة قويا لدرجة أن وجودها وحده يكفى ليضمن تحقيق الأفكار التى تعبر عنها .



شكل (٢٣) ـ الحجرات والممرات فى هرم أوناس

ولا شك أن الكلمة التى تخرج من فم شخص له أهلية التفوه بها كان لها أيضا الأثر نفسه على الأقل . ولكن خروجها من الفم كان يتوقف على حسن قصد أو مثابرة أشخاص آخرين .

ويوجد نص يكتب عادة على الجدار الشمالى لحجرة الدفن يبين الصلوات التى يتلوها الكهنة كل يوم فى المعبد الجنازى عندما يضعون الأطعمة على المذبح أمام الباب الوهمى . فاذا ما كتبوا هذه الصلوات وملأوا مخازن المعبد بالأطعمة ، فان الملك يأمن غائلة الجوع والعطش حتى ولو أهمل الكهنة فى أداء واجباتهم . ويصف كثير من النصوص رحلة الملك فى العالم الآخر ، ذلك العالم الذى كان مقره فى السماء بعد الأفق الشرقى ، ويصف مجهوداته عند وصوله الى هناك . وواضح أن

الملك لا يتوقع أن يلقى معونة ذات شأن من الآلهة عندما يقوم بهذه الرحلة ، ولكنه اذا تحصن بقوة هذه النصوص السحرية يستطيع أن ينجح فى التغلب على كثير من مخاطرها . وبمساعده هذه النصوص أيضا يضمن الملك اشتراكه مع اله الشمس فى رحلته اليومية عبر السماء . وبين هذه النصوص مجاميع من الأناشيد للآلهة ودعوات من أجل الملك المتوفى .

وأكثر نصوص الأهرام لم يكن من عمل الأسرتين الخامسة والسادسة على وجه التأكيد ، ولكنها نشأت فى العصور الموغلة فى القدم ، ولهذا لا نعجب اذا رأيناها تحتوى فى بعض الأحيان على تلميحات لأمور لم يزاولها الناس فى عهد أوناس ومن جاءوا بعده ، ففى المتن رقم ٦٦٢ مثلا نقرأ هذه العبارة : « اطرح الرمل عن وجهك » وهى عبارة لا يمكن الا أن تشير الى طريقة الدفن فى عصر ما قبل الأسرات ، عندما كان الملك يدفن فى قبر محفور فى الرمل .

وهناك خطأ مشابه ولكنه يشير الى مصاطب الطوب اللبن فى العصر العتيق ، ففى المتن رقم ٣٥٥ : «أزيلت قوالب الطوب من أجلك فى القبر العظيم » . وفى المتون رقم ٢٧٣ — ٢٧٤ اشارات الى عادات كانت متبعة فى عصور أقدم عهدا من العصر العتيق ، تصف الملك المتوفى كصياد يمسك الآلهة ويلتهمها لكى تحل صفاتها فيه .

ولكن فى الوقت ذاته نجد ذكر الهرم فى كثير من هذه المتون ، ومعنى ذلك أن هذه المتون يمكن أن تكون قد نشأت قبل الأسرتين الثالثة والرابعة ، فالمتن رقم ٥٩٩ مثلا يقول : « هم (أى الآلهة) أولئك الذين يجعلون هذا العمل خالدا وسيجعلون هذا الهرم خالدا » . ونظراً للاشارة المستمرة الى عقيدة الشمس يكاد يكون من المؤكد أن هذه المتون من عمل كهنة عين شمس . فعندما وضعوها فى الأسرة الخامسة أخذوا بعض تعاويذ دينية قديمة وأضافوا عليها بعض أدعية وصلوات من عصور أحدث لتلائم احتياجاتهم فى العصر الذى عاشوا فيه .

ومع أن الغرض من متون الأهرام هو مساعدة الملك المتوفى ، الا ان وجودها فى قبره خلق مشكلة جديدة لها خطورتها ، فنظرا لكتابتها بالهيروغليفية فقد اشتملت على كثير من صور الكائنات الحية ، ولم يكن لهذه الصور قيمتها كعلامة من علامات اللغة

الهيروغليفية فحسب ، بل كان لها — بفضل السحر — القدرة على أن تصبح مرة ثانية المخلوقات التى تمثلها . فمثلا رسم الأسد يعبر عن العلامة التى تنطق « رو » ، وفى الوقت ذاته اسم الحيوان الحى نفسه بكامل صفاته . وكذلك صور الآدميين التى تتكون منها بعض العلامات الهيروغليفية المستخدمة بكثرة تؤدى وظيفة مزدوجة . فلكى يدرأوا عن الملك خطرها — الذى قد ينتج من وجود عدد كبير من كائنات عدوة للانسان ومهلكة له على مقربة من المكان الذى هو فيه — لجأ الكهنة والفنانون الى عدد من الحيل المختلفة . فأحيانا يحذفون العلامات الخطرة ، أو يضعون مكانها علامات تمثل أشياء لا حياة فيها ولها نفس القيمة الصوتية فى اللغة الهيروغليفية . وكثيرا ما كانوا يحذفون من صور الانسان الرجلين والجسم ، فتقتصر على الرأس والذراعين فقط . أما الحيوانات فانهم يستطيعون تفادى ضررها بوسيلة بسيطة ، وهى بتر أجسامها ورسمها نصفين الواحد منهما منفصل عن الآخر . أما الثعابين فكانوا يرسمونها كاملة ، ولكن العقارب كانت تجرد من أذنابها . وكان المخلوق الوحيد الذى لم يسمحوا بوجوده على جدران حجرة الدفن هو السمك (ولم يشذوا عن هذه القاعدة الا مرة واحدة فقط) الا أن هذا الاغفال لم يكن راجعا الى ان السمك ربما يزعج صاحب المقبرة بوجوده ، بل نتيجة اعتقادهم بأن السمك — رغم أنه غير ضار بالانسان الحى — الا أنه يدنس أى جثة .

وبقيت متون الأهرام ، ولكن فى صورة معدلة ، أثناء الدولة الوسطى . فان عادة كتابة المتون على جدران الحجرات والممرات فى القبر قد أهملت وكتبت بدلا من ذلك على الجوانب الداخلية للتوابيت الخشبية المستطيلة التى كانوا يستخدمونها فى ذلك العصر ، وهذا هو السبب فى تسميتها « متون التوابيت » . وفى هذا العصر أيضا لم تعد قاصرة على الملوك بل اغتصب النبلاء حق استعمالها ، متبعين فى ذلك نفس الطريقة الديمقراطية التى اتبعوها فى أمور أخرى كثيرة كانت فى أول أمرها امتيازا قاصرا على الملك . وفى عصر الدولة الحديثة ، وبعد أن دخلت على المتون تعديلات أخرى ، كتبت على ورق البردى وسميت « كتاب الخروج أثناء النهار » ، وهى التى يعرفها أكثر الناس فى العصور الحديثة باسم « كتاب الموتى » .

وبنى تيتى وبيبى الأول ومرن رع أهرامهم فى سقارة ، فاختار تيتى منطقة تقع فى الشمال الشرقى من الهرم المدرج ، بينما اتجه خليفتاه الى جهة الجنوب واختارا موقعين لهرميهما على مقربة من مصطبة

ولم تشذ المجموعات الهرمية الثلاث عن النظام المتبع ، ولكن التفاصيل الكاملة لمبانيها لا يمكن التحقق منها حتى يكشف عنها تماما ، فالأهرام ذاتها تبدو صغيرة اذا قورنت بأعمال العصور السابقة ، ولكنها رغم صغر حجمها ورغم تهدمها فان أهميتها كبيرة ، نظرا لما تحويه من النصوص التى تشمل كثيراً من متون لم ترد فى هرم أوناس . واحد هذه الأهرام الثلاثة — وهو هرم ببى الأول — جدير بأن نذكره لأن نصوصه كانت أول متون الأهرام التى عثر عليها ، وكان يظن قبل أن يكتشفها ماسبرو فى عام ١٨٨١ أن الجدران الداخلية فى الأهرام كانت عارية من الكتابة .

واعتلى ببى الثانى — الذى خلف مرن رع — عرش البلاد وهو طفل ، ومات فى سن المائة ، على ما ذكره مانيتون . وقد ذكرت الوثائق التاريخية المصرية التى كتبت فى العصور المتأخرة أنه حكم أربعا وتسعين سنة ، فان صح ذلك فحكمه أطول حكم فى تاريخ مصر . وتقع مجموعته الهرمية — أو على الأصح ما تبقى منها بعد قرون من تعرضها للهدم والاعتداء — على مسافة قصيرة الى جنوب مجموعتى سلفيه ، وتبعد بمقدار ٣٠٠ ياردة عن الركن الشمالى الغربى لمصطبة شبسسكاف ، وقد حفرها جوستاف جيكييه بين عام ١٩٢٦ وعام ١٩٣٦ ونجح فى معرفة رسومها التخطيطية كلها ، والقليل من مبانيها . وكان من نتيجة عمله هذا أن أصبح ميسورا لنا أن نرى تخطيط المجموعة الهرمية عندما اكتملت ووصلت الى آخر تطوراتها .

وأمام مبنى الوادى رصيف عريض يبرز مسافة لا بأس بها عن حدوده الشمالية والجنوبية (شكل ٢٤ — ١) ، ولكى نصل الى هذا الرصيف من مستوى الوادى يجب أن نصعد منزلقا قصيرا من كلا الجانبين ، ثم نواصل السير فى منزلق أطول صاعد ولكنه على زاوية قائمة . وأحاط بالرصيف فى نواحيه الشمالية والجنوبية والغربية جدار سميك مرتفع من الحجر الجيرى ، وبنيت سلالم ضيقة داخل المبانى عند كل طرف من الجدار ، وهى تؤدى الى « متراس » يمتد بطول الجدار كله . وفى وسط الجدار الغربى الطويل فتح باب عتبته وجانباه من الجرانيت نقشت عليه أسماء وألقاب الملك ، بحروف هيروغليفية كبيرة ، ويوصل هذا الباب الى طرقة تسير خلال سمك الجدران حتى تصل الى بهو اعمدة به ثمانية أعمدة مستطيلة كانت من الحجر الجيرى على الأرجح .

ولم يبق من مبانى هذا الفناء الا أرضيته وأساساته ، مثل باقى أبنية المعبد ، ولكن المكتشف وجد بين الرديم بعض قطـع نقشت ولونت بعناية نقوشا كانت يوماً من الأيام على جدران ذلك الفنـاء . ويبدو أن المناظر المرسومة كانت من النوع التقليدى الذى يمثل الملك وهـو يذبح أعداءه أو يصطاد الطيور فى أحراش الدلتا أو فى حضرة الآلهة . ولا شك أنها كانت أهم حجرة فى المبنى كله ، اذ ان الحجرات الباقية لم تكن الا مخازن وغرفتين اخريين وكانت جـدرانهما عاريـة من النقش على ما يبدو . ولم تسفر الحفائر عن أثر لأى تمثال ، ولـكن ليس من المستبعد أن هذا المعبد قد حوى عدداً من تماثيل الملك .

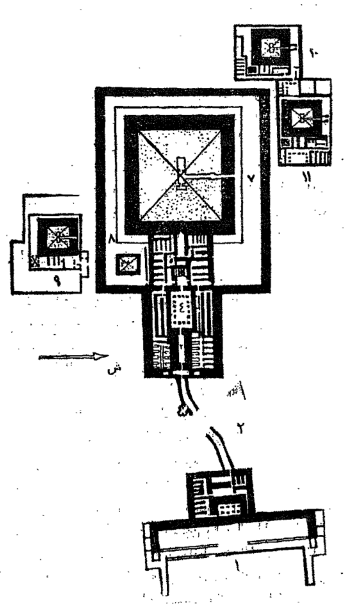
ومع أن مبانى طريق بيبى الثانى الجنازى (شكل ٢٤ ـــ ٢) على أسوأ حالة ، الا أنه يشبه طريق أوناس فى كثير من الاعتبـارات ، فكلا الطريقين غير اتجاههما مرتين ، أما لـكى يستفيدوا من طبيعة المكان واما لتقليل زاوية انحدارهما . وكذلك تقـارب المران اللذان فوقهما فى مقاييسهما أيضا . ولكن بينما عثر على كثير من بقايا النقوش فى ممر أوناس ، نجد أنه لم يعثر الا على بعض قطع قليلة مبعثرة فى ممر بيبى الثانى . ويبدو واضحا من هذه القطع أن المناظر التى كانت مرسومة فى الطرف الأسفل من الممر تشبه كثيرا تلـك التى كانت فى المكـان نفسه فى ممر ساحورع ، فالملك ممثل على صورة أبى الهول أو على صورة أسد برأس طائر وهو يطأ تحت أقدامه أعداء مصر التقليديين الذين تحضرهم اليه الآلهة كأسرى . وكان يصحب هـذا المنظر ، كما فى الأماكن الأخرى ، مجموعة من النقوش تبين الالهة سشات وهى تسجل أسماء الضحايا وتحرر كشوف الجزية المأخوذة .

أما المناظر التى فى الطرف العلوى من الممر فكانت تحمل طابعـا جنازيا صرفا ، فهناك صفوف طويلة من الخدم يحملون ما تنتجـه الضياع الملكية الى القبر . وفى المناظر المجاورة نجد مواكب مشابهـة ، لكنها تتكون من الآلهة والالهات ، تتقـدم نحـو الملك الجالس على عرشه . وبالقرب من أعلى الممر نرى أبوابا فى الجدران الجانبية لكى يمر منها الكهنة الذين يصلون الى المجموعة الهرمية من الشمال أو الجنوب ويريدون دخول المعبد الجنازى ، فلا يضطرون للذهاب أولا الى مبنى الوادى ثم يصعدون الطريق الجنازى كله . وكان البواب يقيم فى بيت

صغير الى جوار جدران الممر ، ليحرس الباب الجنوبى وليمنع الاشخاص غير المصرح لهم بالدخول الى الأماكن المقدسة . ولم يعثر على اثر لمثل هذا البيت الصغير فى الجانب الشمالى ، اذ ان المكان متهدم الآن ولا يمكن تحقيق وجود مكان الباب نفسه ، ولكن المفروض أن مثل هذا البناء كان موجوداً .

وكان الطريق الجنازى فى هذه المجموعة مفصولا عن بهو المدخل فى المعبد الجنازى بممر مستعرض لا يمكننا أن نعتبره عنصراً معماريا جديداً لأنه ، كما يبدو ، قد قصد به فقط أن يوصل الى السلالم التى تؤدى الى السقف من ممرات فى كلتا الناحيتين . ولم يختلف بهو المدخل فى الشكل والحجم عن التصميم المعتاد . فكانت جدرانه محلاة بالنقوش ، وفى أحدها نرى الملك وهو يصطاد فرس النهر من قارب مصنوع من البوص . وبعد بهو المدخل مباشرة نجد فناء فيه أعمدة على جوانبه ، وهو وأن كان أقل اتقانا من الناحية المعمارية الا أنه يتفق فى تخطيطه مع أبهاء معابد الأسرة الخامسة (شكل ٢٤ — ٤) . ولم تنقش الثمانية عشر عمودا المصنوعة من حجر الكوارتزيت الأحمر والتى تحمل سقف المشى لتحاكى الأعمدة النخيلية أو أعمدة البردى ، بل صنعت من قطعة واحدة مستطيلة زين وجهها الخارجى فقط بصور الملك مع أحد الآلهة ، وحلت بلاطات من الحجر الجيرى محل بلاطات البازلت المصقول أو المرمر فى معبدى ساحورع وأوناس . ومن المحتمل أنهم لم يزينوا جدران هذا الفناء بزخرفة نقوشه بالوان زاهية ، وربما كان مظهره — اذا قارناه بالمعابد التى شيدت قبله — بسيطا ومملا لا تنويع فيه .

وبعد هذا الفناء ذى الأعمدة الجانبية يقع الممر المستعرض المتوسط الذى لم يستخدم لفصل الأجزاء الداخلية من المعبد عن الأجزاء الواقعة خارج السور المحيط بالهرم فحسب ، بل كان النقطة المركزية فى المجموعة الهرمية كلها . وبالرغم من أنه تطور معماريا من الجزء الغربى من الممر الذى يحيط فى المعابد السابقة بالجدران الخارجية للأبهاء ذات الأعمدة ، الا أنه أصبح الآن عنصرا مستقلا ، وحذفوا الأقسام الجنوبية والشرقية والغربية من الممر السابق . وتؤدى الأبواب الموجودة فى الطرفين الشمالى والجنوبى لهذا الممر الى داخل السور المحيط بالهرم ، حيث تقوم — فى الركن الجنوبى الشرقى من الهرم الاضافى (شكل ٢٤ — ٨) والى الشرق من هذا الممر ومتاخما للجانبين الشمالى والجنوبى من البهو ذى الأعمدة وبهو المدخل — مجموعة



شكل (٢٤) ـ المجموعة الهرمية لبيبى الثانى

كبيرة من المخازن . ونحن نعرف أن نى أو سررع ــ نظراً لقلة المساحة فى معبده الداخلى ــ شيد المخازن على جانبى بهو المدخل ، ولهــذا لا يمكن القول بأن بيبى الثانى قد أدخل بدعة معمارية فى هذا الصدد . وكانت الأجزاء الداخلية من المعبد وباقى المخازن تقع فى غرب الممــر ، ونصل اليها عن طريق فناء صغير أو بهو يحتوى على كوات التماثيل الخمسة (شكل ٢٤ ــ ٥) .

ولم يعثر جيكييه الا على بعض قطع صغيرة من النقوش فى الممر المستعرض المتوسط ، ولكنه استطاع أن يبين فى رسمه — الذى صور فيه هذا الممر كما كان يوم انشائه — أن تلك النقوش كانت من أهم ما فى المعبد كله . وفى الناحية الجنوبية من الجدار الشرقى نرى الملك وهو يضرب زعيما ليبيا أسيرا بدبوسه على رأسه ، ووقف خلف هذا الزعيم زوجته وولداه طالبين الرحمة . ولم يكن هذا المنظر تكراراً للموضوع المرسوم فى معبد ساحورع فحسب بل هو فى الحقيقة نسخة منه ، حتى فى تكرار أسماء الزوجة والولدين . وتثبت هذه النسخة المزدوجة لموضوع واحد فى معبدى ملكين يفصل بين حكميهما قرنان من الزمان ان نقوش المعابد لا تسجل فى الواقع حوادث تاريخية من حياة الملك بل انها تثبت أنه لم يقصد منها سوى اظهار الحياة المثالية التى كان الملك يرغب فى ان يحياها فى العالم الآخر .

وفى مكان آخر من هذا الجدار نفسه نرى الملك مرسوما أربع مرات لابسا تاج مصر العليا وممسكا فى يده سوطا وشيئا مستطيلا ، وهو يؤدى شعيرة دينية تتطلب منه أن يجرى بين احجار مرصوصة على هيئة حدوة الجواد وبعضها موضوع على مسافة من البعض . وقد سبق العثور على مثيل لمنظر هذا الاحتفال فى الهرم المدرج (لوحة ٣ أ) وهو منظر الجزء الخاص بعيد الحب سد ، ويبدو أن الغرض منه فى الأصل على الأقل هو اعادة الخصوبة الى الأرض . وفى منظر آخر على هذا الجدار — وربما كانت له أيضا علاقة بشعائر الخصوبة — نرى الملك واقفا الى جوار عمود مرتفع مدعم بأربع ستادات من الخشب ، ورسم رجلان احدهما فوق الآخر وهما يتسلقان هذه السنادات ، بينما يقف آخرون ممسكين بالحبال المربوطة فى السنادات والعمود . وهناك نسخ من هذا المنظر ، الذى يذكرنا الى حد ما باحتفالات « عمود شهر مايو » فى العصور الوسطى . ونرى أيضا فى العصور المتأخرة على جدران معابد الكرنك والأقصر ودندرة وادفو صوراً منه ، ولكننا نرى فى تلك النسخ الاله مين اله الخصب يقف فى مواجهة الملك على الجانب الآخر من العمود المرتفع ويتقبل منه خضوعه.

ومن فجوة فى الجدار الغربى المستعرض المتوسط ، يوصل سلم صغير الى البهو أو الفناء الذى توجد فيه كوات التماثيل الخمسة (شكل ٢٤ — ٥) ولكن لم يبق داخل هذه الكوات الا قاعدة تمثال واحد مهشمة ، وهى تثبت أن التماثيل قد صنعت من الحجر الجيرى . وتمشيا مع العادة المتبعة لدى المصريين كانت هذه التماثيل ملونة ،

وكان على كل تمثال اسم الملك ولقب من القابه الخمسة على الأقل . وكانت هناك أيضا أبواب مزدوجة من الخشب لتحجب التماثيل عن العيون فى غير أوقات الطقوس الدينية التى كانت تقام أمامها . وربما كانت هناك أيضا مجموعة ثانية من التماثيل مخبأة ، وذلك اذا صبح التفسير الذى يقول بأن البناء الأجوف الذى يقع داخل البناء خلف الكوات الخمس ليس الا سردابا .

وفى كل من طرفى بهو التماثيل ممر ، الشمالى منهما يؤدى الى مجموعة صغيرة من المخازن ، والجنوبى الى حجرة ضيقة تتصل بدورها بمجموعة أكبر من المخازن وبردهة مربعة الى جوار المذبح (شكل ٢٤ — ٦) . وكان من بين النقوش التى تزين جدران الحجرة الضيقة منظر من المناظر العديدة التى تكررت فى هذا المعبد وتمثل الملك منتصرا على أعدائه ، ولم يبق من هذا المنظر الا أجزاء قليلة ولكنها تعطينا فكرة واضحة عن المنظر كله ، لأن جيكييه قد عرف فيها انها كانت الأصل الذى نقلت عنه نسخها ، نقلها الملك امنحوتب الثانى فى معبد الكرنك بعد موت ببيى الثانى بنحو ألف سنة . ففى الجزء الأوسط من المنظر رسم كبير للملك ملوحا بدبوس فوق رءوس جمع من الأسرى الأجانب ، وخلف الملك صورة آدمية صغيرة تمثل قرينه الذى يحميه ، وفى مكان آخر من المنظر ترى الالهة سشات تسجل على قرطاس عدد الأسرى المذبوحين ومقدار الجزية المأخوذة .

وان تكرار وجود مثل هذه المناظر فى المعبد الجنازى يجعلنا نظن أن احتفالات فى أوقات معينة كانت تقام لاحياء ذكرى النصر الذى أحرزه المصريون فى العصور الأولى على جيرانهم الأجانب ، وربما كان هذا التفسير يوضح لنا أيضا وجود بعض تماثيل فى هذا المعبد وفى غيره من معابد أسلافه ممثلة أسرى من الأجانب راكعين مكتوفى الذراعين . ولم يعثر حتى الآن على تمثال كامل من هذا النوع من التماثيل ، ونرى فى أكثرها أثر تحطيمها عن عمد . فمن المحتمل اذن أن تلك التماثيل كانت تستخدم أثناء تلك الاحتفالات التذكارية لتحل محل الأسرى الأحياء الذين كان من المفروض أن يقتلوا ، اذ ان العقلية المصرية لم تستسغ هذا النوع من القتل المجرد من أية رحمة .

ويحمل سقف الردهة المربعة عمود واحد كان فى الغالب مثمن الشكل . وعلى كل من جدرانها الأربعة نرى الملك تستقبله الآلهة المصرية وكبار الموظفين الدينيين والمدنيين ، الذين اجتمعوا لتحيته

عند دخوله المعبد آتياً من قبره عن طريق المقدس . فالآلهــة الذين يزيد عددهم على المائة قد وقف كل منهم منتصب القامة ممسكا بصولجان فى يد وبعلامة « الحياة » فى اليد الأخرى ، والموظفون البالغ عــددهم نحو خمسة وأربعين قد انحنوا أمام مليكهم خاشعــين ، وكذلك نرى الجزارين وهم يذبحون الماشية استعداداً للاحتفال .

وكان المقدس (شكــل ٢٤ ــ ٦) الذى يبلــغ طوله ٥١ قدما وعرضه ١٧ قدما وارتفاعه ٢٤ قدما أكبر حجرة فى المعبد الداخلى ، وزين سقفه المقبى حسب المعتاد بنجوم ذهبية فوق أرضية من سماء زرقاء . ولم يبق أثر للباب الوهمى الذى يشغل النصف الأسفل من الجدار الغربى أو من المذبح المنخفض الذى كان أمامه على الأرض ، وفى الاستطاعة معرفة المواضيع الكاملة للنقوش الملونة على الجدران الشمالية والجنوبية والشرقية مع أنها مهشمة الى مئات القطع . فعلى كل من الجدارين الطويلين كان الملك جالســا الى مائــدة محمــلة بالمأكولات ، وقد وقف من ورائه قرينه ، وأمام كل مائدة رهــط من مائة وخمســة وعشرين حــاملا للقرابين من الكهنة وموظفى الأقاليم ورجال البلاط وأعيان البلاد . وقد ضمن هؤلاء جميعا بتمثيلهم فى هذا المنظر ان يظلوا فى خدمة الملك فى الحياة الأخرى . ومن بين القرابين التى يقدمها هؤلاء الرجال البط والأوز والنبيذ والجعــة والفواكــه والخبز والخضروات ، ونرى الماشية والغزلان والماعــز وقــد ربطت بحبال فى أعناقها أو أرجلها الأمامية ، أما الحمام والسمان فقد حملوه فى اقفاص . وفوق هذه النقوش افريز عريض رسمت عليه مقــادير أخرى من الأطعمة ، ويمتد هذا الأفريز على الحائط الشرقى حيث نرى مناظر ذبح الماشية وقد شغلت المكان الذى شغله حملة القرابين على الجدارين الشمالى والجنوبى .

ولم يحدث أن أمكن اعادة تكوين مناظر النقــوش الأصــلية فى مقدس المعبد الجنازى كما حدث فى هذا المعبد ، أو رأينا كيف كانت جدرانه كلها مغطاة بما كان يسد الحاجات المــادية اللازمة لاسعــاد الملك المتوفى . فنحن نرى هنا جميع أنواع المأكــولات ، فاذا أهمــل الكهنة فى وضع الكميات اليومية من المؤن فوق المذبح فان الملــك لن يتأثر من الجوع او العطش ، لأن مجرد وجود الصيغة السحرية التى صاحبت النقوش والصور تمدها بجميع خصائصها المادية . وزيادة فى

الحرص خزنوا بعض الخمور والأطعمة الجافة فى عدد من المخازن فى الناحية الشمالية ، وهى متصلة بالمقدس عن طريق ممر بينهما .

وقبل أن يقوم جيكييه بحفر هذه المنطقة كان كوم التراب المرتفع فى الصحراء هو الدليل الوحيد على وجود هرم بيبى الثانى ، الذى كان — مثل الأهرام الأخرى التى من عصره — مشيداً من أحجار صغيرة واستخدموا فى بنائه مونة مكونة من طمى النيل وقد أمسكت بعضها ببعض كسوة سميكة من أحجار طره الجيرية . وكان لهذه الطريقة فى بناء الأهرام أضرار جسيمة ، اذ لا يوجد ما يعوق سرعة تحطيم البناء كله اذا ما أزيل جزء من الكسوة الخارجية ، وكان طول قاعدة الهرم عند بنائه ٢٥٨ قدما تقريبا ، وارتفاعه العمودى ١٧١ قدما تقريبا ، أى أنه أكبر من أى هرم من أهرام أسلافه المباشرين .

وكان هذا الهرم فريدا فى ظاهرة واحدة فقط ، اذ بنوا حول قاعدته كلها اطارا مربعا ، وكسوه بأحجار طرة الجيرية ، ولم تكن له فتحة الا فى الناحية الشرقية فقط حيث يتصل المعبد الجنازى بواجهة الهرم . ويرتفع هذا الاطار الذى يبلغ عرضه ٢١ قدما الى مستوى المدماك الثانى ، أو ربما الثالث ، من كسوة الهرم . ونظراً لأنه بنى ملاصقا مباشرة للكسوة ، فيتحتم أن يكون قد أضيف الى الهرم بعد أن تم بناء الجزء الأسفل منه على الأقل .

وهناك فى الواقع كل ما يجعلنا نعتقد أنه كان اضافة الى التصميم الأصلى لأن جيكييه وجد أن الجوانب الشمالية والجنوبية والغربية من السور المحيط بالهرم قد فك بناؤها ثم أعيد بعد ذلك على مسافة أبعد من الهرم ، وربما كان ذلك لافساح مكان لبناء الاطار . ومن الصعب أن نفهم لماذا عملت هذه الاضافة ، ولكن ربما اوجبها زلزال هز كيان البناء كله فبنوا هذا الاطار لزيادة متانته . ويرى البعض أن هذا الاطار ربما يفسر البناء المستطيل المضاف الى قاعدة الهرم عندما يستعمل كعلامة هيروغليفية △ ، ولكن من الصعب الاقتناع بذلك لأن هذا الاطار ليس له شبيه معروف ، ويبدو ان تنفيذه فى هذه الحالة جاء فيما بعد كنتيجة أملتها حادثة معينة ، وأغلب الظن أن العلامة الهيروغليفية السابق الاشارة اليها تمثل الهرم يعلو فوق جدار السور المحيط.

واكتشف جيكييه عند فك جزء من الاطار خارج مدخل الهـرم أن بعضا من الأحجـار التى استخدمت فى بنائه مزينة بالنقوش ، ومن المعتاد أن النقوش التى تدخل فى بناء الجدران أو المبانى لابد أن تكون من مخلفات مبان أقدم عهداً تستخدم غالبا بعد مرور قرون كثيرة . ولكننا نجد أن هذه النقوش كانت دون شك من العصر نفسه كتلـك التى فى المعهد الجنازى المجاور ، وان الاستنتاج المنطقى ليدل بوضوح على أنها كانت فى يوم من الأيام جزءاً من البناء الذى هـدم فى الوقت الذى أضيف فيه الاطار الى جوانب الهرم .

ويمكن تحديد طبيعة البناء من هذه النقوش القريبة الشبه بتلك التى كانت فى المقدس ، وذلك فى اشتمالها على صفوف الموظفـين الذين يحملون القرابين الى الملك الجالس الى مائـدة ، وعلى مناظـر ذبح الحيوانات ، وفى ذلك ما يجعلنا نرجح أن البناءين قد صمما للقيام بوظائف متشابهة . فنحن نعرف وجود هيكل للقرابين عند مدخل القبر وذلك فى هرم تيتى اول ملوك الأسرة السادسة ، كما نعرف أمثلة أخرى من عصور متأخرة ، ولهذا لا يكاد يوجد شك فى أن هيكلا من هذا النوع بنى أيضا عند مدخل هذا الهرم (شكل ٢٤ — ٧) ، ولـكن اضـافة الاطـار استلزمت ازالته ، وربما حل محله فيما بعد هيكل جديد لم يبق لـه أثر الآن ، أو انهم عدلوا عن التخطيط الأصلى .

وكانت كل أهرام الأسرة السادسة متشابهة فى التصميم العام وفى ترتيب أجزائها الداخلية . فينحدر ممر المدخـل الى أسفـل انحـداراً شديدا لمسافة قصيرة ، ثم يستمر أفقيا الى أن يصل الى ردهة مربعة بين السرداب وحجرة الدفن . وفى بداية القسم الأفقى يتسع الممـر ويرتفع سقفه فيتكون منه ما يشبه الحجرة . وقد وجد جيكييه داخـل هذه الحجرة فى هرم بيبى الثانى بعض قطع من أوانى المرمر والديوريت نقش عليها اسم الملك مع أسماء بعض من سبقوه ، واستنتج من فحص هذه القطع أن الأوانى ربما كانت تحوى عطورا كسرت عمداً أثنـاء القيام بشعيرة دينية عند مدخل القبر . ونقشت متون الأهـرام على جدران هذه الحجرة وعلى كل الجدران الباقية فى داخـل الهـرم ، باستثناء تلك الأجزاء من الممـر التى كسيت بأحجـار الجـرانيت ، والسرداب والطرف الغربى من حجرة الدفن المجاورة للتابـوت حيث كسيت الجدران بالمرمر وزينت برسوم تمثل بابا وهميا وبعض دخلات وخرجات .

وبالرغم من أن هذه المتون ليست محفوظة جيداً مثل متون أوناس ، الا أن كلا منهما تتشابه فى كثرتها ، وأن محتوياتها مرت بدور التطور ووصلت الى مستوى عال .

ويقع خارج السور المحيط بهرم الملك ثلاثة أهرام صغيرة خاصة بالملكات أوجبتن (Ujebten) وابوت (Iput) ونيت (Neit) . (شكل ٢٤ — ٩ و ١٠ و ١١) أما الملكة الرابعة المسماة عنخس — ان بيبى (Ankhes-en-Pepi) التى تزوجها فى آخر أيام حكمه الطويل والتى عاشت بعده بمدة فلم تدفن فى هرم . وكان لكل من الأهرام الثلاثة مجموعته الخاصة به ، والتى تضمنت فى صورة مصغرة العناصر الأساسية للمعبد الجنازى والسور الذى يحيط بهرم الملك ، ويمكن رؤية أوضح الأمثلة لتخطيطها وتنظيمها فى هرم نيت (شكل ٢٤ — ١١).

ففى الركن الجنوبى الشرقى من جدار السور الحجرى المحيط بالهرم، يوجد مدخل ضيق يوصل الى ردهة تتصل بدورها بفناء مكشوف محاط من جوانبه الثلاثة بأعمدة مربعة ، وزينت جدران كل من الردهة والفناء بنقوش بارزة تمثل الملكة وهى تقدم القرابين لالهات مختلفة أو تتقبل التحية من أسرتها وأتباعها . ويخرج ممر من الركن الشمالى الغربى للفناء ويمر بمجموعة من خمسة مخازن وفناء صغير فيه ثلاث كوات للتماثيل والمقدس . ويقع خلف الحجرة الطويلة والكوات سرداب أقيم داخل البناء ، وهو بذلك يشبه السرداب الذى بين الكوات والمذبح فى معبد الملك .

ولم يكن هرم الملكة نيت — الذى يبلغ طول ضلع قاعدته المربعة ٧٩ قدما وارتفاعه نحو ٧٠ قدما — فى كل معالمه الأساسية الا نسخة مصغرة من هرم الملك . وأقيم أمام مدخله هيكل للقرابين كانت جدرانه الداخلية مزينة جزئيا بنقوش تمثل الملكة وهى تتسلم المأكولات . ووضع مذبح للقرابين الجنازية عند قاعدة الباب الوهمى الذى قام مقام الجدار الجنوبى من الهيكل . ولما كان هذا الباب يغطى فتحة الممر الى الهرم فلا بد انه لم يوضع فى مكانه الا بعد عملية الدفن ، اما داخل الهرم فان الجدران الجانبية للممر بعد سقاطة الجرانيت الوحيدة كانت مغطاة بمتون الأهرام الى حجرة الدفن ما عدا طرفها الغربى حيث كسيت الجدران بالمرمر ، وزينت برسوم الباب الوهمى والدخلات والخرجات. وكان التابوت الجرانيتى عند العثور عليه فارغا بدون غطاء.

وكان الى جواره ، مدفونا فى أرضية الحجرة ، الصندوق الكانوبى المصنوع من الجرانيت والذى كان يحتوى يوما ما على أربعة أوان وضعت فيها أحشاء الملكة ، وفى الناحية الأخرى من حجرة الدفن توجد طرقة قصيرة تؤدى مباشرة الى السرداب دون وجود الردهة التى تفصل بينهما كما هو الحال فى هرم الملك .

وربما كان أهم شىء للمجموعات الهرمية الثلاث للملكات تلك الأهرام الاضافية بالقرب من الركن الجنوبى الشرقى لكل هرم منها . ففى مجموعات أهرام ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة كان بعض علماء الآثار المصرية ينظرون الى تلك الأهرام الاضافية على أنها قبور للزوجات الملكيات ، نظرا لمشابهتها للأهرام الاضافية التى أقامها خوفو ومنكاورع ، والتى لها فى الحقيقة كل مظاهر القبور الملكية ، ولكن هذا الظن أصبح بعيد الاحتمال بعد أن عرفنا أن بيبى الثانى ، مع أنه ضمن مجموعته الهرمية هرما اضافيا ، الا انه بنى أهراما منفصلة بمجموعات هرمية للملكاته ، فدحضت هذه النظرية نهائيا بعد أن ثبت أن كل مجموعة هرمية للملكات قد احتوت أيضا على هرم اضافى . وبالرغم من أننا لا نعرف التفسير الثابت الصحيح لوجود هذه الأهرام، فان بعض البيانات عن الغرض الحقيقى من وجودها قد أمدنا به هرم نيت الاضافى الذى كان مملوءا بأوان من المرمر والفخار . وعلى ذلك فالأرجح أنهم كانوا يظنون أن تلك الأوانى كانت تكتسب من محتوياتها فضلا خاصا والا لكانوا وضعوها فى المخازن .

ووجد جيكييه فى الفناء الصغير خارج هرم نيت الاضافى ستة عشر نموذجا لمراكب دفنت جنبا الى جنب فى حفرة غير عميقة . ومع أن وجود مثل هذه النماذج فى الدولة القديمة كان نادراً نسبيا ، الا أن مقابر الفترة الثانية والدولة الوسطى كثيرا ما اشتملت عليها كجزء من أثاث حجرة الدفن ، وكانت توضع فوق غطاء التابوت . ولم يكن الفرق بين مكان النماذج فى العصرين بمحض الصدفة ، ولكنه كان على الأرجح نتيجة لاختلاف الغرض منها . ففى الدولة الوسطى كانوا يقصدون من استعمالها أن تكون لفائدة المتوفى فى الحياة بعد الموت ، ولهذا كان من الضرورى أن تحفظ بنفس العناية التى يحفظ بها باقى أثاث القبر . أما المراكب الموضوعة تحت أرض مجموعة نيت الهرمية فكانت صورة مصغرة للأسطول المستعمل فى جنازة الملوك لنقل الجسم الى مبنى الوادى .

وقد بنى هرم نيت على مسافة بعيـدة من الوادى ، فلم يخصص له مبنى للوادى أو طريق جنازى لأن الوصول الى مكـانه عن طريق الماء كان أمرا غير عملى ، ولكن رغم ذلك فقد كان للاحتفال بنقل الجسم فى مركب درجة من القداسة أجبرتهم على وضع بديل عنها من نماذج المراكب ، فمتى وصلت الجثة الى القبر تصبح وكأنما قد أدت وظيفتها، وكانت تدفن بعد ذلك فى حفرة بسيطة معرضة لما يلحقها من أذى النمل والقوى المدمرة الأخرى .

ويبدو أن بيبى الثانى كان آخر ملك فى الدولة القديمة بنى مجموعة هرمية على نمط كبير ، وقـد ترك أحد خلفـائه ويسـمى ايبى (Ibi) هرما لم يتم بناؤه ، ولكن لم يزد حجمه عن هرم نيت وتنقصه المبانى المعتادة الملحقة به . ولم يكن هذا التدهور نتيجة لتغير مفاجىء فى العقائد الدينية ، وانما كان مرجعه الى نقص الثروة وفى نفوذ العرش ، وهى الحالة التى استمرت بعد ذلك مدة تزيد على مائتى سنة . فمنذ الأسرة الرابعة اعتاد الملوك مكافأة رجالهم لا بتشييد المقابر لهم فحسب، بل باقطاعهم قطعا ذات قيمة من الضياع الملكية التى خصصت غلتها لتزويد المقابر بالمأكولات . وكانت مثل هذه الأراضى الموهوبـة تعفى عـادة من الضرائب ، ومع مرور الأيام أصبح مجموعهـا كبيراً وسبب نقصا فى موارد الخزانة وأثر على الدخل . وزيـادة على ذلـك ففى الأسرتين الخامسة والسادسة أصبحت وظيفة حكام الأقاليم وراثية ، بعد أن كان الملك يمنحها سابقا لمدة معينة أو مدى حياة من يعينه فيها . وكانت نتيجة ذلك أن تكون جيل من أمراء الأقاليم لم يعودوا يشعرون بأنهم مدينون بمراكزهم لعطف الملك بل اعتبروها كحق ينالونه بفضل مولدهم . ولكن النتائج التى ترتبت على هذه التطورات لم يظهر أثرها الا فى نهاية حكم بيبى الثانى الطويل ، عندما ادت كهولته الى نقص فى الهيبة الشخصية التى كان يتمتع بها الملك سابقا ، فلم يمض عـلى موته الا فترة قصيرة حتى سـاءت الأمـور فى البـلاد ، وخاصـة فى الشمال عندما تعرضت لغزو اسيوى ، وأصـاب أمورها الداخليـة الانحلال ، وعادت مرة ثانية فانقسمت الى اقاليم تشبه تلـك التى أخضعها الملك « مينا » عندما وحد الأرضين فى بداية العصور التاريخية.

فاذا القينا نظرة سريعة على أهم المعالم الفنية فى المجموعات الهرمية للأسرتين الخامسة والسادسة نجد أن أهم ما استحدثوه هـو الأعمدة الجرانيتية التى على شكل النبات ، وكذلك الزيادة العظيمة فى استعمال النقوش على الجدران . وقد أستعمل زوسر من الأسرة الثالثة من قبل

الأعمدة التى على هيئة ساق بردى أو زهرة لوتس ، ولكنهـا كانت تصنع من الحجر الجيرى ولم تقم فى وسط حجرة بمفردها ، ولسنـا نعرف شبيها لها فى الأسرة الرابعة . ونرى فى مجموعة خفرع الهرمية — اذا اعتبرناها نموذجا لعصره — أن أعمـدة ذلك العـصر كانت مستطيلة وخلت من الزخرفة خلوا تاما ، وفى عهد بيبى الثانى فضلوا استعمال الأعمدة المستطيلة مرة أخرى ، ولكنها لم تكن خـالية من الزخارف ولم تكن أيضا من الجرانيت .

ولم تصل نقوش الأسرة الخامسة الى المسـتوى الفنى لنقوش الأسرة الرابعة ، ولكنها غطت مساحات كبيرة تشمل مواضـع كثيرة وكانت اكثر حيوية فى تعبيرها . والى هذه الحقبة من الزمن تنتمى بعض المصاطب الهامة فى سقارة ، ومن أكثرها شهرة بنقوشها مصطبة تى وبتاح حتب . وقد انتجت الأسرة السادسة أيضا أمثلة عظيمة من جمال النقوش ، احسنها تلك التى فى مجموعة بيبى الثانى الهرمية وفى المصطبة القريبة من هرم تيتى ، ولكننا نرى فى أكثرها تدهورا واضحا فى قيمتهـا الفنية ، برغم ما فيها من حيوية بالغة وتنوع فى الشكل .

وبينما وصلت الينا كميات هائلـة من النقـوش فى مدافن ملوك الأسرة الخامسة والسادسة ، فاننا نلاحظ أن عدد التماثيل التى عثر عليها لهؤلاء الملوك الذين صنعت من اجلهم تلك النقوش قليل جـداً . وليس هناك ما يدعو الى الشك فى ان كل معبد قد ضم فى الأصل خمسة تماثيل على الأقل فى الكوات ، كما اقيمت تماثيل أخـرى فى الأبهـاء المكشـوفة .

كما احتوت معابد الأسرة السادسة التى كانت مزودة بسراديب على عدد من التماثيل التى اخفيت تماما عن الأنظار . ويمكننـا أن نتخيل القيمة الفنية لهذه التماثيل المفقودة لا من القليل الباقى منهـا فحسب — مثل رأس التمثال الكبير للملك أوسركاف المكتشف فى معبده بسقارة — بل من التماثيل الكثيرة للأتباع والموظفين المعـاصرين التى عثر عليها فى المصاطب . ولا شك أن أعظم القطع الفنيـة يرجـع تاريخها الى الجزء الأول من عصر الأسرة الخامسـة ، عندما كانت الدروس التى تعلموها من المثالين الذين نحتوا التماثيل الرائعة لخفرع ومنكاورع مازالت ماثلة فى أذهانهم . وفى النصف الأخـير من الأسرة الخامسة وفى الأسرة السادسة هبط مستوى فن النحت هبوطا محسوسا ، ولكنهم أنتجوا فى هذه الفترة بضعة أمثلة تسر النفس من بينها ذلـك التمثال المصنوع من المرمر للملك بيبى الثانى وهو طفل (لوحة ١٣ أ) .

الفصل السادس

أهرام العصور التالية

فى أعقاب الدولة القديمة عانت مصر عصرا من أحلك ما مر عليها فى تاريخها الطويل ، فلم يهتم أحد بتقدم الفنون والصناعات ، ولم يقف الأمر عند ذلك بل ان معظم المعابد والمقابر من عصر بناة الأهرام بما فيها من قطع فنية وكنوز مخبوءة قد نهبت وخربت تخريبا منظما . ويذكر مانيتون أن الأسرتين السابعة والثامنة كانتا من حكام اعتلوا العرش فى منف وحكموا عهودا قصيرة ، وكان سلطانهم محليا فقط . وعمت الفوضى الشاملة معظم أنحاء البلاد حتى لقد ظل معظم الأراضى من غير زراعة ، وانشبت المجاعة أظفارها فى عدد من الأقاليم . وبدا فى وقت من الأوقات — أثناء عصر الأسرة الثامنة — أن محاولة قامت لاعادة الاستقرار فى ثمانية أقاليم من أقصى الجنوب ، اذ تكون حلف تحت زعامة أمير قفط . وبعد اربعين عاما غزا أمير اهناسيا (Herakleopolis Magna) — ويسمى خيتى — مصر العليا كلها الى حدود الشلال الأول عند أسوان ، وأصبح مؤسس الأسرة التاسعة (سنة ٢٢٣٠ ق.م) وامتدت مملكته شمالا حتى منف ، ولكنها لم تشمل كل الدلتا لأن جزءا منها ظل تحت سيطرة الغزاة الأسيويين .

وبعد مائة سنة تقريبا من غزو خيتى ، ثار أنتف أمير طيبة ضد ملك اهناسيا المعاصر له ، وأعطى نفسه لقب ملك مصر العليا ومصر السفلى . واتخذ اثنان من خلفائه نفس اللقب ، وكان كلاهما يسمى أنتف ولكن حملهم للقب لم يكن الا ادعاء على غير أساس ، لأن مملكتهم — مع أنها تضم كل البلاد الواقعة فى الجنوب حتى أسوان — الا أنها لم تمتد فى أى وقت من الأوقات الى ما بعد أبيدوس فى الشمال .

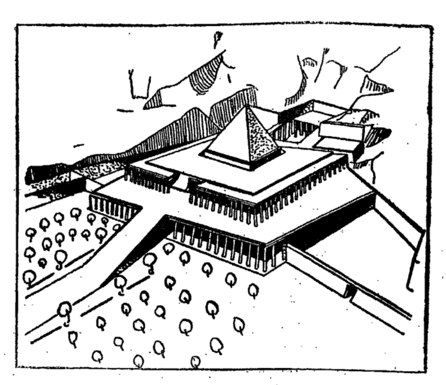
وبالرغم من ملكهم المحدود فانهم اعتبروا فيما بعد أنهم أول ثلاثة من ملوك الأسرة الحادية عشرة . وسمى الملوك الثلاثة الباقون من ملوك هذه الأسرة باسم منتوحتب (Menthuhetep) وكان ثانيهم المسمى نب — حبت — رع منتوحتب (Neo-hepet-Ra Menthuhetep)

من أعظم ملوك مصر . فاستولى فى أول سـنى حـكمه ـ الذى دام واحدا وخمسين عاما ـ على أبيدوس التى كان قد أضاعها سلفه ، وزحف شمالا ليقهر منافسه فى اهناسيا ، وأقام نفسه ملكـا عـلى مصر كلها دون منازع .

واذا اعتبرنا بعض النقوش التى زينت يوما هيكـلا بناه نب . حبت . رع منتـوحتب فى الجبلـين (Gebelein) صالحة لتكون وثيقة تاريخية ، فانه قاد أيضا حملة ناجحة ضد النوبيين والليبيين والأسيويين، ولكن ما يستنتج من هذا النوع من الآثار لا يمكن التعـويل عليه . وبالرغم من أنه اقتدى الى حد ما بما فعله مينا قبلـه بألف عـام ، الا أنه لم يقم بنقل عاصمة ملكه الى الشمال بل استمر يعيش فى طيبة التى أصبحت لأول مرة مقرا للحكومة .

ونحن لا نكاد نعرف الا القليل من المعلومـات الصحيحـة عن ادارته الاقليمية ، ولكن من المرجح أن امراء الأقاليم ـ ما عـدا عدد قليل من بينهم ـ عينهم الملك فى وظائفهم ولكنه سحب منهم الحـق فى وراثة هذه المناصب . وبدأت الفنـون تنتعش بعد أن بقيت مهملـة قرنين ونصف قرن من الزمان . وخلف مثال من هـذا العصر يسمى ارتيسـن (Irtisen) نقشـا ـ يوجد الآن فى متحف اللوفر ـ سجل فيه : « كنت فنانا بارعا فى فنى ، متفوقا فى علمى .. عرفت [كيف أصور] الحركات فى صورة الرجل وقوام المرأة .. وموازنة الذراع عند التغلب على فرس النهر ، وحركات الشخص الجارى .. وليس فى استطاعة أحد أن ينجح فى كل هذا [العمل] الا أنا وابنى الأكبر من صلبى » .

ولم يكن النحت هو الفرع الوحيد للفنون التى انتعشت فى عصر نب . حبت . رع منتوحتب ، فقد تقدم فن المعمار تقدما ملحوظـا كما يتضح ذلك من معبده الجنازى الفريد فى نوعه ، وهو المعبد الذى قـام بحفـره ادوارد نفيـل (Edouard Naville) وهـ. ر. هول H. R. Hall لحساب جمعية الأبحاث المصرية (Egypt Exploration Fund) فى الأعوام ١٩٠٣ ـ ١٩٠٧ ، ثم بعد ذلك مرة أخرى هـ. ا. وينلوك (H. E. Winlock) لحساب متحف المتروبوليتان بنيويورك (شكل ٢٥ ولوحـة ١٢) .



شكل ٢٥ ــ المعبد الجنازى لـ « نب ٠ حبت ٠ رع منتو حتب »

بنى هذا المعبد فى طيبة فى جون عميق بين صخور الجبل على الضفة الغربية من النهر فى المنطقة المعروفة باسم الدير البحرى ، وهو يحوى فى تصميماته كثيرا من التجديدات تستلفت النظر . فلهذا المعبد طريق جنازى غير مسقوف يبلغ طوله ثلاثة أرباع الميل ، على كــل من جانبيه جــدار من الحجــر ، ويمتد من مبنى الوادى على حــافة الأراضى المنزرعة ثم يصعد فى حافة الهضبة الى فناء كبير محاط من كل جوانبه ما عدا الغربى منها بجدران عالية . ووضعت تماثيل للملك من الحجــر الجيرى ، يبعد الواحد منها عن الآخر مسافة ٣٠ قدما ، وتمثله فى صورة مومياء الاله أوزيريس مستندة الى الجدران الداخــلية للطريق الجنازى . وعند الطرف الغربى للفناء الأمامى أقاموا صفين من الأعمدة المربعة حجبت الجانب الشرقى من شرفة عريضة أقاموا فوقها المعبد . وكان من بين النقوش الملونة التى تزين كسوة الشرفة مناظر لحملة حربية على الآسيويين ، وصفوف الأسرى الأجانب ، وفرق من الجنود المصرية المسلحــة بالأقواس ، واسطول من السفن . وأمام هــذه الأعمــدة زرعوا ــ فى حفر مملوءة الى عمق ٣٠ قدما بخليط من التربة السوداء

ورمل النهر — صفوفا من الأشجار كانت تبدو كالغابة الصغيرة . وكانت كل هذه الأشجار من الأثل ، ما عدا ثمان منها — كل أربع على أحد جانبى الطريق الصاعد الى أعلى الشرفة — فقد كانت من الجميز، وكانت كل شجرة منها تظلل تمثالا جالسا للملك .

وقد نحت جزء من الشرفة فى الصخر وبنى الجزء الآخر بالحجر ، وتشبه فى شكلها حرف T مقلوب . وكان الجزء المتقاطع منه متاخما للفناء الأمامى ، أما الجذع فقد نحت فى واجهة لجبل . وفوق الجزء المتقاطع أقيم مبنى مربع زينت واجهاته الخارجية كلها — ما عدا الغربية منها — بأعمدة . أما جدرانه الأربعة فقد زينت كلها من الداخل والخارج بنقوش ملونة لم يبق منها الا أجزاء قليلة . ويعلو فى وسط الشرفة هرم أقيم فوق قاعدة مستطيلة عالية ، وكان بناء متينا للغاية ، بناؤه الداخلى من الرديم وكسى بأحجار جيرية مصقولة ، ولا توجد فيه ممرات أو حجرات . ويقع بين القاعدة التى تحت الهرم وجدران المبنى ممشى يحمل سقفه المسطح أعمدة مثمنة ، ثلاثة صفوف فى كل من الجوانب الشمالية والجنوبية والشرقية ، وصفان فى الجانب الغربى . ويقع خلف المبنى المربع فى القسم الضيق من الشرفة فناء تقوم البواكى فى جانبه ، وصالة أعمدة مكونة من ثمانين عمودا مثمنا مرتبة فى عشرة صفوف .

وهناك هيكل صغير بنى داخل صالة الأعمدة ، وكان فيه تمثال . اما للملك أو لأحد الآلهة ، وكان هذا التمثال فى كوة منقورة فى الصخر .

وأقام نب . حبت . رع منتوحتب صفا من ستة هياكل مكعبة الشكل من الحجر الجيرى ، قبل أن يفكر فى بناء معبد جنازى بهذا الحجم ، وكان خلف كل هيكل بئر عمودية تهبط عميقة فى قلب الصخر ، وفى نهايتها حجرة دفن صغيرة تقع تحت الهيكل تقريبا . وخصصت هذه المقابر والهياكل لست سيدات من العائلة المالكة ، ربما كان بعضهن ملكات والأخريات أميرات ، متن جميعا ودفن فى الوقت الذى كان الملك يعتزم اقامة معبده الجنازى فى الجزء الأمامى من الشرفة فقط . ولكن امتداد المبنى نحو الغرب اوجب اما ازالة الهياكل — وهذه عملية لا يمكن تنفيذها دون نقل المقابر كلها الى مكان آخر — أو أن تصبح هذه الهياكل جزءاً من المبنى الجديد . وفضلوا الرأى الأخير ، ودخلت الهياكل ضمن الجدار الذى يفصل المبنى المربع والهرم عن الفناء ذى البواكى الجانبية ، واصبح كل ثلاثة منها على

جانب من المدخل الذى يصل بين هذين الجزاين من المعبد . ولم يكن هذا الحل موفقا من جميع الوجوه ، لأن معظم النقــوش التى كانت تزين الهياكل من الخارج غطيت بالجدار الجـديد ، ولــكن مثل هــذا الأمر لم يسبب انزعاجا للتفكير المصرى ، فان وجود النقوش هــو الأمر الأهم ، أما اذا كانت النقوش ظاهرة أو غير ظاهرة فهذا شىء غير ذى بال . وبقيت المقابر التى تحت الهياكل كما هى ولم تتأثر بتوسيع المعبد ، بل أصبحت فى الواقع أكثر حماية اذ أصبح أربع من الست آبار تحت بلاط الأرضية أو الجدران أو الأعمدة الخاصة أو الفنــاء ذى البواكى ، بينما غطيت البئران الباقيتان ببلاط وضع من جديد . والى هذه العناية والتحفظ فى اخفاء المقابر يرجع الفضل فى انها ــ ما عدا اثنتين منها ــ قد نجت من النهب والسرقة اكثر من مرة . ومن أهم ما احتوت عليه تلك المقابر تابوتان من الحجــر الجــيرى لــلكتين أولاهما تسمى كاويت والثانيــة تســمى عشيت ، ونرى سطحيهمــا الخارجيين مزينين بنقوش غائرة جميلة . ومن بين المناظر المرسومــة عليهما بعض ما يحدث فى حياة الملكات اليومية ، مثل قيام احدى الخادمات بتعطيرها وتزيينها ، أو رسمها وهى تشرب اللبن من بقرات رسمت مصحوبة بعجولها ، أو وهى تزور احدى الضياع الملكية حيث كان الفلاحون منهمكين فى ملء مخازن الغلال بالقمح ، أو الاستعداد لوليمة . ورسمت مناظر ملونة ومشابهة لما سبق داخل تابوت عشيت ، بينما كان افريز الكتابة الملونة هو الزخرفة الوحيدة داخل تابوت كاويت .

وأقــام نب . حبت . رع منتوحتب داخل حدود المعبد كــلا مــن قبره الرمزى وقبره الحقيقى ، ويقع مدخل قبره الرمزى فى قاع حفــرة كبيرة فى أرضية الفناء الأمامى . وقطعوا بعد هذا المدخل طرقة لمسافة تبلغ ١٥٥ ياردة فى الصخر حتى وصلوا الى نقطة تقــع مباشرة تحت الهرم وانتهت بحجرة متسعة ، وبالرغم من أن هذه الحجرة لم تفتح مطلقا قبل اكتشافها على يد هوارد كارتر فى عام ١٩٠٠ فقد كانت عارية من كل شىء اللهم الا من بقايا قرابين ، ومن تمثال جالس للملــك يلتف فى قماش من الكتان الرقيق ، وتابوت خشبى فارغ ، وكان تحت هــذه الحجرة ويتصل بها من بئر عمودية حجرة أخرى اشتملت فقط عــلى بضع قدور وثلاثة مراكب خشبية رديئة الصنع . ويظن ان الغــرض من وجود هذا القبر الرمزى لاستعماله فى حفلة دفن رمزى فى عيــد الحب سد الذى ربما أحياه الملك فى السنة التاسعة والثلاثين من حكمه. ويؤيد هذا التفسير وجود التمثال الجالس بدلا من جثة الملك ويؤيــده

أيضا زى التمثال الذى يمثل الملك وهو يلبس الرداء القديم الذى كان يرتديه الملوك عادة فى احتفالات الحب سد .

اما القبر الحقيقى فهو عند نهاية نفق أطول من نفق القبر الرمزى، يبدأ من الفناء ذى البواكى ويهبط فى خط مستقيم تحت بهو الأعمدة حتى يصل الى حجرة دفن على مسافة بعيدة تحت صخور الجبل . واحتوت هذه الحجرة التى كانت مكسية بالجرانيت على حوزة من المرمر والجرانيت وضع بداخلها — كما هو المفروض — تابوت خشبى ملون يضم رفات الملك . وعندما وصل المكتشفون الى هذه الحجرة لم يجدوا من الأشياء المكتشفة داخلها سوى تلك الحوزة ومركبين صغيرين وصولجانات مكسرة وأختام مخروطية وأقواس ، ولكنهم لم يجدوا المومياء أو التابوت الخشبى .

ولم يبن مطلقا معبد جنازى يطابق تماما معبد نب . حبت . رع منتوحتب الجنازى . وقد بدأ الملك الذى تلاه على العرش — واسمه سمنخ . كا . رع . منتوحتب — يعد العدة لاقامة مبنى مشابه فى منطقة لا تبعد كثيراً من جنوبى الدير البحرى ، ولكن نظراً لجلوسه على العرش بعد أن تقدم به العمر فقد مات ولم تكن عمليات البناء قد تقدمت أبعد من الخطوات الأولى ، وأهمل العمل بعد ذلك . ولكن بعد مرور خمسمائة عام جاءت ملكة مشهورة فى عهد الأسرة الثامنة عشرة تسمى حتشبسوت وكلفت مهندسها سنموت بأن يبنى لها معبدا جنازيا يشمل كل المعالم المعمارية الهامة فى معبد نب . حبت . رع . منتوحتب ، وتلبية لرغبتها صمم سنموت معبدا أكبر وأبهى ، وهو المعبد ذو الشرفات الذى يقع الى الشمال من بقايا مبنى منتوحتب والذى أصبح بحق من أشهر الآثار المصرية .

وبعد موت سمنخ . كا . رع منتوحتب مباشرة وقعت البلاد مرة ثانية فى الفوضى ، واعتلى العرش منتوحتب الرابع الذى كان يسمى أيضا نب . تاوى . رع ، والذى حكم جزءاً من السبع السنوات التى انقضت قبل أن يعود النظام . ولكن لأسباب ما زالت غامضة لم تعترف الوثائق المتأخرة به كحاكم شرعى على البلاد . أما الذى خلفه على العرش فهو وزيره وقائد جيشه أمنمحات الذى أصبح مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وهى أسرة مكونة من أربعة ملوك سموا باسم أمنمحات وثلاثة ملوك سموا باسم سنوسرت (Senusert) وملكة سميت باسم سبك — نفرو — (رع) .

وكانت الأسرة الثانية عشرة من أعظم الأسر فى تاريخ مصر ، ويتضح من اسم مؤسسها الذى يعنى حرفيا « أمون فى المقدمة » أنه ولد فى طيبة ، حيث كانت عبادة الاله أمون قد أصبحت منتشرة ، الا ان أجداده ربما عاشوا فى الأشمونين ، الموطن السابق لهذا الاله . ولم يترسم أمنمحات ما فعله ملوك الأسرة الحادية عشرة بجعل طيبة عاصمة ملكه ، ولكنه استفاد من تجاربهم ومن معلوماته عن الصعوبات التى ربما لاقوها فى بسط سيطرتهم على مصر السفلى من ذلك المكان البعيد ، فنقل مقر الحكومة نحو الشمال وأقام العاصمة فى مكان يطلق عليه اثت . تاوى ، ومعناه « التى قبضت على الأرضين » . ولسنا نعرف تماما موقع اثت تاوى ، ولكن لا بد أنها تقع فى حدود منطقة اللشت حيث يوجد هرما أمنمحات الأول وخلفه سنوسرت الأول .

وكان الموقع الجديد للعاصمة على مقربة من أهم آثار الدولة القديمة التى يمكن رؤيتها منها ، ولهذا فضل أمنمحات الأول أن يبنى قبره متفقا مع التصميم الأساسى للمجموعة الهرمية المعروفة لتأثره بها ، ولكنها فى ناحية أخرى فقط ، شابهت تصميم معبد الدير البحرى الخاص بنب حبت رع منتوحتب ، وذلك باقامتها على أرض مرتفعة وجعل مبانيها على مستويين مختلفين . فقام الهرم على الشرفة العلوية محاطا بسور من الحجر ، وفى الجهة الغربية من الهرم — وعلى نفس الشرفة ، ولكن خارج السور الحجرى — نرى صفا من المقابر الخاصة بأفراد الأسرة المالكة ، وعندما قامت بعثة متحف المتروبوليتان بالحفائر هناك عام ١٩٢٠ وجدت أن جميع محتوياتها الداخلية قد نهب كلها من قديم الزمن . وعلى الشرفة الصغيرة التى تحتها المعبد الجنازى المبنى الى جواره قامت من الشمال والجنوب مقابر فئة قليلة من المقربين من رجال البلاط ، وأحيطت الشرفتان والمقابر القريبة منهما بسور مستطيل من الطوب . وهناك خارج هذا السور جبانة تحتوى على مصاطب ما يقرب من مائة نبيل وموظف .

واستعمل أمنمحات الأول عند بناء قلب هرمه وجدران معبده الجنازى عدداً هائلا من كتل الحجر الجيرى المأخوذة من مقابر الدولة القديمة فى دهشور وسقارة والجيزة .

وكان كثير من هذه الأحجار مزينا بالنقوش أو الكتابات ، ولما كان من المرجح أن المبانى التى أخذت منها هذه الأحجار كانت قد تخربت فعلا فان أخذها من أمكنتها ووضعها فى تلك المبانى صان كثيرا من النقوش التى لولا ذلك لفقدت الى الأبد . ولكن نظراً

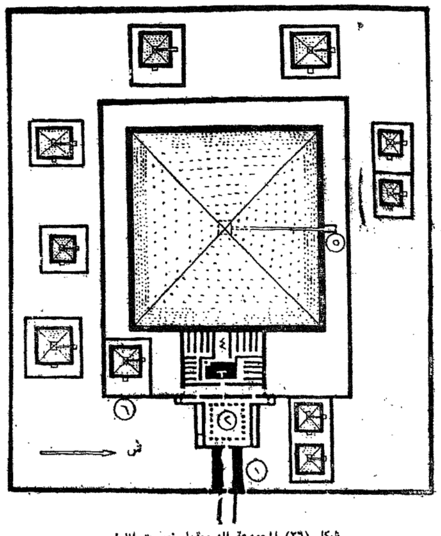
للتخريب الكامل الذى أصاب هذا الهرم ومجموعته عند اجراء الحفائر، فقد تعذر أحيانا التفريق بين الأحجار التى من الدولة القديمة وتلك التى صنعت فى الأسرة الثانية عشرة لتزيين هذا المعبد . ولم يكن من الميسور دائما معرفة الفرق بين نقوش كل من العهدين ، لأن أمنمحات الأول كان يقلد عن عمد بعض مميزات النقوش فى الدولة القديمة ، وكثيراً ما نقلوا على آثارهم مناظر مشابهة تماما للمناظر الموجودة فى مقابر الدولة القديمة .

وكان مدخل هذا الهرم فى مكانه المعتاد وفى مستوى الأرض فى وسط الواجهة الشمالية ، وأقيم أمامه هيكل للقرابين شبيه بالهيكل الذى وجد فى هرم تيتى وبيبى الثانى ، وبنى فى حائطه الخلفية باب وهمى من الجرانيت الوردى . ويقع خلف الباب الوهمى ممر مكسى بالجرانيت يؤدى الى حجرة الدفن ، وكانت هناك سقاطات عديدة من الجرانيت لسد هذا الممر بعد دفن الملك .

ولسنا نعرف عن الترتيب الداخلى لهذا الهرم غير وجود الممر ، وذلك لأن ارتفاع مستوى النيل جعل حجرة الدفن مغمورة بصفة مستمرة بالمياه ، وكانت عودة ارتفاع المياه عند محاولة ازالتها من داخل الهرم سريعة جعلت كل الجهود التى بذلت للوصول اليه تبوء بالفشل .

وبنى سنوسرت الأول هرمه على مسافة تبلغ نحو ميل ونصف الى الجنوب من هرم سلفه ، وحقق ماسبرو عام ١٨٨٢ نسبة هذا الهرم اليه اذ وجد بعض أجزاء من أدوات صنعت من المرمر تحمل اسم سنوسرت الأول داخله . وبعد اثنتى عشرة سنة قام ج. ا. جوتييه (J. E. Gautier) وجوستاف جيكييه (Gusteve Jéquier) بحفر جزء كبير من المنطقة ، ونظفت بعثة متحف المتروبوليتان الباقى منه وكذلك الجبانة المتاخمة فى فترات متقطعة بين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٣٤ تحت ادارة ا. م. ايثجو (A. M. Iythgoe) و ا. س. ميس (A.C. Mace) وامبروس لانسنج (Ambrose Lansing) .

وتشبه مجموعة سنوسرت الأول الهرمية فى كثير من تفاصيلها مجموعة أمنمحات الأول . ولكن بينما لا نكاد نعرف عن المجموعة الهرمية لأمنمحات الا الخطوط العامة ، فان الجزء الأكبر من التخطيط الأصلى لمجموعة سنوسرت الأول أصبح معروفا جيدا ، واصبح معروفا



شكل (٢٩) المجموعة الهرمية لسنوسرت الاول

ايضا انه يكاد يكون صورة من معابد الأسرة السادسة الجنازية ، وعلى الأخص مجموعة بيبى الثانى (شكل ٢٦) .

وبنى فوق الطريق الجنازى ممر عرضه ثمانية أقدام يربط مبنى الوادى — الذى عثر على أثر بسيط منه — ببهو المدخل فى المعبد الجنازى . وقد نقطوا بالأسود والأحمر الافريز الأسفل من الجدران الحجرية لتحاكى الجرانيت ، وزينوا الأجزاء التى فوقها بالمناظر المعتادة، وعلى مسافات منتظمة يبلغ طول كل منها حوالى ٣٣ قدما وضعت تماثيل الملك بهيئة الاله أوزيريس على جانبى الممر ، ووضع كل منهما فى دخلة الجدار ، واقيمت تماثيل مشابهة لها — عثر على ستة منها فى حفرة قريبة من الهرم — وكانت تستند الى جدران بهو المدخل (شكل

٢٦ — ١) وفى هذا ما يثبت أن هذا الجزء كان معتبرا استمرارا لممر الطريق الجنـــازى .

وفى البهو ذى البواكى (شكل ٢٦ — ٢) تماثيل للملك ربما استند كل منها الى الأربعة والعشرين عمودا التى تحمل سقف الممشى . وعثر جوتييه وجيكييه على عشرة منها ، وهى من أحسن أنواع حجر طره الجيرى ، وكانت موضوعة جنبا الى جنب فى حفرة أخفيت عن الأنظار فى زمن قديم — مثل التماثيل الأوزيرية — بمعرفة شخص كان يريد أن يحفظها من خطر كانت معرضة له . ومع أن هناك بعض فروق بسيطة جداً فى سيماء الوجه الا أنها كانت فى الحقيقة نسخا طبق الأصـــل من بعضها ، وكل تمثال منها بالحجم الطبيعى ويمثل الملك جالســـا على العرش ومرتديا اللباس الملكى المعتاد (لوحة ١٥) . ولا شك أن هناك تماثيل أخرى تمثله واقفا كانت موضوعة خلف الأبواب الخشبية للكوات الخمس فى المعبد الداخلى (شكل ٢٦ — ٣) . وتحتوى البقية الباقية من المعبد الداخلى على المخازن العادية فقط وبعض الغرف والمقدس (شكل ٢٦ — ٤) . ويبدو أنهم لم يبنوا سردابا ليضعوا عـــددا آخر من التماثيل داخل البناء بين الكوات والمقدس .

وكان نظام جدران السور الخارجية فى هذه المجموعة يماثل نظام الجدران فى مجموعة أمنمحات الهرمية ، وكان يحيط بالهرم سور داخلى من الحجر ، وكان هذا السور مزينا على مسافات منتظمه بدخـــلات وخرجات نقشت عليها أسماء الملك ، وقد أحاط هذا السور بالهـــرم والأجزاء الداخلية من المعبد الجنازى والهرم الاضافى (شكـــل ٢٦ — ٦) . وبين هذا السور والسور الخارجى المبنى بالطوب اللبن يوجد فناء واسع كان يقوم فيه البهو ذو البواكى وصالة المدخل الخاصـــة بالمعبد الجنازى وتسعة أهرام صغيرة لأفراد من الأسرة المالكة . وزود كل هرم من هذه الأهرام الصغيرة بمعبد جنازى صغير وهيكل للقرابين وسور يحيط به ، ونحتوا تحت أرضية هيكل القرابين بئراً عمودية ونزلوا بها الى عمق كبير ، وحفروا فى الوقت ذاته بئرا ثانية من نفس النوع الى شرق البئر الأولى ولكنها كانت أقل عمقا وتتصل بالأولى بممر فى أسفلها .

وليس من السهل تفسير وجود البئر الثانية ، وربما قصد بها سهولة ادخال التابوت عندما كان العمل جاريا فى بناء القبر بعد بناء هيكل القرابين . ومن المحتمل فى مثل تلك الحالة أنهم كانوا يدلـــون الجثة والتابوت الخشبى الى البئر الأولى ثم ينقلونهما الى حجرة الدفن عن طريق الممر الذى سد بسقاطات وضعت على مسافات منتظمة تنزلق الى الجـــانب .

وفى حجرة الدفن لأحد هذه الأهرام الصغيرة — وهو الهرم الذى فى الطرف الغربى من الصف الجنوبى — وجد حفارو متحف المتروبوليتان تابوتا جميلا من الحجر الرملى الكوارتزى ولكنه كان فارغا . وكان ذلك التابوت يملأ فراغ الحجرة تماما ، مما جعل اللصوص القدماء عندما كانوا يبحثون عن الكنز المخبوء فيها ينقبون جوانبه وأرضيته ليصلوا الى جدران الحجرة ، الا ان تخريبهم هذا لم يأت بثمرة . وكان هناك صندوق كانوبى صنع من نفس المادة التى صنع منها التابوت وبنفس العناية ، وضعوه فى كوة فى الركن الجنوبى الشرقى من حجرة الدفن ، ولم يكتب على التابوت أو الصندوق الكانوبى ما يمكننا من الاستدلال على اسم ولقب صاحبهما الذى كان ينتمى دون شك الى العائلة الملكية .

ويشغل هرم الملك مساحة مربعة طول ضلعها ٣٥٢ قدما تقريبا ويعلو الى ارتفاع ٢٠٠ قدم تقريبا . ويتكون بناؤه العلوى من ثمانية جدران ضخمة من الحجر تبدأ من وسطه متجهة الى الخارج الى أن تصل الى أركانه الأربعة والى منتصف كل جانب .

وقسم كل من هذه الأجزاء الثمانية فى التصلبية الى قسمين غير متساويين فى الحجم بجدران بنيت موازية لجوانبه وتنتهى عند منتصف المسافة بينها وبين المركز الأوسط . وملئت هذه الأجزاء الستة عشر بقطع من الأحجار الجيرية الخشنة وضعت فى رمل ابيض . ثم بنوا كسوة متينة من أحجار طره الجيرية جعلت البناء كله يتماسك مع بعضه .

ولم يكن مدخل الهرم فى واجهة البناء العلوى ، بل جعلوه تحت بلاط أرضية هيكل القرابين (شكل ٢٦ — ه) وينحدر منه الى أسفل ممر مربع طول ضلعه ٣ اقدام وبوصة واحدة متجها نحو حجرة الدفن . وكسوا مسافة طولها نحو ٣٦ قدما من هذا الممر بأحجار منحوته من الحجر الجيرى ثم كسوا المسافة الباقية منه بأحجار الجرانيت . وبالرغم من أن الجثة والتابوت الداخلى قد نقلا الى حجرة الدفن عن طريق هذا الممر ، الا انه من غير المعقول — نظرا لصغر ابعاده — أنهم نقلوا التابوت الخارجى عن طريقه أيضا ، وربما نقلوه عن طريق بئر منفصلة ما زالت مختفية عن الأنظار تحت خرائب البناء العلوى . ولا نعرف شيئا عن حجرة الدفن التى تملؤها وتغطيها المياه مثل حجرة الدفن فى هرم أمنمحات الأول .

وبنى ثلاثة من خلفاء سنوسرت الأول الأربعة مجموعات هرمية فى دهشور على حافة الأرض المنزرعة — الى الشرق من الهرمين اللذين شيدا فى الدولة القديمة وأقدمها كلها — وهى مجموعة هرم امنمحات الثانى التى لم تحتو على أى تجديد فى التصميم أو فى طريقة البناء ، ولكنها نالت شهرة خاصة فى نهاية القرن الماضى لأنها كانت أحد الأمكنة التى عثر فيها على ما سموه كنز دهشور ، وهو مجموعة ممتازة من المجوهرات والأمتعة الشخصية اكتشفها ج. دى مورجان (J. de Morgan) ومحفوظة الآن فى متحف القاهرة . وكان هذا الجزء من الكنز لأميرتين سميتا خنومت (Khnumet) وايتا (ita) كان قبراهما من بين مجموعة المقابر الملكية على مقربة من هرم الملك فى الجانب الغربى منه . وتشهد دقة الصناعة والذوق الفنى فى هذه المجموعة كلها بمهارة الصائغ والجوهرى المصرى فى أعلى درجاتها .

ونبذ سنوسرت الثانى — الذى خلف أمنمحات الثانى على العرش — أهم التقاليد الثابتة فى عمارة الهرم ، وهو كون موقع المدخل فى الواجهة الشمالية . ولا بد ان المزايا المترتبة على توجيه ممر المدخل نحو مجموعة النجوم القطبية لم تعد لها الاهمية الكبيرى فى نظره ، وأصبحت الأهمية الأولى هى المحافظة على سلامة الهرم بوضع مدخله فى مكان لا يتوقعه من سيحاول سرقته . ولكن هذه الحيطة زادت من متاعب الأثريين ، فان بترى الذى حفر هذا الهرم — الذى بنوه عند اللاهون على حافة الفيوم — عمل بضعة شهور عام ١٨٨٧ — ١٨٨٨ دون أن يتمكن من العثور على الطريق الموصل الى الداخل . وبعد أن انفق مبالغ طائلة وزمنا طويلا فى السنة التالية نجح فى العثور عند الناحية الجنوبية من الهرم على بئر تهبط عمودية ثم تؤدى الي ممر نحت على عمق ٤٠ قدما تحت سطح الأرض يوصل عن طريق غير مستقيم الى حجرة الدفن المبنية كلها من الجرانيت . ثم عثر بعد ذلك فى مكان بعيد فى الجنوب أيضا على بئر ثانية أكبر من الأولى تهبط ايضا الى الممر ، وعن طريق البئر — كما لاحظ بترى — أنزل الى هذا الممر التابوت الضخم المصنوع من الجرانيت الوردى والذى عثر عليه فى حجرة الدفن ، لأن البئر الأولى كانت أقل عرضا من التابوت بمقدار قدم و ٧ بوصات . ويقول بترى ان هذا التابوت من أجمل القطع الفنية الدقيقة الصنع التى أمكن نحتها فى هذه المادة الصلبة الصعبة . وكان توازى أضلاعه ، بناء على حسابه ، اقرب ما يكون الى الكمال ولا يزيد الخطأ فيه عن $\frac{١}{١٠٠}$ بوصة فى كل ذراع .

وعلاوة على التابوت فقد احتوت الحجرة على مائدة للقرابين صنعت من المرمر .

وفى بنائه العلوى اختلف هرم سنوسرت الثانى فى كثير من النواحى عن أهرام أسلافه ، فقد احتوى بناؤه الداخلى على ربوة من الصخر ترتفع عن سطح الأرض بأربعين قدما ، وفوق ذلك المستوى أقام فوق الصخر شبكة من الجدران الساندة وملأ المساحات المتخلفة بين تلك الجدران بالطوب اللبن .

ثم كسى هذا البناء الداخلى بالطريقة المعتادة بأحجار جيرية من نوع جيد ، وبنوا المدماك الأسفل داخل الأساس الصخرى ليتحمل ضغط البناء الخارجى . ويوجد حول كل جانب من جوانب القاعدة خندق غير عميق مملوء بالرمال كان الغرض منه امتصاص مياه الأمطار التى كانت تنزل على واجهة الهرم . وقدر بترى أن مثل هذا الخندق يستطيع أن يستوعب أى كمية من ماء المطر فى أى مرة تسقط فيها أمطار بشدة فى مصر . ويحيط بالهرم جداران ، أحدهما من الحجر على حافة الخندق والآخر من الطوب اللبن اقيم بعيداً الى الوراء . وكان خلف السور الخارجى صف واحد من الأشجار ، زرعت فى الحفر التى نقرت فى الصخر وملئت بالطين .

وبين جدارى السورين المحيطين بالهرم وفى الناحية الجنوبية منه توجد اربع مقابر أعدت لدفن افراد من الأسرة الملكة . وعند الكشف عن المقبرة التى فى الطرف الشرقى فى عام ١٩١٣ اكتشف بترى ومساعده جاى برنتين مجموعة من الجواهر والأشياء الشخصية خاصة بأميرة تسمى سات — حاتحور — يونت (Sat-Hathor-lunut) صاحبة تلك المقبرة . ولا تقل هذه المجموعة ، من أى وجه من الوجوه ، عن تلك التى سبق العثور عليها فى دهشور . وكان من بين القطع المهمة فى هذه المجموعة تاج ذهبى فخم ، وصدريتان ذهبيتان مرصعتان بالعجائن الملونة والأحجار الكريمة على احديهما اسم سنوسرت الثانى وعلى الثانية اسم أمنمحات الثالث ، وعقود من حبات من الذهب وحجر الجمشت (الأماتيست) والعقيق الأحمر واللازورد والفلسبار ، وعقد مكون من حبات من الذهب على هيئة رأس أسد ، وحبات فى اطار من الذهب والأحجار الكريمة ، وأساور وخواتم . واشتملت أدوات الزينة على أمواس شفراتها من النحاس ومقابضها من الذهب وأوان مرمرية للعطور والدهون ، وأوان أخرى لنفس الغرض ولكنها مصنوعة من حجر السبج (الحجر الزجاجى الأسود — أبسيديان)

المصقول ومغلف جزء منها بالذهب ، ومرآة من الفضة ذات مقبض من السبج والذهب . وقد وضعت هذه المجموعة فى الأصل فى ثلاث علب من الأبنوس طعمت احداها على الأقل بالذهب والعاج والعقيق الأحمر والفيانس الأزرق . وهذه المجموعة — ما عـدا القليل منها الذى فى المتحف المصرى — موجودة الآن فى متحف المتروبوليتـان للفنـون فى نيويورك .

وسار سنوسرت الثالث وأمنمحـات الثالث — اللـذان شـيدا هرميهما فى دهشور الى الناحيتين الشمالية والجنوبية من هرم أمنمحات الثانى — على نمط سنوسرت الثانى فى استخدام الطوب اللبن لاقامـة البناء العلوى والاستزادة من عدد الحجرات والممرات فى الجزء الأسفل.

واتبعا نفس الطريقة أيضا فى عدم وضع مدخل المبنى السـفلى فى الواجهة الشمالية ولكن عند نقطة بعيدة عن الهرم نفسه لا يمكن العثور عليها الا بطريق الصدفة أو بعد البحث المضنى . وقـد حـدث لمورجان عندما قام بحفر هذين الهرمين فى عام ١٨٩٤ — ١٨٩٥ أنـه قضى أشهراً عديدة من العمل غير المثمر قبل أن يجد سبيلا الى حجرة الدفن ، وأخيراً استطاع فى النهاية ان يعين موقع مدخل هرم سنوسرت الثالث فى الفناء الذى فى الجانب الغربى منه ، وعين مدخل هرم أمنمحات الثالث فى مكان مشابه مواجه للركن الجنوبى من واجهة الهرم الشرقية . ورغم هذه المخادعة فقد فشل معماريو الهرمين فى تضليل اللصـوص القدماء ، ولم يجد دى مورجان فيهما الا القليل .

ولكن حظه كان أفضل عندما قام بحفر مقـابر أفـراد الأسرة المالكة فى الجانب الشمالى من كل هرم ، فوجد فى مقـبرتى الأميرتين سـات — حاتحور ومريت (داخل السور الخارجى لهـرم سنوسرت الثالث) وفى مقبرة الأميرة نوب — حتب (داخـل السـور الخـارجى لهرم أمنمحات الثالث) مجموعة من الحلى من نوع مجموعة الحلى التى وجدت فى مقابر أميرات أمنمحات الثانى وسنوسرت الثانى . ولم توضع هذه الحلى على موميات الأميرات بل أخفيت فى مكان خاص داخـل المقبرة ، وكان ذلك سببا فى ظهور النظرية القائلة بأن مجموعـة أخرى من الحلى — ربما كانت من نوع أردأ — كانت تجهز خصيصا لتوضع مع المومياء ، أما الحلى التى عثر عليها مخبأة فى أماكن خاصة فهى الحلى التى كانت تلبسها الأميرات أثناء حياتهن .

وحكم أمنمحات الثالث ستا وأربعين سنة على الأقل ، وهو من بين الملوك البارزين فى تاريخ مصر ، ولكنه لم ينل شهرته بسبب أعماله

الحربية وجرأته أو حسن ادارته ، ولو انه من المحتمل — عندما تزداد معلوماتنا عن الأحوال السياسية والاجتماعية فى عصره — أن يظهر أنه فى هذه النواحى أيضا يستحق كل تقدير ، وانما كانت شهرته بسبب أعماله الفنية وانشاءاته المعمارية ومن بينها الهرمان اللذان اقترن اسمه بهما . ولا شك أن التماثيل التى بقيت لهذا الملك تعد من روائع فن النحت التى اخرجها قدماء المصريين (لوحة ١٣ ب) وهى توضح لنا أعلى درجة بلغتها النهضة الفنية التى بدأت فى عهد نب — حبت — رع منتوحتب واستمرت فى التقدم دون عائق يذكر حتى نهاية الأسرة الثانية عشرة .

على أنه من قبل أن تكشف الحفائر عن أية واحدة من تلك الروائع الفنية ، كان مؤرخو اليونان والرومان قد خلدوا اسم أمنمحات الثالث باعتباره منشئاً لبحيرة موريس فى الفيوم ومشيداً لقصر اللابرنت الذى كان على مقربة من البحيرة . والذى قارنوه بقصر اللابرنت القديم الذى أقامه الملك مينوس فى كنوسوس فى جزيرة كريت . ووصف ديودور — الذى زار مصر فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد — تلك البحيرة بالكلمات الآتية : « موريس ... حفر بحيرة ذات فائدة عظيمة ولو أنها كلفته عناء كبيراً . ويقولون ان محيطها ٣٦٠٠ استاد (١) وعمقها فى أغلب المواقع خمسون قامة (القامة ٦ أقدام) : فمن ذا الذى يتأمل فى عظمة هذا المشروع ولا يتساءل : كم من عشرات الآلاف من الرجال استخدموا فى هذا العمل ، وكم قضوا من السنين حتى اتموه ؟ لا يستطيع أحد أن ينتقص عمل ملك جاء بمثل هذه الفوائد والمزايا لكل سكان مصر .

« وحيث ان النيل لا يقف عند حدود ثابتة فى فيضانه ، وأن رخاء البلاد يتوقف على تنظيم مياه النهر ، فقد حفر الملك هذه البحيرة ليمد البلاد بفائض مائه ، ولكيلا يغمر النهر بشدة تياره الأراضى فتتكون المستنقعات والبرك ، ولكيلا تتسبب قلة مائه فى التأثير على المحصول عندما يكون فيضانه أقل من الحد المألوف ، لهذا حفر بين النهر والبحيرة قناة طولها ٨٠ استادا وعرضها ٣٠٠ قدم ، وبواسطة هذه القناة كان يستطيع أن يجلب ماء النهر فى بعض الأوقات ، وفى أوقات أخرى يتفادى ذلك ، وبهذا يمد الفلاحين بالماء فى الأوقات المناسبة بفتح مدخل القناة ثم اغلاقه ثانية بطريقة فنية تكلفه اموالا كثيرة لا تقل

---

(١) الاستاد = ١٨٥ر٣ متر . (المعرب)

عن ٥٠ وزنة من ذهب (الوزنة الواحدة تساوى عشرة آلاف جنيه تقريبا) وهى المبلغ اللازم ليصرفه أى شخص يريد فتح أو قفل هذه الفتحة . واستمرت هذه البحيرة تخدم اغراض المصريين الى أيامنا هذه ، واتخذت اسمها من اسم بانيها ، ومازالت تسمى بحيرة موريس » (١) .

ولكن بالرغم من ان امنمحات الثالث قد قام على الأرجح بتنفيذ بعض مشروعات تتعلق بالرى أو استصلاح بعض الأراضى القريبة من هذه البحيرة ، وبالرغم من أن ديودور وبعض الكتاب القدماء نسبوا اليه أمر انشائها فعلا ، الا أنه يكاد يكون من المؤكد أنها كانت موجودة قبل عصره ، وأن اسمها دون شك غير مشتق من اسمه الأول الذى كان ينطق « نمارا » على الأرجح ، والذى عرفه اليونانيون فى اللغة الدارجة باسم مارس ، بل هو مشتق من بلدة على البحيرة اسمها « مى — ور » (أغلب الظن أن موقعها مدينة غراب الحالية) أو من اسم القناة التى كانت تربط النيل بالبحيرة والتى كانت تسمى أيضا مى — ور .

ولحسن الحظ ثبتت صحة علاقة أمنمحات الثالث بقصر اللابرنت على أساس تاريخى مكين ، اذ استطاع بترى أن يثبت ذلك فى عام ١٨٨٨ — ١٨٨٩ عندما قام بالكشف عن الهرم الثانى لهذا الملك فى هواره ، وعرف أن معبده الجنازى صمم فى الواقع على تخطيط يشبه التيه (اللابيرانت) . فقد كان ذلك المعبد بناء ضخما يغطى مساحة يبلغ طولها نحو ١٠٠٠ قدم وعرضها ٨٠٠ قدم ويختلف من حيث التصميم عن كل معبد جنازى آخر معروف ، اذ لا يحتوى على مجموعات من الأبهاء والممرات المؤدية الى المقدس بل يشتمل على عدد كبير من الأبهاء المنفصلة المرتبة فى صفوف ، ولم يتمكن بترى من معرفة شىء من التفاصيل المعمارية اللهم الا القليل نظراً لتخربه الكامل . ونستطيع أن ندرك شيئا من مظهره الذى كان عليه من وصف استرابو الذى كتبه فى أوائل القرن الأول الميلادى ، قال :

« ولدينا هنا أيضا (الى جوار بحيرة موريس) اللابرنت ، وهو عمل يتساوى مع الأهرام ، ويلاصقه قبر الملك الذى بنى اللابرنت .

---

(١) Diodorus Siculus, The Historical Library, Bk. I, LI and L. II (W. G. Waddell's translation).

فاذا ما تقدمنا بعد المدخل الأول للقناة بنحو ٣٠ أو ٤٠ استادا ، لوجدنا سهلاً مستويا فيه قرية وقصر كبير مكون من عدد من القصور بقدر عدد ما كان فى مصر من الأقاليم سابقا . ويوجد عدد مساو من الأبهاء الكبيرة المحاطة بالأعمدة ، وهى ملاصقة لبعضها البعض وعلى خط واحد مكونه مبنى واحداً يشبه جدارا طويلا أمامه هذه الأبهاء الكبيرة . ومداخل هذه الأبهاء فى مواجهة الجدار ، وأمام هذه المداخل طرقات طويلة عديدة مسقوفة تربطها ببعضها البعض ممرات متعرجة ، ولذلك لا يستطيع أى أجنبى أن يجد طريقه الى هذه الأبهاء الكبيرة أو يخرج منها دون دليل يرشده . وأعجب ما فيها أن سقف كل من هذه المبانى مكون من حجر واحد ، وسقفت أيضا كل الطرقات الموصلة اليها بالطريقة نفسها بكتل من الحجر ذات حجم كبير جداً دون أن يستعملوا معها الخشب أو أية مادة أخرى . فاذا ما صعدنا الى السقف — الذى لم يكن على ارتفاع كبير لأن البناء مكون من طابق واحد — لرأينا السقوف كأنها حقل من الأحجار ، وعندما نهبط ثانية وننظر الى الأبهاء الكبيرة نجدها على خط واحد يحمل سقوفها سبعة وعشرون عمودا صنع كل منها من حجر واحد . وقد بنيت الجدران أيضا من الأحجار التى لا تقل حجما عن هذه .

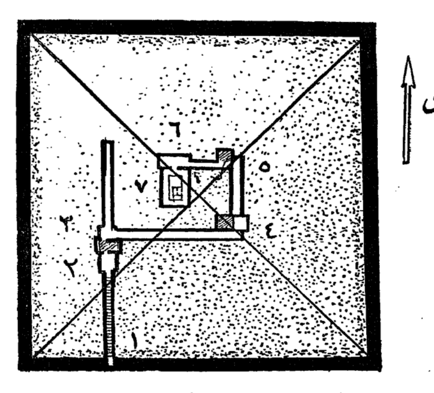
وفى نهاية هذا المبنى الذى يزيد طوله عن ستاديوم (مقياس اغريقى يساوى ٢٠٢ ياردة) نجد القبر وهو هرم مربع الجوانب بلغ طول كل ضلع منه نحو أربعة بلترونات (البلترون ١٠٠ قدم أو ٣٠٫٨٨ متراً) وارتفاعه مساو لطول ضلعه ، واسم الشخص الذى دفن فيه ايماندس Imandis . ويقال انهم بنوا هذا العدد من الأبهاء لأن التقاليد كانت تحتم على أهالى كل الأقاليم ان يجتمعوا معا حسب مراتبهم بكهانهم وكاهناتهم لأجل تقديم القرابين للآلهة ولأجل اقامة العدل فى الأمور ذات الأهمية العظيمة ، وكان أهل كل اقليم يذهبون للبهو المخصص لهم » (١) .

ويقع الهرم الذى يشير اليه استرابو فى الجانب الشمالى من اللابرنت . وكان بناؤه العلوى — حسب العادة التى كانت متبعة فى عصره — من الطوب اللبن ومكسيا بالحجر الجيرى . واتبعوا فى بنائه السفلى طرق التعمية والتضليل التى كانت فى اهرام اسلافه ، مما جعل بترى يعجز عن الوصول الى ممراته الا بعد أسابيع من العمل مدى

(١) Strabo, Geographica Bk. XVII, I, 37 (Bohn's Classical

موسيين . ويقع المدخل على مسافة ٨٠ قدما تقريبـــا غرب منتصف الواجهة الجنوبية ، وتنزل منه درجات السلم (شكل ٢٧ — ١) الى حجرة صغيرة (شكل ٢٧ — ٢) يقع بعدها ممر قصير يؤدى الى مكان مغلق النهاية .

وفى سقف هذا الممر خبأوا كتلة كبيرة من الحجر تزن عشرين طنا وتنزلق انزلاقا جانبيا ، فكانت بذلك نوعا من الباب المتحرك يوصـــل الى حجرة ثانية (شكل ٢٧ — ٣) والى الممرات التى خلفها ، ووضعوا تصميم أحد هذه الممرات ليخدع أى سارق ينجـــح فى ولـــوج البـــاب المتحرك ، فقـــد كان — رغم ســـده باحكـــام — لا يؤدى الى أى مكان آخر . أما الممر الآخر فيغلق بباب خشبى وينعـــطف مرتين فى زاوية قائمة وله بابان متحركان فى السقف (شكل ٢٧ — ٤ ، ٥) ويؤدى الى الردهة الكبيرة (شكل ٢٧ — ٦) ، ولـــكنهم لم يغلقوا هذين البابين بعد الدفن . وحفرت فى كل طرف من طرفى الردهة بئر وهمية لكى تخدع السارق فيتوهم أن حجرة الدفن تقع بعدها ، فيضيع



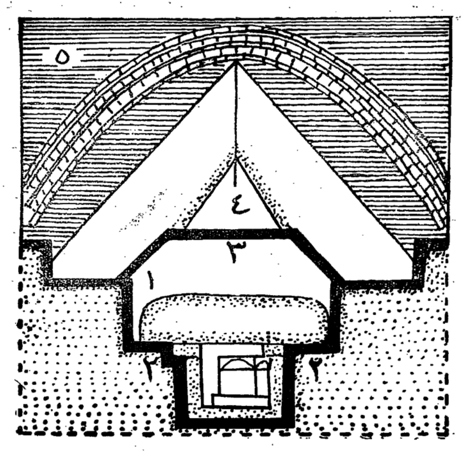
(شكل ٢٧ ـ هرم امنمحات الثالث بهواره)

وقته وجهده فى ازالة ما يملؤها . وهناك خدعـــة أخرى هدفوا بها الى الغرض نفسه ، وهى سد كل النصف الشمالى من الردهة بالأحجار بالرغم من أنها لا تخفى وراءها شيئا سوى الجدار .

ولكن نفهم بوضوح الطريق الحقيقى الموصل الى حجرة الدفـــن (شكل ٢٧ — ٧) لا بد أن نصف أولا الطريقة التى بنيت بها هـــذه الحجرة . فقبل أن يقام مبنى الهرم العلوى حفرت فى الصخر بئر كبيرة مستطيلة عند نقطة تبعد غربا عن مركز المساحة التى تغطيها قاعدة الهرم ، وانزلوا الى قاع هذه البئر — بعد أن كسيت بالأحجـــار — حجرة الدفن المكونة من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت الأصفر وعلى هيئة صندوق بغير غطاء . وقد قام بترى بقياس هذه الكتلـــة وأثبت ان طولها كان ٢٢ قدما ، وعرضها ٨ أقدام ، وارتفاعها ٦ أقـــدام ، ويزيد وزنها على ١١٠ أطنان . ورغم صلابة مادتها فقد نحتت وضلعت بطريقة رائعة ، وكانت أركانها الداخلية حادة لدرجة أن بترى ظنهـــا لأول وهلة مجموعة من عدة احجار ، ويتكون سقف الحجرة من ثلاث كتل من حجر الكوارتزيت الأصفر وضعت جنبا الى جنب ويبلغ ســـمك كل منها ٤ اقدام تقريبا (شكل ٢٨ — ١) .

ولا ترتكز هذه الأحجار مباشرة على جدران كتلة الـــكوارتزيت ، بل وضعت فوق مدماك من الكتل الحجرية بنيت فوق الجدران لـــكى يرتفع سقف الحجرة (شكل ٢٨ — ٢) . وكان فوق حجرة الدفـــن حجرتان ، السفلى منهما ذات سقف مســـطح (شكـــل ٢٨ — ٣) أما العليا فذات سقف مدبب مكون من كتل من الحجـــر الجيرى تزن كل منها ٥٠ طنا تقريبا (شكل ٢٨ — ٤) . واخيراً بنوا قبـــوا من الطوب سمكه ثلاثة أقدام فوق السقف المدبب لكى يحمل قلب بنـــاء الهرم (شكل ٢٨ — ٥) والى ان جاء الوقت الذى تم فيه اغلاق القبر بصفة نهائية ، وضعوا كتلة السقف بالقرب من الردهة فوق حمالات تاركة فراغا بينها وبين مدماك الأحجار الذى كان مفروضا أن توضع فوقه فى النهاية .

وقطعوا فى أرضية الردهة خندقا مستعرضا يوصل مباشرة الى ذلك الفراغ تحت الكتلة المحملة ، وبهذا امكنهم ان يدخلوا مومياء الملك عن طريق هـــذا الخندق الى الفراغ ثم الى حجـــرة الدفـــن ، حيث وضع فيها التابوت الكبير من الكوارتزيت فى مكانه قبـــل أنزال أحجـــار



(شكل ٢٨ ـ حجرة الدفن لأمنمحات الثالث بهواره)

السقف الى البئر . ووضعوا داخل الحجـرة تابوتا ثانيا أصغـر من الأول ومن المادة نفسها للأميرة بتاح نفرو ، ووضعوا مـع التابونين الصناديق الكانوبية المصنوعة أيضـا من الكوارتزيت ، وبعـد أن تمت مراسم الدفن أنزلوا كتلة سقف حجرة الدفن المحملة والبالغ وزنها نحو خمسة وأربعين طنا ، وملأوا الخندق فى الردهة وغطوه ببـلاط حتى لا يبقى أى أثر ينم عن وجوده . ولكن رغم كل هذه الاحتياطات فقـد تعرض هذا الهرم لنفس المصير الذى تعرضت له أهرام أسـلافه ، ووجد بترى عندما نجح أخيرا فى الوصول الى حجرة الدفن أن كـل الأشياء المنقولة قد نهبت وحرق اللصوص الجثث والتوابيت الخشبية الداخلية .

ولسنا نعرف شيئا عن الظروف التى جعلت امنمحـات الثالث يبنى هرمين ، ونظراً لأنه لا يمكن أن يكون قبره الا فى هرم واحـد

فلا بد أنه ترك الثانى فارغا ، والأرجح أنه الهرم الذى فى دهشور . وأغلب الظن أن سنوسرت الثالث قد بنى — علاوة على هرمه فى دهشور — قبرا رمزيا على شكل مصطبة فى أبيدوس ، وبهذا اصبح لروحه مقبرة ثانية تستطيع أن تسكنها فى أى وقت تشاء على مقربة من قبر أوزيريس .

ولم يكن هناك من البواعث الدينية ما يرجح اختيار دهشور أو هوارة ، ولذلك يمكننا أن نفرض أن أمنمحات قرر أن يستبدل قبره الأول فى دهشور بهرم ومعبد جنازى أكثر فخامة فى هوارة .

وبموت أمنمحات الثالث انتهت فعلا الدولة الوسطى ، وظهر أمنمحات رابع وملكة تسمى سبك نفرو فى نهاية الأسرة الثانية عشرة ، كما تقول السجلات التاريخية المتأخرة . ولكننا اذا درسنا نقوش الوثائق المعاصرة نكاد نحكم بأن أمنمحات الرابع لم يحكم بمفرده أبدا ، بل اشترك فى الحكم مع أمنمحات الثالث ، وهذا ما كان يفعله الوريث المنتظر عندما تتقدم السن بالملك الحاكم . ولم يتول أمنمحات الرابع العرش بمفرده لموته المبكر . وعينت بعد ذلك الأميرة سبك نفرو شريكة فى الحكم ، وربما استمرت شاغلة للعرش بمفردها مدة قصيرة بعد موت أمنمحات الثالث . ولم يترك أمنمحات الرابع ولا سبك نفرو هرما يمكن تعيين مكانه بصفة قاطعة . ولكن ا. ماكاى (E. Mackay) عندما كان يعمل تحت ادارة بترى فى عام ١٩١٠ — ١٩١١ وجد فى مزغونة (Mazghuna) — التى تبعد مسافة ثلاثة أميال تقريبا عن دهشور — بقايا هرمين متخربين مطابقين فى تصميمهما لهرم أمنمحات الثالث بهوارة ، مما يحمل على الاعتقاد بأن الأهرام الثلاثة من عصر واحد تقريبا . وفى هرمى مزغونة بعض التحسينات البسيطة التى تثبت أن بانيهما قد استفاد من التجارب فى تشييد هرم هوارة ، ولهذا فمن المحتمل جدا أن ينسب هرما مزغرنة الى أمنمحات الرابع والملكة سبك نفرو . ولكن ، أى الهرمين بنى للملك وأيهما بنى للملكة ؟ هذا ما لا يمكن معرفته حتى الآن ، لأن القرائن غير كافية .

وفى خلال القرنين اللذين مرا منذ الأسرة الثالثة عشرة الى السابعة عشرة اجتازت مصر الفترة المظلمة الثانية من تاريخها . كان على رأس البلاد ملوك ضعاف لم يطل حكم أحد منهم ، وكانت فى حالة من الفوضى اشد من التى جاءت فى أعقاب الدولة القديمة . وشاء سوء الحظ أن تسود هذه الفوضى فى مصر فى الوقت الذى تاثرت فيه جميع بلاد

غرب آسيا بحركة هجرة شعوب واسعة وصل أثرها حتى مصر . ففى أواخر أيام الأسرة الثالثة عشرة أو ابتداء الأسرة الرابعة عشرة غزت البلاد جيوش آسيوية كان معظمها من الساميين الذين أحضروا معهم سلاحا جديدا لم يكن للمصريين عهد به من قبل . وقد عرف هؤلاء الغزاة باسم الهكسوس ، وهو اسم فسره مانيتون بمعنى « ملوك الرعاة » ولكن ربما يعنى « حكام البلاد الأجنبية » . وكان هذا السلاح الجديد هو العربة التى يجرها الجواد ، ولم يحصل جيشهم بفضلها على التفوق فى السلاح فحسب بل وعلى سرعة التحرك أيضا . وبعد أن قضى الهكسوس على كل مقاومة ، أقاموا عاصمتهم فى أواريس ، ولم يحدد الى الآن بصفة نهائية موقع تلك المدينة ، الا أنه يبدو أنها كانت فى الجزء الشمالى الشرقى من الدلتا ، وربما كانت فى موقع المدينة التى عرفت فيما بعد باسم تانيس — مدينة زون الواردة فى التوراة .

وحكموا من هناك كل الدلتا ومصر الوسطى حتى مدينة القوصية على الأقل ، وهى على بعد ثلاثين ميلا شمال اسيوط . والى الجنوب من ذلك استقرت أسرة مصرية بحتة تحكم فى طيبة ، ولكنها كانت تعترف بسيادة الهكسوس وتدفع لهم الجزية . واخيرا ثار أحد هؤلاء الحكام — ويسمى كاموسى ، آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة على الأرجح — وطرد الهكسوس من مصر الوسطى ، وربما استعاد منف . وتم طرد هؤلاء المعتدين الأجانب فى بداية القرن السادس عشر ق.م عندما استولى أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة على أواريس وطارد الغزاة الى جنوبى فلسطين .

والآثار الجنازية الملكية التى يرجع تاريخها الى الفترة المعروفة باسم عصر الفترة الثانية (من الأسرة الثالثة عشرة الى الأسرة السابعة عشرة) قليلة جدا ، وذلك يرجع — الى حد ما — الى عدم استقرار الأمور السياسية فى ذلك العصر . ومع ذلك فهناك بقايا هرمين ملكيين من الأسرة الثالثة عشرة اكتشفها جيكييه على مقربة من مصطبة شبسسكاف (مصطبة فرعون) فى سقارة . وبنى أحد هذين الهرمين ملك يسمى خنجر (Khenjer) ، ولكن صاحب الهرم الثانى — الذى يبدو أنه لم يتم — غير معروف . ويشبه كلا الهرمين فى تخطيطهما بوجه عام هرم امنمحات الثالث بهوارة . وفى كل منهما نرى حجرة الدفن مكونة من كتلة واحدة من حجر الكوارتزيت ومسقفة بأحجار من الحجر نفسه ، وقدر جيكييه وزن حجرة الدفن فى الهرم الذى لم يتم بأكثر من ١٥٠ طنا . ونرى فى هذه الكتلة الحجرية شيئا جديدا ، وذلك أن الأجزاء السفلى من التابوت والصندوق الكانوبى نحتت هى

وارضية الحجرة من قطعة واحدة ، أما الغطاءان فكانـا قطعتين منفصلتين .

ولم تكتشف الى الآن أية مقبرة لملك من ملـوك الهكسـوس ، وبالتالى اصبح من المستحيل أن نعرف ما اذا كانوا اتبعـوا طريقـة المصريين فى بناء اهرام أو أنهم دفنوا فى مقابر من نوع آخـر . ونرى اشارات الى أهرام مـلوك الأسرة السابعة عشرة فى بردية أبـوت الموجودة الآن فى المتحف البريطانى ، وتسجل هذه البردية نتائج عمل لجنة عينها وزير من الأسرة العشرين لتحقيق اتهامات معينة عن اهمال فى تادية الواجب مما سبب سرقة القبور . وقد تدم هذه الاتهامـات عمدة طيبة ضد عمدة الجبانة فى البر الغربى حيث أقيمت تلك الأهرام . ومع ان الأدلة المادية قليلة ، الا انه يظهر أن المبانى العلويـة كانت تغطى مساحة مربعة طول ضلعها ٢٥ قدما تقريبا . وتميل أوجه الهرم الأربعة الى الداخل بزاوية قدرها ٦٥° ، مما جعل البناء يبدو مرتفعـا ونحيلا . وكانت القمة حجراً جيريا واحداً يحمل فى بعض الحـالات اسم الملك والقابه ، أما حجرة الدفن فقد نحتت فى الصخر تحت هيكل الهـرم .

وربما كان احمس الأول آخر من بنى هرما من الملوك المصريين . ويوجد قبره الحقيقى فى طيبة ، العاصمة ، ولكن قبره الرمـزى الذى بناه فى أبيدوس كان على شكل هرم . وأقام أيضا فى أبيدوس هرمـا رمزيا لجدته تيتى شرى (Tetisheri) التى نعرف أن قبرها الحقيقى ـــ الذى لم يعثر عليه للآن ـــ كان فى طيبة ، بناء على ما جاء فى أحـد النصوص التى عثر عليها فى أبيدوس .

الا أن هذين الهرمين كانا استثناء للقاعدة العامة ، لأن باقى ملوك الأسرة الثامنة عشرة وخلفاءهم لأجيال عديدة لم يبنوا مقابر حقيقيـة أو مقابر رمزية على شكل هرمى . فلا بد أن التجربة قد علمتهم فى ذلك العصر أن الهرم ينبىء بارتفاعه غير اللازم عن مكان القبر ، وأن اللصوص ـــ برغم كل خدعة تنتق ذهن الانسان عنها ـــ استطاعوا الوصـول الى حجرة الدفن ولم ينهبوا محتوياتها فحسب بل سرقـوا الجثة أيضا . أرادوا أن يجربوا طريقة مختلفة لتفادى هذه الشرور . فبدلا من أن يقيموا معابدهم الجنازية مع قبورهم فى مكان واحد ، عمد فراعنة الدولة الحديثة الى بناء معابدهم فى الوادى على مقربة من النيل ، ونقروا كهوفا عميقة فى سفح الجبل الغربى لمقابرهم . وبهذه الطريقة يصبح المكان الفعلى غير معروف الا للذين صنعوا هذه الكهوف ولعدد قليـل من الموظفين وأفراد من الأسرة المالكة فقط .

ويصف المهندس الذى شيد أول قبر من هـــذا النوع فى « وادى الملوك » المشهور — وهو واد يجرى موازيا للنيل خلف الدير البحرى — السرية التى كان يسير عليها فى عمله بالكلمات الآتية : « أشرفت على قطع قبر جلالته (تحوتمس الأول) فى الجبل وحدى .. لم يرنى أحد ، ولم يسمع بى أحد » . ولم يدر بخلد تحوتمس الأول أو مهندسه أن الوادى الموحش الذى اختاراه قدر له أن يصبح المكان المختار لدفـــن الفراعنة لعدة أجيال قادمة ، ثم أصبح سر مواقع مقابر الملوك أمراً معروفا للجميع ولم تكن هناك مندوحة من أن يعود نهب المقابر .

وقد نجا توت عنخ آمون وحده من بين ستين شخصاً ملكيـــا أو اكثر دفنوا فى هـــذا الوادى من العبث به حتى عصرنـــا الحـــديث . ولم ينج قبره الا بسبب المصادفة السعيدة التى جعلت رمسيس السادس يحفر مقبرته فى سفح الجبل فوق مقبرة توت عنخ آمون مباشرة ، فكانت نتيجة ذلك أن أصبح مدخل المقبرة الأخيرة مدفونا تحت كميـــة كبيرة من الرديم المستخرج من المقبرة التى فوقها ، فنسيها الناس منذ زمن طويل ، ونقلوا فى النهاية ثلاثا وخمسين مومياء من المقابر المختلفة فى هذا الوادى — من بينها موميات أشهر الفراعنة مثل تحوتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى — الى مقبرة لم يتم العمل فيها فى الدير البحرى والى مقبرة أمنحتب الثانى حيث ظلت دون أن يصيبهـــا عبث جديد حتى عثر عليها فى نهاية القرن الماضى .

وبالرغم من أن المقابر الخاصة ذات الشكل الهرمى ، أو المقابر التى يدخل فى تصميمها المعمارى شكل هرمى ، لا يمكن أن نقارنها ، بأية صورة من الصور ، بالأهرام الملكية ، فان قدماء المصريين ظلوا يستخـــدمون هذا النوع من المقابر ، منذ الدولة الوسطى الى عصر الرومان . وأقدم الأمثلة المعروفة حتى الآن عثر عليه ماريت فى أبيدوس ، وهو هرم صغير من الطوب اللبن فوق قاعدة مستطيلة غطى جزءاه بطبقـــة من الملاط المكون من الطين ودهنت بالجـــير الأبيض . وتقـــع حجـــرة الدفن داخل الهرم ، وهى مخروطية الشكل ذات سقف متداخـــل ، وأحيانا تبنى حجرة ثانية فى القاعدة لتقوم مقام السرداب . ولم يكن لمعظم هذه المقابر هياكل خارجية ، ولكن بعضها كان مزودا بهيكـــل من طابقين يبرز من الجانب ، ويحتوى كل طابق على حجرة واحـــدة فقط . وفى الحجرة العلوية كوة للوحة توضع فيها ، أما السفلية فكانت الطريق الوحيد للوصول الى السرداب .

وفى الدولة الحديثة انتشر طراز من المقابر الخاصة أكثر فخامة ، ويشبه فى مظهره الخارجى مساكن الطبقة العليا فى ذلك الوقت . وقد

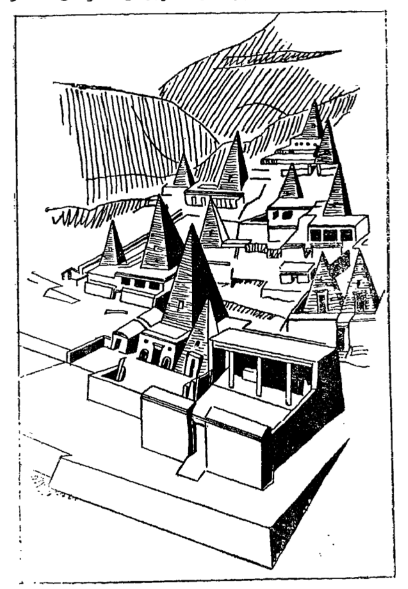
عثر حفارو معهد الآثار الفرنسي على بعض من أحسن الأمثلة لهـذا النوع من المقابر عند دير المدينة على بعد قليل من جنوب وادى الملوك (شكل ٢٩) وتحتوى كل مقبرة على جـزأين : جزء علـوى وآخـر سفلى . ففوق سطح الأرض كانوا يبنون فناء محاطا من ثلاث نـواح فقط بسور من الطوب اللبن أو الحجر ، أما فى الناحية الرابعة من هذا الفناء فيبنون هيكلا أمامه أعمدة ، وفى داخل الهيكل حجرة واحـدة فيها مناظر ملونة ، وتوضع فيها لوحة مثبتة فى الجدار الخلفى . وفوق سطح هذا الهيكل يبنون هرما أجوف من الطـوب اللبن يضعون فوق قمته حجراً هرمى الشكل نقشت عليه صـور صاحب المقبرة وهـو يتعبد لاله الشمس مع كتابات قصـيرة عـلى جوانبه الأربعـة ، وفى كوة فى جوانب الهرم المواجه للفناء كانوا يضعون تمثالا صـغيراً لصاحب المقبرة تمثله أحيانا راكعا وفى يده لوحة صغيرة ، أما حجرة الدفن التى كانت على عمق غير قليل فى الصخر تحت الهيكـل فكانت حجرة ذات سقف مقبى وتتصل بالفناء الذى فوقهـا بواسطـة بئر منحدرة .

وبعد أن انقضى أكثر من ثمانمائة سنة على بناء آخر هرم ملـكى فى مصر ، ظهرت فجأة مقابر هرمية فى السودان . وكان بناتها عـددا من الملوك تقع عاصمتهم — التى عرفت فى العصور القديمة باسم نبتا — على ضفة النيل فى مديرية دنقلة على مسافة قصيرة بعد الشـلال الرابع (شكل ٣٠) . وليس لدينا الا معلومات ضئيلة جداً عن أصل هؤلاء الملوك ، ولكن ريزنر عثر على نعش أثناء قيامه بالكشف عن مقابرهم جعله يظن أنهم كانوا من أصل ليبى جنوبى . ولم تهيىء الطبيعـة حول نبتا مرعى خصبا يجذب اليها السكان ، بل تقع فى جزء من أقحل أجزاء وادى النيل . وتعود أهميتها الى موقعها الجغرافى على طريق التجارة الرئيسى بين أواسط افريقيا ومصر ، الذى مكن حكامهـا من السيطرة على مرور الرقيق وكميات العاج والأبنوس والمر والصمغ والبخور والمنتجات الأخرى التى كان يحتاجها المصريون ، وكانت هذه المنطقة تشمل أيضاً المناجم الغنية بالذهب فى الصحراء الشرقية .

ولكى يضمن ملوك مصر عدم اضطراب ورود هذه الأصنـاف ، عمد ملوك الدولة الوسطى — ومرة ثانية بين الأسرات الثامنة عشرة والعشرين — الى ضم شمال السودان الى امبراطوريتهم . وفى المـدة الأخيرة على الأخص بنيت المعابد لتكريم آلهة مصر فى أماكن كثيرة بين الشلال الأول والشلال الرابع ، وكان أضخم هذه المعابد فى نبتا حيث يقوم جبل مسطح القمة يسمى الآن جبل بركل اشتهـر بأنه كان مقر الاله أمون . وفى نهاية الأسرة العشرين (أى حوالى ١٠٩٠ ق.م)

كانت مصر من الضعف بحيث اضطرت لأن تتــرك شمال السودان وشأنه . وبعد مرور أكثر من قرن من الزمان قبض أجداد الملوك الذين بنوا تلك الأهرام فيها بعد على زمام البلاد دون أن يجعلوا شــعبهم ينبذ الديانة المصرية او يهمل اســس الصناعــة التى تعلمهــا مــن المصريين .

ولا نعرف شيئا عن العلاقة بين حكام نبتا الأولين وبين الملــوك الليبيين الذين أسسوا الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين فى مصر . وتكونت الأسرة الرابعة والعشرون فى مصر من ملك واحــد



شكل (٢٩) المقابر الخاصة فى دير المدينة

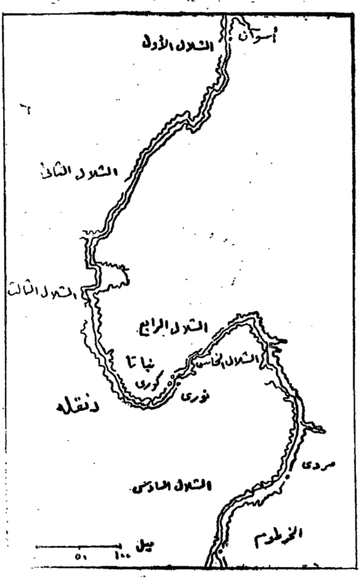
فقط اسمه بورخوريس الذى لم يزد حكمه عن ست سنوات ، وربما كانت سلطته على البلاد سلطة ضئيلة أو اسمية ، لأن مصر تقسمت سياسيا الى عدد من المناطق المستقلة يحكم كلا منها حاكم مطلق صغير . وفى هذا الوقت تقدم كاشتا بجيشه الاثيوبى نحو الشمال فاجتاز الشلال الأول وغزا مصر حتى مدينة طيبة ، وأتم خلفه بيعنخى ذلك الفتح وأعلن فى سنة ٧٢١ ق.م أول ملك للأسرة الخامسة والعشرين . وتتكون هذه الأسرة من بيعنخى واربعة ملوك من بعده هم : شباكا ، وشباتاكا وطرهاقا ، وتانوت أمون ، وقد ذكر أحدهم وهو طرهاقا فى التوراة لمساعدته حزقيا (٣) فى مقاومته للأشوريين . ومع أن هؤلاء الملوك كانوا من دم أجنبى الا أنهم لم يكونو أجانب حقيقيين مثل غزاة الهكسوس . وكانوا فى الواقع متمصرين ، واعتبر بيعنخى على الأقل غزوه لمصر بمثابة جهاد فى سبيل الاله أمون لاصلاح بعض ما فقده هذا الاله خلال سنوات الاضطراب السياسى .

وربما كانت زيارة بيعنخى لمصر ورؤيته اهرام ملوك مصر السابقين فى سقارة والجيزة والأماكن الأخرى هى السبب الذى جعله يهجر طراز قبور المصاطب التى بناها ملوك نبتا الذين سبقوه ويبنى لنفسه هرما . واختار منطقة كورو ، على مسافة نحو خمسة أميال من نبتا ، وسط الجبانة الكبيرة التى بها مقابر اسلافه . ولم يبق حجر واحد من مبنى الهرم العلوى فى مكانه ، ولكننا نعرف أن طول ضلع قاعدته كان اربعين قدما . ومن دراسة الأهرام التى بنيت بعده والتى ما زالت فى حالة جيدة من الحفظ نرى أن جوانب الأهرام الأربعة تميل الى الداخل بزاوية قدرها ٦٨° . وتقع تحت الهرم حفرة مسقفة بقبو متداخل كانت بمثابة حجرة الدفن ، وكانوا يدخلون تلك الحجرة بعد بناء الهرم عن طريق درجات سلم تبدأ من نقطة غرب المبنى العلوى وتصل الى باب فى الجدار الغربى من الحجرة ، وبعد الدفن يملأون درجات هذا السلم بالرديم ويقيمون فوقها هيكلا جنازيا مكونا من حجرة واحدة مزينة بالنقوش . وعندما بنى شباكا هرمه أضاف خندقا قصيراً فى نهاية درجات السلم ، ونحتت حجرة الدفن فى الصخر ، وأقام الهيكل الجنازى مستندا الى الجانب الغربى للهرم مباشرة فوق الخندق وظلت درجات السلم — التى ملئت بعد الدفن بالرديم مثل خندق بيعنخى — خارج الجدار الغربى ، وبهذه الطريقة قام الهيكل على أساس صخرى وأمكن اتمام بنائه اثناء حياة الملك .

---

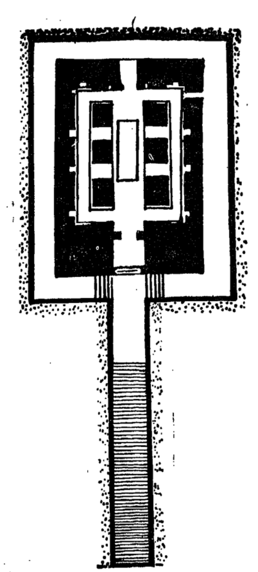
(١) II. KingsXIX 9.

وحول طرهاقا فى هرمه الواقع فى نورى — على مسافة خمسة أميال من نبتا — الخندق الى حجرة صغيرة ، ووسع حجرة الدفن الى بهو قسمه بأعمدة صخرية الى ثلاثة أجنحة ، ونحت أيضا ممرا يحيط بتلك الحجرات ويصل الى البهو عن طريق درجات سلم فى الناحية الشرقية (شكل ٣١) . وزاد بعض خلفائه عدد الحجرات السفلية فى أهرامهم الى ثلاث ، وتعترض حجرة منها المسافة الواقعة بين حجرة المدخل وحجرة الدفن ، وكتب على جدرانها ما يسمى « الاعتراف السلبى » من كتاب الموتى ، الا أنه رغم هذه التعديلات فى التفاصيل فان النموذج العام للقبر الذى استنه شباكا لم يتغير فى جوهره .



شكل ٣٠ — خريطة النيل من أسوان الى الخرطوم

وعلاوة على أهرام الملوك وجد ريزنر فى جبانة كورو صفـا من خمسة أهرام بنيت للملكات ، وبالقرب من هذا الصف أربع وعشرون مقبرة للخيل : أربع منها لخيول بيعنخى ، وأربع أخرى لخيول تانوت أمون ، وقسم الباقى بالتساوى بين خيول شباكا وشباتاكا ، وكـان كل جواد مزينا بطقم من الفضة وعقود من الخرز ، وكانوا يضحون بهذه الخيول عند موت الملك لكى ترافقه الى العالم الآخر . أما فى مصر فلم تكتشف غير مقبرة واحدة للخيل ، مع أن مقابر الملوك وبعض الأمراء فى الدولة الحديثة قد حوت العربات الحربية .وعلى ذلك ربما كان بيعنخى أول من ابتدع التضحية بالخيل ، لأن تعلقه بها أمر معروف وتشهـد



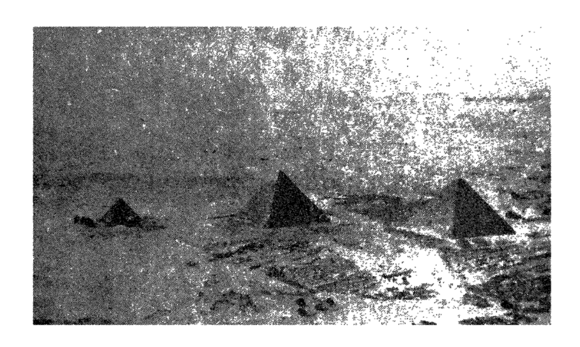
شكل ٣١ هرم طهرقا

به عبارته فى لوحة النصر المشهورة ، ففى ذلك النص الشهير الذى يصف فيه غزوه لمصر نراه يعرب عن سخطه عندما علم أن « نملات » امير الأشمونين ترك خيلة تتضور جوعا أثناء الحصار الذى ضربه هو بنفسه حول المدينة . وقد نال نملات العفو فى النهاية بعد أن كاد يدفع حياته ثمنا لاهماله للخيل .

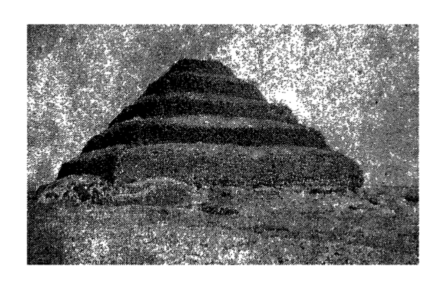
وحوالى سنة ٦٦١ ق٠م وضع الملك الأشورى اشور بانيبال حدا لسلسلة الحروب بين اشور وملوك الأسرة الخامسة والعشرين بالتغلب على تانوت أمون وفتح مصر كلها حتى مدينة طيبة ، فعاد تانوت أمون الى نبتا حيث ظل هو وأتباعه يحكمون دون ازعاج ذى أهمية مدة تبلغ نحو ٣٥٠ سنة ، وكان يحد مملكتهم من الشمال الشلال الأول ومن الجنوب مستنقعات النيل الأبيض . وباستثناء اثنين من هؤلاء الملوك الذين بلغ عددهم واحدا وعشرين فقد دفنوا جميعا عند نورى فى أهرام من الحجم والشكل ذاته ، وكان الاثنان المستثنيان هما تانوت أمون وملك آخر حكم بعده أقاما هرميهما فى كورو . وعلاوة على أهرام الملوك تحتوى جبانة نورى على ثلاثة وخمسين هرما صغيرا للملكات وأميرات .

ومنذ سنة ٣٠٠ ق٠م٠ تقريبا حتى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد — عندما سقطت المملكة فى يد الأحباش — كانت العاصمة فى مروى على مسافة مائة وثلاثين ميلا شمال الخرطوم . وحدث فى مرتين أن نجح مدعو الحق فى العرش أثناء تلك الفترة فى جعل نبتا عاصمة للمملكة ، ولكن فى كلتا المرتين انهارت سلطة الخارجين على العرش وعادت مروى الى سلطتها السابقة . واستمر دفن ملوك مروى ومنافسيهم فى نبتا فى أهرام بلغت خمسين هرما فى مروى وثمانية عشر فى نبتا (لوحة ١٤ أ) . وكانت كل هذه الأهرام — كسابقتها — مبنية بالحجر ، ما عدا تلك التى بنيت فى مروى بعد عام ٢٠٠ بعد الميلاد عندما استخدموا فى بنائها الطوب اللبن المغطى بطبقة من الملاط .

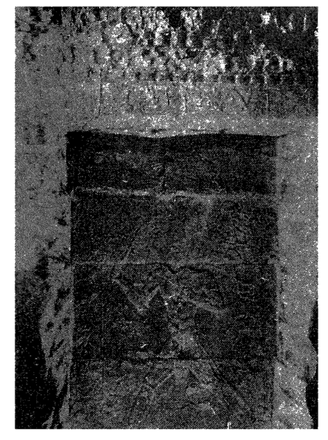
وأحيا ملوك مروى عادة وحشية كانت قد انتشرت أيام الدولة الوسطى فى شمال السودان ، هى دفن الخدم مع الملك فى قبره لكى تستمر أرواحهم فى خدمته فى العالم الآخر . ولا يزال أمر دفنهم من المواضيع التى تدور فيها المناقشة ، ولسنا نعرف هل كانوا قد دفنوا وهم أحياء أم انهم قتلوا قبل الدفن ، على أنهم لم يفعلوا ذلك مع الملكات



لوحة ١ ـ أهرام الجيزة مصورة من الجو



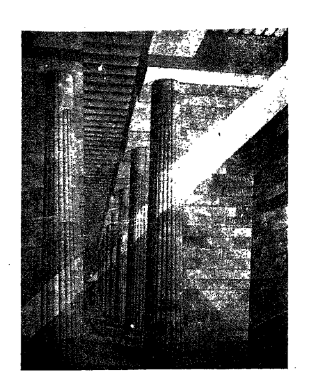
لوحة ٢ ـ الهرم المدرج بسقارة . الجانبان الجنوبى والغربى



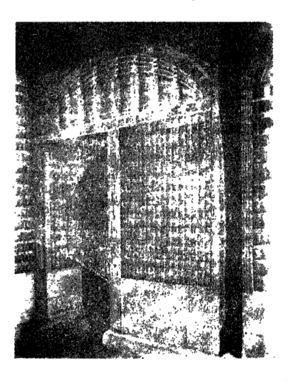
لوحة ١٣ ـ نقوش بارزة على الحجر للفرعون زوسر وهو يؤدى بعض الطقوس الدينية . سقارة



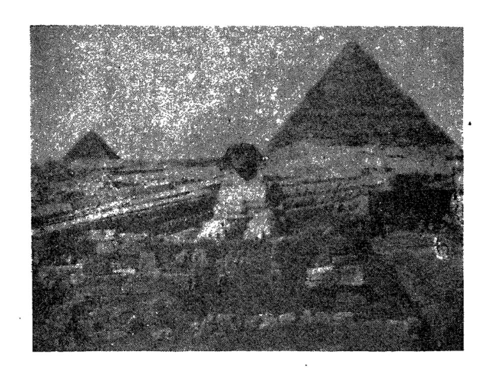
لوحة ٣ ب ـ تمثال للفرعون زوسر من الحجر الجيرى بالمتحف المصرى



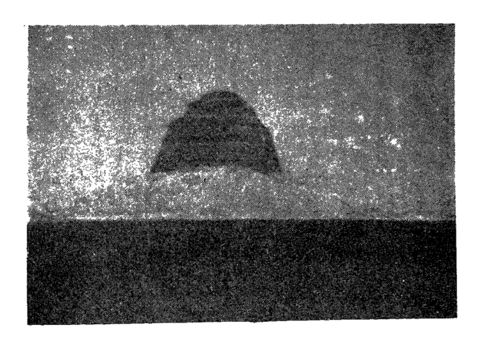
لوحة ٤ ـ الهرم المدرج . مدخل صالة الأعمدة بسقارة



لوحة ٥ التغطية بالقيشانى كما كانت فى المصطبة الجنوبية بسقارة



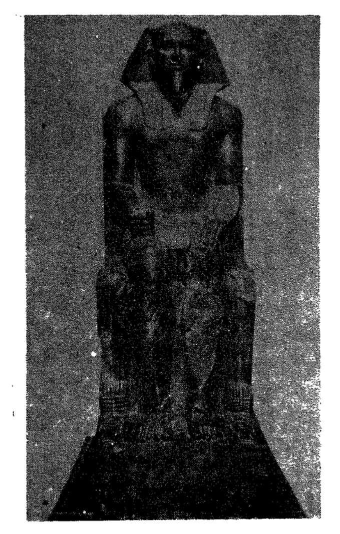
لوحة ٦ ا ـ هرم ميدوم



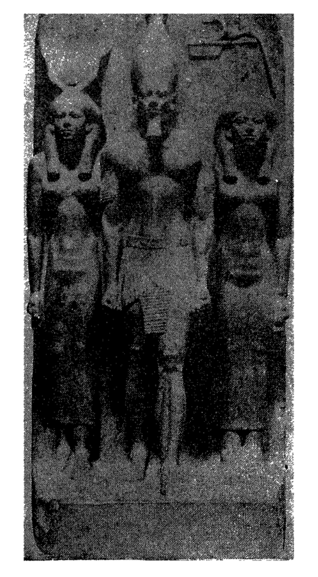
لوحة ٦ ب ـ أبو الهول بالجيزة



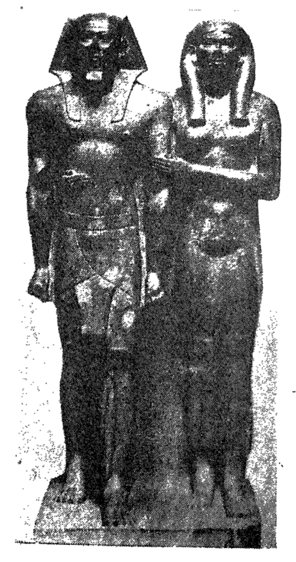
لوحة ٧ ـ تمثال للفرعون خوفو من العاج بالمتحف المصرى



لوحة ٨ ـ تمثال للفرعون خفرع من حجر الديوريت بالمتحف المصرى



لوحة ٩ — لوحة تمثل ثالوثا لأحد أقاليم مصر نرى فيها منكاورع ،
وحاتحور والـهة إقليم ابن آوى . بالمتحف المصرى



لوحة ١٠ ـ مجموعة تمثالى منكاورع والملكة خع .
مرر . نبتى . فى متحف الفنون الجميلة ببوسطن



لوحة ١١ أ ـ الطريق الجنازى لهرم أوناس بسقارة



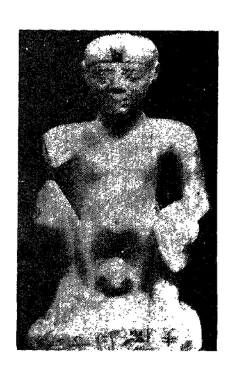
لوحة ١١ ب ـ منظر مجاعة من رسوم طريق هرم أوناس الجنازى بسقارة



لوحة ١٢ ـ المعبد الجنازى المهدم من عهد «نب . حبت . رع» (منتوحتب) بالدير البحرى



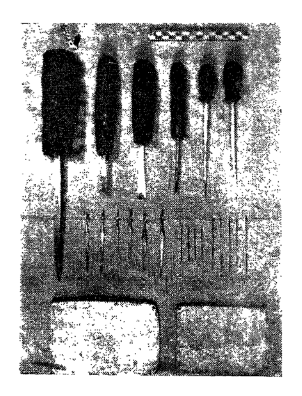
لوحة ١٣ ب ـ أمنمحات الثالث فى شبابه بالمتحف المصرى



لوحة ١٣ أ ـ تمثال صغير من المرمر للفرعون ببى الثانى وهو طفل بالمتحف المصرى

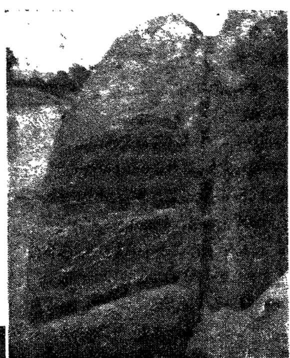


لوحة ١٤ أ ـ أهرام مروى

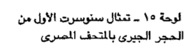


لوحة ١٤ ب ـ أدوات نحاسية من
الأسرة الأولى بالمتحف المصرى

لوحة ١٤ جـ ـ ثقوب فى الجر بيت
من أعمال عمال المحاجر القدماء فى
اسوان







لوحة ١٥ ـ تمثال سنوسرت الأول من
الحجر الجيرى بالمتحف المصرى

اللاتى كن يدفن أيضا فى أهرام فى جبانة منفصلة فى الجانب الغربى من المدينة . وقد كتب سترابو يقول : « ما زالت العادة جارية فى اثيوبيا بأن الملك عندما يعجز عن استخدام عضو من أعضـــائه أو يفقده فى حادثة أو لأى سبب آخر ، فان أتباعه — وهم أولئك الذين كان مقدراً عليهم أن يموتوا معه — يبادرون باظهار ولائهم له بأن يحدثوا فى أنفسهم نفس العاهة التى أصيب بها مولاهم » (١) . وربما أخطأ سترابو قليلا فى ذكر التفاصيل ، ولكن حفائر ريزنر فى مـــروى اثبتت أنه لا داعى للشك فى دقة ما كتبه بوجه عام .

---

(١) Strabo, Geographica, Bk, XVII, II, 3.

الفصل السابع

طريقة بناء الهرم والغرض منه

ان الوثائق المصرية الباقية — سواء المكتوب منها أو المصور — لا تلقى ضوءاً على الطرق التى اتبعها بناة الأهرام فى وضع تصميمها أو تشييد مبانيها الضخمة . الا أن الدراسة الدقيقة للمبانى ، وما يصل الينا من معلومات تزيد يوما بعد يوم عن الأدوات التى كان يستخدمها البناءون ، سهلت لنا التحقق من كثير من التفاصيل الخاصة بالبناء كما جعلت أيضا فى امكاننا أن نتكهن بما كانوا يفعلونه اذا أعوزنا الدليل المادى . ومع ذلك فلا زالت بعض المسائل محتاجة الى حل ، وفى مثل هذه الحالات لا يسعنا الا افتراض الجواب دون أن يكون هناك ما يؤيده سوى الاعتقاد بأن هذه الفروض يمكن أن تصل بنا الى النتائج الملموسة .

فعند اختيار موقع لهرم من الأهرام كان من الضرورى مراعاة اعتبارات معينة : فيجب أن يكون الموقع غرب النيل — الجانب الذى تغرب فيه الشمس — ويجب أن يقام فوق مستوى مياه النهر وغير بعيد عن ضفته الغربية ، ويجب أن تخلو الأرض الصخرية من أى عيب أو احتمال للتصدع ، ويجب ألا يكون بعيدا عن العاصمة ، بل وربما يجب أن يكون قريبا من القصر الذى ربما يكون الملك قد شيده لاقامته خارج العاصمة . وكان من بين المواقع التى اختارها ملوك الدولة القديمة : سقارة وأبو صير فى مواجهة منف ، وأبو رواش على مسافة سبعة عشر ميلا الى الشمال ، ودهشور على بعد خمسة أميال الى الجنوب. وتفصل ثلاثة وثلاثون ميلا منف عن ميدوم ، حيث بنى هرم واحد . وكان القرب من النهر عاملا مهما ، لأن كثيرا من الأحجار اللازمة لبناء الأهرام والمبانى الملحقة بها يجب أن تنقل من المحاجر بالسفن ، اذ لا يبقى أثناء موسم الفيضان من الصحراء الا مساحة عرضها ٢٥٠ ياردة فقط بين النهر وهرم ميدوم ، بينما كانت المسافة عند الجيزة تبلغ نحو ربع ميل . ولكن عند دهشور وأبى رواش كان طول الطريق المعدة لسحب مواد البناء عليها يقرب من ميل .

وبعد انتقاء الموقع المناسب كان اول عمل يقوم به المشرفون على البناء هو ازالة الطبقة السميكة من الرمال والحصا التى فوق سطح الصحراء ، لكى يقام البناء على أساس ثابت من الصخر . ثم تبدأ بعد ذلك عملية تسوية الصخر وتهذيبه ، وكانت قطع الحجر التى يزيلونها من اماكنها اما أن تستخدم فى ملء الشقوق أو توضع جانبا لاستعمالها فيما بعد . ونستطيع أن ندرك مدى عنايتهم بهذه العملية فى الهرم الأكبر الذى ينحرف فيه المستوى الأفقى للأرضية المقام عليها الهرم من المستوى الحقيقى بأقل من نصف بوصة فقط ، وهو فرق لا يكاد يدرك ويرفع الركن الجنوبى الشرقى للهرم عن الركن الشمالى الغربى . ولا شك أن مثل هذه الدرجة العالية من الاتقان فى عملية التسوية كانت نتيجة لتجارب عديدة مرت على المصريين ، فتعلموا منها خلال اجيال كثيرة ترجع الى ما قبل عصر بناة الأهرام عندما كانوا يعدون أراضيهم للرى بالمياه الآتية من النهر بواسطة القنوات والترع . ولتسوية مساحة مثل قاعدة الهرم ، كان من الضرورى احاطة جوانبها الأربعة بجسور واطئة من طمى النيل وملئها بالماء ، وقطع شبكة من الخنادق فى الصخر بحيث تكون أرضية كل خندق على نفس العمق تحت سطح الماء ، أما المساحات التى تتخللها فكانوا يسوون سطحها بعد اطلاق المياه . ولكنه لم يكن من الميسور عمليا أن يسووا سطح جميع المساحة التى سيشغلها الهرم ، فكانوا يتركون أحيانا — كما هو الأمر فى الهرم الأكبر — نتوءا من الصخر فى الوسط ليستفيدوا منه فيما بعد أثناء عملية البناء .

وكان آخر ما يفعلونه من العمليات التمهيدية فى اعداد الموقع هو عمل دراسة دقيقة لكى يتأكدوا من أن قاعدة الهرم تأخذ بقدر الامكان شكل المربع الكامل ، وأن كل جانب من جوانبه يواجه جهة من الجهات الأربع الأصلية . وكانوا يستخدمون فى تنفيذ هذه العملية عصيا من الخشب طرف كل منها الى طرف الأخرى ، أو حبالا طويلة . وكانت وحدة القياس هى الذراع الملكى (طوله ٢٠٫٦٢ بوصة) ويتكون من سبعة أكف (راحة اليد) أو ثمانية وعشرين أصبعا (فالكف الواحد يساوى أربعة أصابع) . فاذا كانوا يستخدمون الحبال المصنوعة غالبا من الياف النخيل أو الياف الكتان فانها كانت تزداد قليلا بشدها فى الاستعمال ، ولهذا فلا عجب فى أن نجد فرقا يبلغ ٧٫٩ بوصة بين اطول واقصر جانب فى الهرم الأكبر ، بل ان ضآلة الخطأ فى جوانب يزيد طولها عن ٩٠٠٠ بوصة هى فى الحقيقة التى تدعو الى الاعجاب، خصوصا عندما نتذكر أن وجود النتوء الصخرى فى الوسط يجعل من الصعب قياس أقطار المربع قياسا صحيحا .

وليس من المستطاع ضبط جوانب الهرم نحو الجهــات الأربــع الرئيسية الا بمساعدة جرم أو أكثر من الأجرام السماوية فى وقت كانت البوصلة فيه ــ بكل تأكيد ــ غير معروفة ، على أن قدماء المصريين قد نجحوا فى هذا نجاحا كادوا يصلون فيه الى حد الكمال ، كما يتضح فى الهرم الأكبر وهرم خفرع ، اذ لم يزد الخطأ فى الأضلاع الأربعــة عن جزء من الدرجة كما يتضح مما يأتى :

الضلع الشمالى	٢٨″	٢′	جنوبى الغرب
الضلع الجنوبى	٥٧″	١′	جنوبى الغرب
الضلع الشرقى	٣٠″	٥′	غربى الشمال
الضلع الغربى	٣٠″	٢′	غربى الشمال

وبناء على دراسة بترى فان متوسط الخطأ فى الضلعين الشرقى والغربى من هرم خفرع يبلغ ٢٦ ٥ غربى الشمال (١) . ولا يمكن أن نعرف على وجه التأكيد أى الاجرام السماوية ، وكم منها ، استعان به المصريون للحصول على هذه النتائج . ولكن من الواضح أنه كان من الضرورى أن يحددوا فقط واحدة من النقط الأصليــة ، وبعدهــا يمكن تحديد النقط الثلاث الباقية باستعمال آلات بسيطة كانت فى مقدور بنائى الأهرام . فالشرق والغرب كانوا يستطيعون تحديدهما على وجه التقريب من شروق الشمس وغروبها فى يومى اعتدال الليل والنهــار من كل سنة ، وكانوا يستطيعون معرفة الشمال من ملاحظة النجــم القطبى . ولكن فى كل حالة يكون الخطأ الناتج (حتى بعد عمل حساب التغيير فى موقع القطب بالنسبة للنجم القطبى فى مدى ٤٥٠٠ سنة) أعظم من الخطأ الذى وجد فى هرمى الجيزة الكبيرين .

وهناك طريقة بسيطة لتحديد الشمال الحقيقى ــ وربما كانت هى الطريقة التى استعملت ــ وذلك بمراقبة نجم فى النصف الشمالى من السماء ، وتنصيف الزاوية المكونة من مكان شروقه ، والمــكان الذى حدثت منه المراقبة ، ومكان غروبة . وللحصول على الدقة المطلوبــة

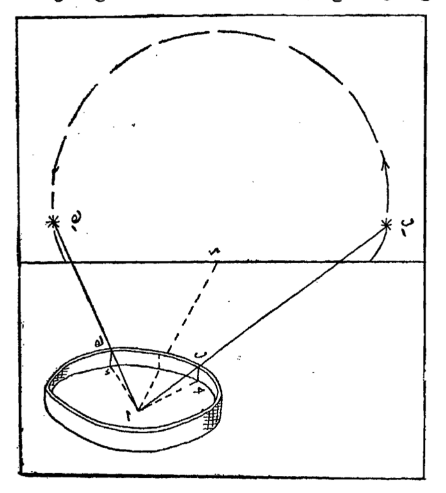
---

(١) وكان من بين الأهرام الاخرى التى قام بترى بدراستها ثلاثة لاحظ الاخطاء الآتية فى توجيه أضلاعها الشرقية والغربية :

الهرم المنحنى	١٢″	٩′		غربى الشمال
هرم ميدوم	٢٥″	٢٤′		غربى الشمال
هرم منكاورع	٣″	١٤′		شرقى الشمال

كان من الضرورى اما رؤية الأفق الحقيقى عند النقطتين اللتين يشرق النجم فيهما ويغرب ، واما بعمل أفق صناعى على ارتفاع منتظم فوق هاتين النقطتين . ولما كان عدم انتظام مستوى الأرض فى أى مكـان — مهما كان التغير قليلا — يعوق معرفة الأفق الحقيقى ، استلزم الأمر عمل أفق صناعى .

ويمكن الوصول الى ذلك ببناء جدار دائرى قطره بضعة أقـدام على أرضية الصخر التى سويت من أجل الهرم ، ويجب أن يكون ارتفاع الجدار كافيا ليمنع الشخص الواقف داخل الدائرة من رؤية أى شىء آخر خارجها سوى السماء . ولكن يجب الا يترتب على ذلك أن يصبح الحائط أعلى من الشخص نفسه ، ويجب أن يكون السطح الأعلى من الجدار فى جميع أجزائه على ارتفاع واحد مضبوط . ويمكن الحصول على ذلك بسهولة بواسطة الماء ، وذلك بعمل جسور مؤقتة من الطين على أعلى سطوح الجدار الدائرى من الداخل والخارج ، مع ملاحظة



شكل (٣٢) — طريقة لمعرفة الشمال الحقيقى

الاحتياط اللازم لمنع تسرب المياه . ويقوم بالمراقبة شخص واحد ، فينظر من فوق قضيب قصير مثبت عموديا فى الأرض عند مركز الدائرة (شكل ٣٢ أ) ، ويقف شخص آخر داخل الدائرة يتلقى تعليماته من الشخص الأول ، وعندما يظهر النجم (شكل ٣٢ ب ١) فوق الحائط يضع علامة فوق الحائط مباشرة على امتداد الخط المستقيم الواصل بين المراقب والنجم .

ويجب أن تعمل هذه العملية أولا فى اتجاه الشرق (شكل ٣٢ ب) ثم نحو الغرب بعد ذلك ببضع ساعات (شكل ٣٢ ك ١ . ك) وذلك برصد النجم نفسه فى الحالتين . ثم يدلون ميزان البناء (وكان معروفا للمصريين فى عصر بناة الأهرام) من العلامتين اللتين على الحائط ، ويضعون علامتين على الأرض فى النقطتين اللتين ينزل عليهما الميزان عموديا (شكل ٣٢ جـ ، د) ، وبتنصيف الزاوية جـ أ د نحصل على الشمال الحقيقى ويصبح الخط (أ هو الاتجاه الشمالي الجنوبى . ولزيادة التحقق يمكن اعادة هذه العملية برصد بعض نجوم مختلفة بنفس الطريقة قبل هدم الجدار الدائرى . ويقع المشرق والمغرب عند زاوية مقدارها ٩٠° من الخط الذى حصلنا عليه . ولكن لم يعثر حتى الآن على المثلث والأدوات الأخرى التى ربما كانت تستخدم لقياس مثل هذه الزاوية ، الا اننا نرى من دراسة مبانى ذلك العصر أن أركانها تكون زوايا قائمة على أتم ما يكون ، مما يدل على معرفتهم لآلة دقيقة أوصلتهم الى هذه النتيجة .

وفى الوقت الذى كانت تقوم فيه الأعمال التمهيدية فى موقع الهرم ، كانت الاستعدادات للبناء ترتب فى مكان آخر . فكانوا مثلا يصنعون أساسات الطريق الصاعد من الحجر المقطوع محليا ليمكن استخدامه فى نقل مواد البناء عندما تبدأ عمليات بناء الهرم . ولأجل عمل الكسوة الخارجية للبناء كانت تقطع كتل الحجر الجيرى من النوع الجيد من جبال المقطم على الجانب الشرقى للنيل عند طرة ، ويكتب العمال المكلفون بمثل هذا العمل أسماء فرقتهم بالمغرة الحمراء على الكتل قبل نقلها من المحجر . ومع أن هذه الأسماء غالبا ما تمحى أثناء العمليات المتعاقبة ، الا أن قدراً كافيا منها بقى ليخلد أسماء كثير من هذه الفرق ، فمثلا وجد « ألن رو » الأسماء الآتية واضحة على كتل كسوة هرم ميدوم (١) : « فرقة الهرم المتدرج » ، « فرقة القارب » ، « الفرقة القوية » ، « فرقة الصولجان » ، « الفرقة المتحملة » ، « فرقة

---

(١) Alan Rowe, The Museum Journal, Philadelphia, Vol. XXII (1931), p. 21, pl. VI).

الشمال » ، « فرقة الجنوب » . وعلى احدى الكتل فى الهرم الأكبر نقرأ : « فرقة الصناع » ، « ما أقوى تاج خنوم خوفو الأبيض ! » .

وسبب وضع هذه الأسماء على الأحجار غير واضح ، اللهم الا اذا كان لغرض تسهيل عملية جرد أعمال كل فرقة . وفى الوقت ذاته كانت هناك فرق أخرى من العمال يقطعون كتل الجرانيت اللازمة للأعمدة والأعتاب وأكتاف الأبواب والعقود وكتل الكسوة ، وفى بعض الأحيان التابوت الخارجى . ومما يثبت أن مثل هذا العمل لم يخل من الأخطار ، ما نقرأه فى مقبرة عند أسوان خاصة بحاكم الجنوب المسمى أونى (Uni) الذى عاش أيام حكم بيبى الأول ومرنرع، حيث يقرر أونى بفخر فى هذه النقوش ، أنه نتيجة لسيطرته على الخارجين على القانون فى تلك المنطقة ، أمكن — لأول مرة فى التاريخ — ارسال بعثة لقطع الأحجار الى أسوان تحت سيطرته ، ولم يكن يحرس هذه البعثة غير سفينة حربية واحدة .

أما الحجر الجيرى — سواء أحصلوا عليه من سطح الجبل القريب كما هو فى الجيزة أم من قلبه كما فى طرة — فلم يسبب لبنائى الهرم أية صعوبات جدية عند قطعه فى المحاجر . وقد اتضح من الحفائر الحديثة التى قام بها و. ب. امرى فى جبانة سقارة أنه — حتى فى عصر الأسرة الأولى — كان لدى المصريين آلات نحاسية ممتازة الصنعة ، منها المناشير والأزاميل التى كانوا يستخدمونها فى قطع أى نوع من الحجر الجيرى (لوحة رقم ١٤ ب) ، وربما استعانوا — لتسهيل عملية النشر — بمادة مبتلة تساعد على التفتيت ، مثل الرمل الكوارتزى الندى الذى يوجد بكثرة فى مصر ، ولكننا لا نملك الدليل القاطع على أنهم استخدموا مثل هذه المادة أو التجأوا الى مثل هذه الطريقة .

وكانت الأزاميل والأسافين هى الآلات المفضلة لديهم فى قطع الأحجار الجيرية ، فتستعمل الأولى لفصل الكتلة عن الصخر من كل جانب عدا القاعدة ، والأخرى تستعمل لعزل الكتلة من أسفل . فنرى فى خندق أحد المحاجر مثلا تجويفا عميقا يشبه الرف يمتد بطول عرض الممر بين السقف والكتلة المراد نزعها ، والغرض من هذا التجويف هو تمكين أحد عمال المحجر من الزحف فوق سطح الكتلة لفصلها من الصخر من الخلف بعمل شقوق عمودية تتجه الى أسفل بواسطة ازميل يدقه بمطرقة من الخشب ، وفى نفس الوقت يقوم عامل آخر باحداث شقوق رأسية مشابهة أسفل الجانبين . وأخيرا توضع الأسافين فى خروم ثقبت عند القاعدة لكى تفصلها أفقيا من الصخر ، وبهذا تنفصل الكتلة بأجمعها .

وفى بعض الأحيان تستعمل أسافين من الخشب ، ويتم فصل الكتلة ببل الخشب بالماء ليتمدد . وتعاد العملية بعد ذلك فى الصخرة التى تحتها دون ضرورة لقطع التجويف الأول ، وهكذا الى أن يصلوا الى مستوى الأرضية . ثم يبدأون فى تكرار العملية عند مستوى السقف متجهين الى أسفل فى الخندق (١) . وكانوا يقطعون الأحجار من سطح الجبل بنفس الطريقة تماما ، وهى أفضل كثيرا من قطع الأحجار داخل الخندق ، نظرا لأن مكان العمل ليس محدودا ويستطيع عدد كبير من العمال أن يعملوا فيه فى وقت واحد ، ولكن من ناحية أخرى فان أحسن أنواع الحجر الجيرى توجد فى طبقات عميقة تحت السطح، وقطع الخنادق هو الطريقة العملية الوحيدة لاستخراجها .

ولا تزال الطرق التى كانوا يستخدمونها فى عصر بناة الأهرام فى قطع الجرانيت والأحجار الأخرى الصلبة موضع خلاف فى الرأى ، فقد ذكر أحد الباحثين أن المصريين لم يبدأوا فى عمل محاجر للحصول على الأحجار الصلبة الا فى الدولة الوسطى ، ويصر على أنهم قبل ذلك كانوا يحصلون على الكمية المطلوبة ، من الصخور الكبيرة التى كانت فوق سطح الأرض (٢) . ولكن من الصعب الاعتقاد بأن الأشخاص الذين وصلوا الى درجة من المهارة مكنتهم من نحت وتشكيل الكتل الهائلة من الجرانيت المستخدمة فى مبنى الوادى الخاص بخفرع لم يكن فى مقدورهم استخراج كتل من هذا الحجر من المحاجر ، خصوصا وأن قطع الأحجار بطريقة قطع الخنادق لم تكن قد استعملت بعد . وعلاوة على ذلك فما زال واضحا على ظهر الكتل المكونة لسقف حجرة دفن منكاورع آثار وضع الأسافين فيها ، ولا يدل أثر الأسافين الا على أنها فصلت من صخور المحجر . ونحن نعرف أن هذه الطريقة كانت مستعملة بكل تأكيد فى العصور التالية ، ويثبت ذلك وجود ثقوب الأسافين التى لا يمكن حصرها وما زالت ظاهرة الى يومنا هذا فى محاجر أسوان (لوحة ١٤ جـ) . ولا يوجد من الأدلة ما يجعلنا نعتقد أن رجال المحجر لم يفصلوا الكتل بنفس الطريقة فى عصر الدولة القديمة ، ويمكن عمل الثقوب اما بحك الحجر بمسحوق مفتت واما باستخدام آلة معدنية .

(١) وتقطع كثير من الأحجار اللينة فى المملكة المتحدة فى وقتنا هذا بنفس الطريقة ، مع فارق مهم هو احلال الأدوات المصنوعة من الصلب محل الأدوات النحاسية والاكثار من استخدام المنشار . وربما عرف قدماء المصريين « أزمة » البناء المستخدمة الآن بدلا من الازميل ، ولكن لم يعثر حتى الآن على عينة منها .

(٢) A. Lucas- Ancient Egyptian Materials and Industries. (1934). pp. 62-3.

ولما كان النحاس هو المعدن الوحيد المعروف فى مصر قبل الدولة الوسطى ، فانه يظن أن المصريين عرفوا طريقة تعطى النحاس درجة عالية من الصلابة ، ولكنا لم نعثر حتى الآن على ما يؤيد هذا الظن . وهناك طريقة أخرى لقطع الجرانيت ولكنها أكثر مشقة ، وذلك بدق الصخر حول الكتلة المراد فصلها بكرات من حجر الدولوريت ، وهو حجر صلب يميل الى الخضرة ويوجد فى أماكن كثيرة فى الصحراء الشرقية بالقرب من البحر الأحمر . فالمسلة غير التامة التى يرجع تاريخها الى عصر الدولة الحديثة ، والتى لا تزال فى مكانها فى أسوان ، كان العمل يجرى فيها بهذه الطريقة دون شك ، وليس هناك ما يدل على أن عمال المحاجر فى عصر بناة الأهرام لم يعرفوا هذه الطريقة .

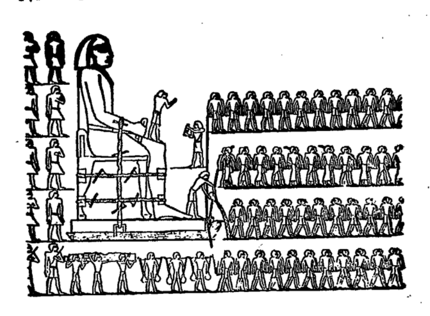
وأيا كانت طريقة استخراج الجرانيت من المحجر فقد حصلوا على الكتل اللازمة منه . فقد كانت هناك طريقة واحدة للحصول على النوع المطلوب من الحجر ، اذا لم يحصلوا عليه من الطبقة العليا . لأن الجرانيت — مثل كثير من الأحجار الأخرى — اذا ما سخن الى درجة حرارة عالية ثم برد فجأة ، تحدث فيه شروخ ظاهرية ويتفتت سطحه عند أى احتكاك بسيط وتتساقط أجزاؤه . وعلى هذا فقد كانوا يسخنون كتلة الجرانيت بالنار ، ثم يصبون عليها ماء بارداً فيتفتت سطحها فيزيلونه بمكشط صغير من الحجر ، ويكررون ذلك عدة مرات حتى يصلوا الى الحجر ذى الصلابة المطلوبة .

ولم يكن نقل الكتل الكبيرة من محاجرها أقل الأعمال شأنا فى تشييد الهرم ، اذ ان بعض القطع الثقيلة من الحجر الجيرى المقطوعة محليا والمستخدمة فى بناء معبد منكاورع الجنازى تبلغ نحو ٢٠٠ طن حسب تقدير ريزنر ، فاذا قارنا ذلك بكتل الكسوة فى الهرم الأكبر التى يبلغ متوسط وزنها ٢½ طن وبوزن الكتل الجرانيتية فى سقف حجرة الملك البالغ وزنها ٥٠ طنا ، لبدت هذه الأخيرة تافهة بالنسبة للأولى ، ثم ينبغى أن نتذكر أن الأخيرة كانت تتطلب نقلها بالسفن ، ثم انزالها منها ، ثم رفعها بعد ذلك فى أغلب الأحيان الى علو شاهق فوق الأرض . ومن المحتمل أنهم كانوا ينقلون هذه الكتل الحجرية اثناء موسم الفيضان ، وربما كان ذلك هو اقل الأعمال الشاقة فى تلك العملية بالرغم من أن ضبط المراكب المحملة بالأحمال الثقيلة فى نهر سريع الجريان كان دائما عملية خطرة تحتاج الى مهارة فائقة .

أما الطريقة المستعملة فى نقلها فوق سطح الأرض فكانت واحدة ، سواء أكان وزن الكتلة المنقولة ٢٠٠ طن أو ٢½ طن ، لأن عدد

الرجال كان يتوقف على مقدار الوزن . ولكن ما هى هذه الطريقة ؟ فليس هناك أى احتمال لاستخدامهم عربـــات ذات عجـــلات ، لأنه بالرغم من وجود نوع من العجلات منذ الأسرة الخـــامســـة عـــلى الأقل (١) ، فان الرسوم التى فى قبور الأسرة الثامنة عشرة توضح لنا أنه بعد مرور ألف سنة بعد الدولة القديمـــة كانت التماثيل والكتـــل الثقيلة لا تنقل بواسطة العربات ذات العجلات ، بل استخدموا بدلا من ذلك زحافات . ولا يخامرنا شك فى أن بناة الأهرام قد استعملوا أيضا هذه الطريقة ، وأكبر الظن أن كل كتلة كانت توضع فوق الزحافـــة باستخدام رافعات من فوق الأرض مباشرة أو بعمل منحـــدر واطىء يبنى من الطوب اللبن أو الحجر . وبعد أن تربط الزحافة والكتلة معا بالحبال يمكن رفعها ثانية بالرافعات (العتل) ليضعوا تحتها أسطوانات خشبية (درافيل) ثم يجرون الزحافة المحملة فـــوق طريـــق عليه (براطيم) من الخشب ويشدها الرجال بحبال مثبتة فى الزحافة .

وفى مقبرة جيحـــوتى حتب من الأسرة الثانيـــة عشرة فى البرشـــا (شكل ٣٣) رسم يمثل الطريقة التى كانوا يتبعونها ، نرى فيه تمثالا كبيرا من المرمر لصاحب القبر يزن نحو ٦٠ طنا فوق زحافة يجرهـــا



شكل ٣٣ ــ نقل تمثال كبير

---

(١) رسم فى مقبرة ام حست من الأسرة الخامسة يبين سلم صعود فوق عجلات (انظر كتاب Somers Clarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, fig 83.

١٧٢ رجلا (١) ، كما نراهم يصبون الماء أو أى سائل آخر على الأرض ليقلل الاحتكاك ويسهل الجر .

ولكن بعد اعداد الموقع ، وبعد تشوين المواد المطلوبة على مقربة منه ، يبقى أمام المشرف على بناء الهرم معضلتان ، أولاهما رفع الأحجار الى الارتفاع المطلوب ، والثانية وضع الأحجار فى أماكنها بحيث يكتسب البناء تماسكا داخليا والا تخرج هذه الأحجار عن التصميم الأصلى للشكل الخارجى . وقبل أن نحاول ايضاح الطريقة التى تغلبوا بها على هاتين المشكلتين يجدر بنا أن نتريث قليلا لنفكر فى المعالم الأساسية للمبنى المطلوب ، سواء الداخلية أو الخارجية منها دون أى تفكير فى الحجرات والممرات .

فعندما كنا نتحدث عن هرم ميدوم قلنا ان قلبه مكون من بضع طبقات من البناء ، تقل فى الارتفاع من الوسط الى الخارج ، وترتكز على نواة فى الوسط تبلغ درجة ميلها ٧٥° (شكل ١٢) ، وقلنا ان كل طبقة كسيت من أعلى الى أسفل بأحجار طرة الجيرية ، ثم سوى سطحها الخارجى ، ثم حول الهرم المدرج الناتج بعد ذلك الى هرم حقيقى بملء الدرجات بالأحجار ، وأضيفت اليه كسوة خارجية من أحجار طرة الجيرية الناعمة . وقد أوضح بورخارت أن نفس الطريقة ظل يتبعها بناة الأهرام فى الأسرة الخامسة (٢) مع فارق بسيط وهو ترك أوجه أحجار الكسوة الداخلية كما هى دون تسوية ، وربما استمرت هذه الطريقة نفسها متبعة حتى عصر أبعد من ذلك فى الدولة القديمة ، فمثلا كان يتكون هرم ساحورع فى أبو صير من طبقات ترتفع عاليا فى قلب البناء (شكل ٣٤ — ١) وكسوات داخلية من الحجر الجيرى (شكل ٣٤ — ٢) وكتل الحشو من الحجر (شكل ٣٤ — ٣) وأخيرا الكسوة الخارجية الناعمة من أحجار طرة الجيرية (شكل ٣٤ — ٤) .

ولسنا نعرف اذا كانت أهرام الجيزة الثلاثة قد بنيت بهذه الطريقة، لأنه — ما لم تهدم أجزاء كبيرة من مبانيها العلوية — لا يمكن عمل أى فحص يؤدى الى نتائج نهائية . واستنتج بورخارت من وجود أحجار

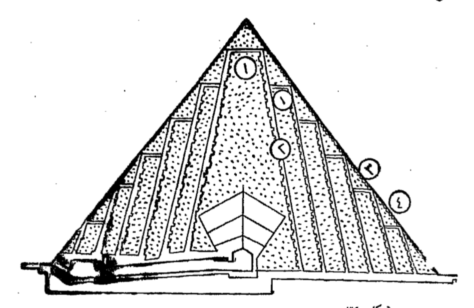
---

(١) وتبين النقوش التى عثر عليها فى قصر سنحاريب فى نينوى والموجودة الآن فى المتحف البريطانى أن الأشوريين فى القرن السابع قبل الميلاد كانوا ينقلون تماثيلهم بطريقة قريبة الشبه جدا من تلك الطريقة .

(٢) Borcharrt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, Vol. I, p. 29.

الربط فى الممر الصاعد أنهم اتبعوا فى بناء الهـرم الأكبر الطريقـة نفسها ، لأن كل حجر من أحجار الربـاط فى رأيه جـزء من الكسوة الداخلية (١) . ولكن اثنين ممن يعتد برأيهم ـ وهما سومرز كـلارك وز. أنجلباك ـ رفضا قبول آراء بورخارت (٢) . وحتى لو كانت أحجار الرباط ليست أحجار كسوة داخلية ، فان ذلـك لا يثبت أن أحجـار الكسوة لا توجد فى مكان آخر من الهرم . وعلاوة على ذلك فمن الثابت أن كل الأهرام الاضافية الموجودة فى الجيزة قد بنيت بكسوات داخلية ، ويصبح أمراً مستغربا اذا كانت الأهرام الأصلية بنيت بطريقة مخالفة .

وتتشابه كل الأهرام التى بنيت بعد الهرم المنحنى فى دهشور فى شكلها الخارجى ، ولا تختلف الا فى الحجم وفى بعض التفاصيل الصغيرة، كزاوية الميل ونوع الحجر المستعمل فى المداميك السفلية من الكسوة الخارجية . وكانت زاوية الميل المعتادة نحو ٥٢° ، وهى الزاوية التى نحصل عليها اذا كان الارتفاع مثل نصف قطر الدائرة التى يتسـاوى محيطها مع محيط الهرم عند مستوى الأرض (القاعدة) كما نرى فى هرم ميدوم والهرم الأكبر ، أما هرم دهشور الشـمالى المبنى من الحجـر والذى تبلغ درجة الميل فيه ٣٦ ـ ٤٣° فهو الاستثناء الوحيد الذى شذ عن هذه القاعدة .



شكل ٣٤ ـ هرم سحاورع . قطاع فى اتجاه الناحية الشرقية

(١) L. Borchardt, Eimiges zur dritten Bauperiode der grossen Pyramide bei Gise (Cairo, 1932).

(٢) Somers Clarke and Engelbach, Ancient Egyptian Masonry,

ويقول هيرودوت ، الذى نقل الينا الرأى الذى كان يتناقله الناس فى مصر فى أيامه عن بناء الهرم الأكبر : « بنى الهرم من طبقات سماها البعض شرفات وسماها البعض الآخر درجات . وعندما تم الهرم على هذا الشكل رفعوا الأحجار الباقية الى أماكنها بوساطة آلات صنعت من عروق قصيرة من الخشب ، فكانت الآلات الأولى ترفع الأحجار من الأرض الى أعلى الدرجة الأولى ، وعلى هذه الدرجة يضعون آلة أخرى تتلقى الحجر عند وصوله وتنقله الى الدرجة الثانية، حيث تنقله آلة ثالثة الى أعلى . وأما أنه كان لديهم آلات كثيرة بعدد درجات الهرم ، وأما أنه كان لديهم آلة واحدة يسهل تحريكها ونقلها من طبقة الى طبقة كلما ارتفع الحجر . فقد قيل لى الرايان ، وانى اذكرهما هنا . وأنجزوا الجزء الأعلى من الهرم أولا ، ثم الجزء الأوسط ، وفى النهاية الجزء الأسفل القريب من سطح الأرض » (١) .

وبينما تميل الاكتشافات الأثرية الى تأييد الجملة الأخيرة ، الا أنه لم يظهر فيها ما يؤيد ما قاله هيرودوت فى جملته . وعلى ذلك فلابد أن نعترف بأن بناء الهرم موضوع ما زال ينتظر الحل .

ولعدم وجود البكرة — وهو اختراع لم يعرف فى مصر قبل عصر الرومان — لم يكن أمام قدماء المصريين الا طريقة واحدة لرفع الأوزان الثقيلة ، وذلك ببناء منزلقات من الطوب اللبن والطين ترتفع الى أعلى من مستوى الأرض ، الى أى ارتفاع يريدونه . فاذا أرادوا مثلا بناء حائط قصير ، فان أحجار كل مدماك بعد المدماك الأسفل كانت ترفع الى المنسوب المطلوب على منزلق يبنى ملاصقا للجدار وبطوله كله ، ويبرز الى الخارج بزاوية قائمة على خط الجدار . وعند اضافة مدماك تال الى البناء ، يلزم أن يرتفع المنزلق ويمتد أيضا لكى يبقى الانحدار دون تغيير . وفى النهاية عندما يبلغ بناء الجدار أقصى ارتفاعه ، يزال المنزلق وتسوى السطوح الخارجية للأحجار التى لم تصقل سطوحها من قبل ، يصقلونها طبقة بعد طبقة متجهين الى أسفل فى الوقت الذى يقللون فيه من ارتفاع المنزلق . ويمكننا أن نرى مثالا لهذا المنزلق ملاصقا للصرح الأول الذى لم يكمل بناؤه فى معبد الكرنك (٢) ، ولئن كان هذا المثال من العصور المتأخرة فان مما يثبت أن هذه الطريقة نفسها كانت متبعة قبل ذلك فى العصور القديمة ما عثر عليه من بقايا المنزلقات عند هرم أمنمحات الأول فى اللشت وعند هرم ميدوم ، كما تبدو فى الصور المأخوذة من الجو بقايا واضحة من

---

(١) Herodotus, II. 125 (Rawlinson's translation).

(٢) Somers Clarke and R. Engelbach, op. cit., Fig. 87,

المنزلقات ما زالت تحت رمـال دهشـور ، ولكن يجب أن ننتظر الدليل العملي عند القيام بحفائر هناك .

فاذا سلمنا ــ بناء على ما لدينا من أدلة ــ بأن بناة الأهرام قد استعملوا المنزلقات ، فكيف كانوا يرتبون هذه المنزلقـات ؟ وخـير الاجابات أن منزلقا واحداً كان يبنى بطول جانب واحـد من الهـرم لاستخدامه فى نقل ما يلزم ، وكلمـا ارتفع الهـرم ازداد المنزلق فى الارتفاع والطول ، كما يضيق عرض سطحه الأعلى تدريجـا نظـراً للتناقص المستمر فى عرض واجهة الهرم . فاذا كانت زاويـة ميـل الهرم ٥٢° فلا بد أن تنحدر واجهتا المنزلق الجانبيتان بزاوية قدرها ٥٢° ، وبهذا يتفادون أى انهيار جانبى . أما جوانب الهرم الثلاثة التى لم تغط بمنزلق التموين ، فقد كانت أمامها جسور ذات عرض كاف فى أعلاهـا يسمح بمرور الرجال ومواد البناء . ولكن نظراً لأنها كانت لا تستخدم لرفع الأحجار من الأرض ، فان درجة ميلها على السطح الخـارجى يمكن أن تكون منحدرة بقدر ما تسمح به المتانة اللازمة . وكـانوا يضعون أيضاً براطيم من الخشب ، وقد عثر على بعضها فعلا فى مكانها فى اللشت أثناء الحفائر فوق أعلى سطحى منزلق التموين وجسور المشى لتكون طريقا متينا لمرور الزحافات وهى محملة بكتل الأحجار .

ولتوضيح الطريقة التى ذكرناها ، لنتصور أن هرما من الأهـرام قد بنى الى نصف ارتفاعه النهائى (١) ففى هذه الحالة لا يمكن أن يظهر شيء من مبانى الحجر السابق وضعها لأى شخص واقف على الأرض ، لأن ثلاثة من الأوجه الخارجية ستكون مغطاة كلها بجسور لمشى العمال، وسيحجب منزلق التموين الوجه الرابع . أما السطح العلوى من الهرم فسيكون أشبه برصيف مربع معد لوضع المدماك التالى فوقه ، وأول ما يسحب من احجار الى هذا الرصيف هى الكتل الداخلية المجلوبـة من المحاجر المحلية ، تترك جوانبها وسطوحها العلوية خشنة ولكـن تسوى سطوحها السفلى . وتؤخذ هذه الأحجار الى وسط الرصيف وتوضع الى جوار بعضها البعض ، وتترك غالبا الفراغات الناتجة من عدم انتظام جوانبها دون ملء .

وكانوا يعنون بأن يمتد المدماك الجديد فى كل الاتجاهات الأربعـة بحيث يبقى دائما فى شكل مربع تقريبا . وعلى مسافات منتظمة يجعلون

---

(١) فى الوصف الآتى ، كما فى المواضع الأخرى من هذا الفصل ، أخذنا الكثير مما ورد فى كتاب Clarke and Engelbach (Acient Egyptian Masonry (Oxford, 1930)

جوانبه متساوية تماما فى الطول ، باضافة كسوة داخلية من أحجـــار طرة الجيرية توضع مباشرة فوق نظيرتها من الكســـوة فى أرضـــية الرصيف . أما الناحية الخارجية من الكسوة فتقطع بميل الى الداخـــل بزاوية مقدارها حوالى ٧٥° ، ولكنها تترك دون صقـــل . وأخـــيرا تزاد مساحة المدماك الموضوع ، حتى لا يبقى من الرصيف الأصـــلى سوى شريط ضيق على حوافه الخارجية دون تغطية . وعندما نصل الى تلك الدرجة تضاف كتل الحشو من الأحجار الجيرية المحلية ، مع العناية الفائقة باللحامات بين الأحجـــار . وتراهـــم فى الهرم الأكبر وضعوا كتل الحشو بطريقة تجعلها تميل ميلا خفيفا الى الداخل نحو وسط كل مدماك ، فنتج من ذلك انخفاض يمكن ملاحظته متجهـــا من اعلى الى أسفل فى وسط كل وجه من أوجه الهرم ، ولا توجـــد هذه الظاهرة فى أى هرم آخر .

وعندما يتم بناء قلب الهرم لا يبقى الا أن تضاف له كسوة خارجية من أحجار طره الجيرية ، ويستلزم هذا العمل الدقة التامة ، لأن أى عيب فى وضع الأحجار لا يشوه المظهر الخارجى للأثر فحسب ، بل يؤدى حتما الى عدم انتظام الشكل الهرمى . وعلاوة على ذلك يجب أن تكون زوايا اللحامات مضبوطة وملتصقة جدا ما امكن ، ولكى يقتصـــدوا فى الوقت ويحصلوا على أعلى ما يمكن من الدقة كانوا يتركون زاويـــة اللحامات الصاعدة ـــ اى تلك التى بين الـــكتل المتجـــاورة فى نفس المدماك ـــ ليقوم بها بناؤون على أكبر جانب من المهارة ، يعملون ذلك وهى على الأرض . وبهـــذه الطريقـــة يحصلون على نتائج باهرة فيما يسمى اللحامات الصاعدة المائلة ، تلـــك التى تقطع لا بزاوية قائمة فى اللحام السفلى ولا موازية مع محور الهرم المركزى . وربما يتم على الأرض أيضاً اعداد زوايا اللحامات بين الأوجه الخلفية لأحجار الكسوة وبين الأوجه الأمامية لكتل الحشو ، حتى اذا ما وصلت كل كتلة فى النهاية الى الرجال المنوط بهم وضعها فى مكانها ، احتاج فقط سطحهـــا العلوى والأمامى ـــ المنحوت طبقا لزاوية الهرم ولم يصقل بعد ـــ الى عناية أكثر من البنائين .

وحتى بعد عمل مثل هذه الاستعدادات الدقيقة يظل وضـــع كتل الكسوة عملا صعبا ، خصوصا اذا كانت كتلا كبيرة تزن الواحـــدة منها أكثر من عشرة أطنان . ولا شك أنهم كانوا يحملونها مع زحافتهـــا الى اقصى نقطة ممكنة فوق الجسر ، فى مكان يواجه مباشرة المكان المقرر وضعها فيه فى البناء ثم تنزل الكتلة على جانبها من الزحافة لتستقر على عوارض خشبية أعدت لتلقاها فوق حجر الكســوة فى المدمـــاك الذى

تحته . ولكى يحكم استعمال العتلات يترك الحجارون نقرا فى الوجه الخارجى لكل كتلة من الكسوة ، وبينما تكون الكتلة فى ذلك المكان تبسط طبقة رقيقة من المونة على كل من وجهها الأسفل والوجه المجاور للكتلة الأخرى . وكان الغرض الأساسى من المونة هو ايجاد نوع من مادة لينة تجعل الكتلة بعد وضعها فى مكانها ، تنزلق وتلتحم مع كتلة الكسوة السابق وضعها ومع كتل الحشو الموجودة خلفها .

ولسنا نعرف تماما كيف كانوا يقومون بذلك العمل ، ولكن من المحتمل أنه كان يتم بشد حبال مربوطة الى براطيم من الخشب موضوعة عبر الركن الخارجى الخالى من كتلة الكسوة ، ثم يحركونها الى الوراء بواسطة عتلات من الأمام حتى تصبح على حذاء الخط . ونرى كتل الكسوة القليلة الباقية عند أسفل الهرم الأكبر أحسن الأمثلة للحامات المكتشفة حتى الآن ، والى بترى يرجع الفضل فى جذب أنظار العالم الحديث الى دقتها ، فهو الذى كتب عنها : « أخذت بعض مقاسات لسمك اللحامات فى أحجار الكسوة ، فبلغ متوسط السمك فى لحامات الجهة الشمالية الشرقية فى أحجار الكسوة ٠٫٢ر من البوصة ، وعلى ذلك يكون متوسط الفرق فى نحت الحجر عن الخط المستقيم وعن المربع الحقيقى ٠١ر ، وفى طول يبلغ ٧٥ بوصة على السطح . وهى درجة من الدقة تساوى ما تقوم به أحدث الأجهزة لضبط الحواف المستقيمة ، ورغما من أنهم كانوا يقربون الكتل من بعضها الى مسافة $\frac{١}{٥٠}$ من البوصة فالواقع أن متوسط الفتحة فى اللحام $\frac{١}{١٠٠}$ من البوصة » .

وعندما يتم وضع أحجار الكسوة فى أماكنها على الأوجه الأربعة للمدماك ، فمن الضرورى القيام بعمل مراجعة كاملة لهذا الجزء للتأكد من أنه لم يخرج عن الوضع الصحيح . ولم تكن هناك مندوحة من حدوث انحرافات صغيرة ، فاذا اكتشفت فى وقتها أمكن تداركها عند وضع المدماك التالى . وكلما تقدم العمل يزيدون فى ارتفاع منزلق التموين الرئيسى وجسور مشى العمال الى المستوى الجديد فى الهرم ، ويعمل البناؤون فى تنعيم أعالى الأحجار التى أتموا وضعها وهى التى ستصبح اللحامات السفلية للمدماك القادم . وهكذا يستمر البناء فى النمو مدماكا بعد مدماك ، حتى يصل فى النهاية الى حجر القمة ، الذى كان يصنع عادة من الجرانيت ، فيوضع فى أعلاه . ولضمان تثبيت هذا الحجر فى مكانه نحتوا فى وسط قاعدته بروزا أشبه بالقرص يركب مثل اللسان فى نقر أعد له فى وسط المدماك العلوى من البناء .

ويمكننا أن نفترض أن حجر القمة الذى يكون تشــكيله قــد تم ولكنه لا يزال خشن الجوانب ، كان يؤخذ الى أعلى الهرم على زحافة ثم يحمل على عتلات حين ترفع من تحته الزحافة . ويمكن ادخـــال عوارض تحته ثم تبسط طبقة رقيقة من المونة فى المكان المعــد له ، واخيراً بعد سحب العوارض يهبط تدريجا بواسطة العتلات الموضوعة تحته فى الحافة الصغيرة التى فى الجوانب . وعثر جيكييه على نص فى هرم الملكة أوجبتن يتحدث عن حجر قمة هرمها المذهب ويوحى بأن هذه الأحجار كانت على الأقل فى بعض الأحيان تغطى بصفائح من الذهب . ولم يصل الينا مثال قديم من ذلك ، ولكن يوجد فى المتحف المصرى مثل جيد من هـــرم أمنمحـــات الثالث فى دهشـــور ، وهو مصنـــوع من الجرانيت الأشهب ونقشت على أوجهه الأربعة كتابات تحوى ابتهالات الى اله الشمس وثلاثة آلهة أخرى .

وبذلك تكون عملية تشييد الهرم الشاقة قد انتهت ، ويمكن أن يبدأ العمل فى صقل الجوانب الأربعة الخارجية بادئين بحجر القمة ، وكلما تقدم العمل ينخفض منزلق التموين وجسر المشى وتظهر بذلـــك طبقة جديدة من احجار الكسوة يبدأون فى صقلها هى الأخرى . ولكى ينجز العمـــل بسرعـــة أكبر فمن المحتمـــل الا تجرى عملية تخفيض المنزلق والجسر تدريجا ، بل فى طبقات يبلغ ارتفاع كل منها بضعـــة اقدام ، حتى يمكن اقـــامة ســـقالات من الخشب بدلا منها ، وبهـــذا يستطاع استخدام عدد كبير من العمال يعملون على مناسيب مختلفة فى وقت واحد . ومن المؤكد أن السقالات كانت معروفة لقدماء المصريين ، وقد اقتصدوا وقتاً طويلا باستعمالها عندما صقلوا ما تبلـــغ مساحته خمسة أفدنة من أحجار الكسوة على كل وجه من أوجه الهرم الأكبر . وعندما تتم كل هذه العملية يطلق سراح عمّال البناء ، وتصبح الأرض ممهدة لاقامة المعبد الجنازى ومبنى الوادى ، وما من شك فى أنهم كانوا قد وضعوا أساسات بعضها قبل أن يبدأوا فى تشييد الهرم نفسه .

ولم يأت بعد ذكر الطـــريقة التى استخدموهـــا فى بناء الممـــرات والحجرات بالهرم ، فمن جهة يتشابه العمل مع بناء الكسوات الداخلية لأن كلتا العمليتين تستلزم تركيب الأحجار بدقة فى وسط بناء من احجار خشنة ، الا أنه لما كانت الممرات والحجرات لا تشغل الا جزءاً صغيراً من الهرم كله فربما بنيت فى الغالب دون ارتباط بباقى العمل ، فتقـــام منزلقات اضافية يمكن فكها فى ساعات قلائل فى أية مرحلة مناسبـــة حتى يمكن رفع الكتل الى منسوب أعلى بكثير من منسوب المدمـــاك الجارى تركيبه . وبهذه الطريقة يصبح لدى العمال متسع من الوقت

يستطيعون فيه تكملة عملهم فى الأجزاء الداخلية للهرم قبل أن ترفع المداميك المحيطة بقلب البناء الى علو يتحتم فيه تسقيف الممر والحجرات، وبعد ذلك لا يكون الوصول الى الأجزاء الداخلية مستطاعا الا عندما يزال جسر المشى أو منزلق التموين الذى يغطى الواجهة الشمالية للهرم الى منسوب المدخل .

وكان من الممكن تسهيل العمل باعداد الأحجار قبل أن يطلبها البناء ، ونحن نعرف مثلا أنهم أعدوا كتل السقف بحجرة الملك فى الهرم الأكبر ووضعوها الى جانب بعضها على الأرض ورقمت لكى يستطيعوا تركيبها ثانية دون تأخير عندما تؤخذ الى مكانها النهائى ، وادخل التابوت والسقاطات وكتل السدادات فى الهرم الأكبر فقط قبل أن تبنى جدران حجرة الدفن ، كما اتموا أيضا قبل ذلك الشقوق والدهليز التى كانت مهيأة لوضعها فيها .

وأرى انه من الضرورى أن أذكر أن ما ذكرته فى هذا الكتاب خاصا بالطريقة التى أعتقد أن قدماء المصريين اتبعوها فى بناء الأهرام تختلف فى كثير من النقط الهامة مع وجهات النظر التى أعرب عنها بعض الاختصاصيين الذين يعتد برايهم (١) . والاختلاف الرئيسى هو فيما يختص بعدد وترتيب المنزلقات ، وهى مشكلة لم يكشف حتى الآن عن الأدلة الكافية لاعطاء رأى نهائى فيها . وقد قرر بترى فى أحد أبحاثه عن هذا الموضوع اعتقاده بأن أحجار الكسوة فى الهرم الأكبر كانت تؤخذ الى مداميكها الخاصة بها وأوجهها الخارجية مصقولة من قبل ، وكانت توضع فى مكانها بتحريكها من الداخل ، أى أن الكسوة توضع أولا فى كل مدماك ثم يملأ وسط الهرم بعد ذلك . وبهذه الطريقة — كما يقول بترى — يلزم اقامة منزلق واحد فقط ، ويتم انجاز أوجه الهرم الثلاثة حال وضع أحجار كسوتها . وقد كتب بترى مدعما وجهة نظره : « هناك فرق بسيط فى الزاوية بين كتل الكسوة عند تلاحمها ، مما يثبت أن الأوجه لم تصقل منذ أن بنيت معا » (٢) .

وفى الحقيقة ليس هناك مبرر معقول للشك فى دقة ملاحظات بترى أو مطابقة استنتاجاته للطريقة التى اتبعوها لوضع الأحجار القلائل الباقية من الكسوة فى الهرم الأكبر ، ولكن استنتاجه العام بأن نفس الطريقة قد اتبعت عند وضع كل أحجار كسوة البناء ، محل اعتراض قوى . فجميع الأحجار التى يتحدث عنها موجودة فى المدماك

pl. II. pp. 33-39 (N. F. Wheeler. Pyramids and their Purpose in Antiquity, Vol. IX (1935), p. 172-4.

السفلى وتحتها أرضية ناعمة من أحجار طرة الجيرية تبرز الى خارج خط الهرم نحو قدمين ، وكان من المستحيل وضع هذه الأحجار من الجهة الخارجية دون اتلاف حافة الرصيف الذى كان المفروض أن يبقى ظاهرا ، وبالمثل كان من الأمور غير المرغوب فيها تسوية الحافة السفلية للأحجار بعد وضعها فى مكانها ، لأن سطح الرصيف فى مثل هذه الحالة يتشقق ويخدش .

وعلاوة على ذلك فان هذه الأحجار بالذات — أى المدماك الأسفل من الكسوة — ربما وضعت قبل غيرها من أحجار قلب الهرم لكى تحدد حجم واتجاهات قاعدة الهرم ، وذلك لأنه يمكن عمل التعديلات البسيطة فى وضع الأحجار اذا ما كانت طليقة من الخلف والأمام ، وان اى خطأ عند بناء القاعدة يسبب الخطأ فى الاثر كله وربما اخل بنظام شكله .

ولو أن بترى أوضح أن كتل الكسوة — فى اى منسوب مرتفع غير المدماك السفلى فى أى هرم — كانت توضع بزاوية بالنسبة لبعضها البعض لأصبحت حجته أقوى ، زد على ذلك أن الدليل على استعمال طريقة وضع أحجار الكسوة من الأمام راجح الكفة . ولو درسنا بعض المبانى التى يتم العمل فيها لرأينا أن تلك الطريقة هى التى اتبعها البناؤون المصريون منذ بدء استعمال الأحجار الكبيرة فى البناء الى آخر أيامهم ، ولدينا مثل فى أحد الأهرام وهو هرم منكاورع ، حيث نجد ان الحجر الجيرى الذى استعمل لكساء الجزء الأعلى كان تام الصقل ، ولكن أحجار الجرانيت التى تكسو الأجزاء السفلى ترك جزء منها خشنا ، وبذا تحددت النقطة التى وقف عندها العمل قبل أوانه . وان وضع الأحجار من الأمام يستلزم ترك الأوجه الخارجية للأحجار فى حالة خشنة حتى توضع فى مكانها ، واقامة الجسور أمام الوجه الخارجى من المدماك السابق وضعه والذى أصبح داخلا فى بناء الهرم ، وكذلك اقامة الجسور أمام الوجوه الأربعة للهرم .

وهناك رأى آخر عن بناء الأهرام قاله ريتشارد ليبسوس ، وذلك أن حجمها كان يتوقف على طول حكم صاحبها ،وتلك هى النظرية المعروفة باسم « نظرية التزايد » . ولا شك أن بعض الأهرام — وخاصة هرم زوسر المدرج وهرم ميدوم — حدثت فيها زيادات متتالية ، ونعرف كذلك أن كلا من الهرم الاكبر وهرم منكاورع حدثت فى مبانيه الداخلية تغييرات اثناء العمل فى التشييد ، ولكن التغييرات فى التصميم الأصلى كانت على اى حال نادرة الحدوث . ولو كان لطول

الحكم علاقة مباشرة بحجم الهرم لتوقعنا من بيبى الثانى — الذى اعتلى العرش حوالى أربع وتسعين سنة — أن يبنى هرما يبلــغ حجمــه أضعاف هرم منكاورع الذى حكم مدة ثمانية عشر عاما فقط ، أو لفشل خوفو — الذى حكم نحو ثلاثة وعشرين عاما — فى بناء هــرم مساو لهرم أوناس الذى يعتقد انه حكم مدة ثلاثين عاما . فواضح اذن أن طول حكم الملك لا يمكن أن يؤثر على حجم الهرم ، أما الاعتبــارات الفعالة فهى رغبة الملك الشخصية وسطوته والاعتقــادات الدينيــة السائدة فى عصره .

وازاء كل هذه العوامل المجهولة وغير الثابتة ، فمن العبث التخمين فيما يتعلق بعدد العمال اللازمين لبناء هرم من الأهرام الضخمة أو المدة التى يستغرقها العمل . وأى تقدير يبنى على الحقائق الميسورة لنا حتى الآن لا يمكن أن يكون دقيقا ، بل لا يمــكن الا أن يكون تقريبيــا . ويقول هيرودوت انه قد أخبر أن بناء الهــرم الأكبر قــد استغرق عشرين عاما ، وأن عمالا يبلغ عددهم مائة الف رجــل كانوا يشتغلون « لمدة ثلاثة أشهر » فى نقل الأحجار من المحاجر الى الهرم (١) . ويبدو أن هيرودوت أراد أن يفهم قراءه أن العدد الكلى للعمال كان ٤٠٠٫٠٠٠ رجل سنويا ، أى أربع مجموعات منفصلة كل منها ١٠٠٫٠٠٠ رجــل ، وكل مجموعة تعمل لمدة ثلاثة أشهر فى السنة . الا أن مثل هذا العــدد كان أكثر من اللازم ، ويمكننا التأكــد من ذلــك بعملية حســابية بسيطة ، فاذا كان المجموع المقــدر لعــدد الكتل فى الهــرم وهــو ٢٫٣٠٠٫٠٠٠ كتلة صحيحا الى حد ما ، فان متوسط عدد الكتــل اللازم نقلها فى كل سنة من العشرين سنة يكون ١١٥٫٠٠٠ كتلة .. وكــان متوسط وزن كل كتلة يبلغ نحو ٢ ½ طن ، وهو وزن يعتقد بترى أنه كان فى استطاعة جماعة مكونة من ثمانية رجال أن تنقله (٢) . ولنفرض أن بترى كان على حق ، وأن مائة ألف رجل فقط كانوا يشتغلون فى كل سنة ، فاذن كان يطلب من كل جماعة نقل عشر كتل فى اثنى عشر اسبوعا .. ومثل هذا العمل كان بكل تأكيد فى مقــدور مثل هــذه الجماعة لو أن المسافة المراد قطعها لم تكن طويلة جداً ، حتى فى حالة كتل قلب البناء . وعلاوة على ذلك — كما قال بترى — كــان العمــل يجرى أثناء موسم الفيضان ، أى بين آخر يوليه وآخر اكتوبر ، وهو الوقت الذى تزرع الأرض فيه ويكون معظم الأهالى بلا عمل .

---

(١) Herodotus, II, 124.

(٢) Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, p. 210.

ولا يخامرنا الشك فى أن عمالا آخرين كانوا يشتغلون فى بناء الهرم، علاوة على المائة ألف رجل الذين كان يؤتى بهم سنويا لنقل الكتل الى الهرم الأكبر ، وهؤلاء الرجال هم البناؤون المهرة ومن معهم من العمال الذين كانوا يعملون بصفة مستمرة طوال السنة لتجهيز ووضع الكتل واقامة أو هدم المنزلقات وجسور المشى ، وكانوا يسكنون فى مبـــان وجدها بترى غرب هرم خفرع . وبناء على تقدير بترى كان حـــوالى ٤٠٠٠ رجل يقطنون فى هذه الثكنات ، أى أن هذا العدد يمثل المجمـــوع الكلى للعمال الدائمين ، وكانت شظايا الأحجار التى يطرحها الحجارون تلقى على جوانب سفوح التلال شمال الهرم وجنوبه . وكتب بترى عن كمية الرديم فقال ان حجمها ربما ساوى أكثر من نصف حجم الهرم (١) .

وعثر فى هرم ميدوم على بعض أحجار عليها تواريخ ملكية كـــان أعلاها « سنة ١٧ » ، وهى تشير الى حكم سنفرو كما هو المفروض . الا أنه فى أثناء حكم ذلك الملك تغيرت كيفية حساب سنى الحكم من الطريقة القديمة التى كان الملوك بمقتضاها يحسبون حكمهم على أساس التعداد الذى كان يعمل كل سنتين لحصر ممتلكاتهم .. الى احصـــاء يعمل كل سنة ، وعلى هذا ربما كانت « سنة ١٧ » تحتوى على عدد من سنى الاحصاء (كل منها مكون من سنتين تقويميتين) وبعض سنين فردية ، اذ اننا لا نعرف عـــدد كـــل نوع منهـــا على حدة . وحتى لو أمكن معرفة التركيب المضبوط للتاريخ على وجه التحديد ، فلا بد من معرفتنا فى أية سنة من حكم الملك بدأ العمل فى الهرم ليمكن حساب المدة التى استغرقها بناؤه .

ولا شك أن حصولنا على المعلومات الخاصة بهذه المسائل ـــ أى الطرق التى استخدمها بناة الأهرام ، وعدد العمال الذين استخدموهم ، والوقت الذى استغرقه العمل ـــ يلقى ضوءاً على التقدم الصناعى فى العصور القديمة ، ولكن ذلك لا يعطينا الجواب عن سؤال أهم ، وهو : لماذا اختار قدماء المصريين بناء مقابرهم على هيئة الهرم ؟ على أنه ـــ قبل محاولة الاجابة على هذا السؤال ـــ يحسن أن نناقش أصل كلمة « الهرم Pyramid » . ففى اللغة المصرية القديمة كانت تطلق كلمة مر (m(e)r) على هذا النوع من المقابر ، ولكن هذا الاسم لا ينطوى مطلقاً على أى معنى وصفى . وترجع كلمة Pyramid فى أصلها الى الكلمة اليونانية « Pyramis » وجمعها « Pyramides » التى كثيراً

---

(١) Petrie, op. cit., p. 21.

ما حاول الباحثون معرفة الأصل المصرى التى اشتقت منه ، ولكن دون جدوى .

وهناك تعبير هندسى ينطق : بر. ام. اس Per-em-us (أى الذى يخرج رأساً من الـ أس Us ، وهى كلمة ليس لها معنى محدد) . وتكتب هذه الكلمة فى الهيروغليفية بحروف ساكنة ويقصد منها الارتفاع الرأسى للهرم فى أحد الأبحاث الرياضية (١) . ولكى نقبل أن « Pyramis » مشتقة من Per-em-us يجب أن نفرض أن الاغريق اما أنهم اخطأوا فى فهم التعبير المصرى ، أو أنهم — لأسباب غير معروفة — أسموا الكل باسم الجزء على سبيل المجاز . ونظراً لعدم وجود أى تفسير مقنع ، يبدو من الأفضل أن تعتبر Pyramis كلمة اغريقية أصيلة غير مشتقة من لفظ مصرى .

وتوجد كلمة مشابهة تماما معناها « كعكة من القمح » ، وقد قال البعض بأن الاغريق استعملوا هذه الكلمة على سبيل الفكاهة للتعبير عن تلك الآثار المصرية (٢) ، لأنها عندما ترى من بعيد تشبه الكعك الكبير . ومن هذا القبيل كلمة obeliskos ، فهى — علاوة على أن معناها مسلة — لها معنى آخر وهو « بصقة بسيطة » أو « سيخ » ، وهذا مثل آخر للطريقة التى طبقها الاغريق فى تسمية الأشياء التى لا يوجد لها شبيه فى بلادهم ، فبدلا من أن يستعيروا لها كلمة أجنبية يجتهدون فى أن يطلقوا عليها وصفا فكاهيا بلغتهم .

ويعتقد بورخارت أن الهرم الكامل تطور من الهرم المدرج بنفس الطريقة التى تطور بها الهرم المدرج بدوره من المصطبة (٣) ، والدليل الواضح على هذا التطور فى الحالة الثانية هرم زوسر المدرج ، حيث يمكن رؤية طرف المصطبة الأصلية فى الواجهة الجنوبية ، وفى الحالة الأولى هرم ميدوم ، حيث تحول من بناء مدرج الى هرم كامل ، بملء الدرجات بالبناء لكى تصبح الجوانب مائلة بزاوية واحدة مستمرة من القمة الى القاعدة . وما من شك فى أن الأثرين المذكورين قد حدث فيهما التحول المنسوب اليهما ، ولكن قبل أن نستطيع الادعاء بأن الشكل الأخير كان مجرد تطور أملته الدوافع الفنية يجب أن نبين

---

(١) The Rhind Mathematic Papyrus in the British Museum
بردية ريند فى المتحف البريطانى .

(٢) W. G. Waddell, Herodotus, II, p. 139.

(٣) E. Borchardt, Die Entelenbung der Pyramiden (Berlin) 1928.

ان الأثر فى هيئته النهائية كان أول مثل معروف من نـوعه . ولـكن مثل هذا القول لا يمكن التقدم به الآن عن الهرم المدرج ، لأن و. ب امرى (W. B. Emery) قد عثر حديثا فى سقارة على مقبرة من الطوب اللبن من نوع متدرج يرجع تاريخها الى الأسرة الأولى (١) .

كما أن ما قيل بشأن هرم ميدوم لا يمكن أن يكون قائما على أساس متين . ومع أن الهرم المنحنى أصبح منبعج الشكل فى النهاية ، الا أنه كان قد صمم على أنه هرم كامل . ولكن التغيير حدث عندما وصـلوا الى منتصف بنائه ، وذلك اما ليسرعوا فى اتمامه او لأن بنائيه غير المدربين خافوا من أن ميله الشديد الانحدار قد يودى بالبناء كله (٢) . ولا يعلم من هو صاحبه على وجه التحقيق ، ولكن هناك أسبابا قوية تدفعنا للاعتقاد بأن هذا الهرم قد بنى قبل هرم ميدوم ، أو على الأقل قبل أن يتخذ شكله النهائى . فمثلا نجد أن ميل أحجار كسـوته الى الداخل مطابق لميل احجار كسوة الهرم المدرج ، ومن جهـة أخـرى نجد أن أحجار كسوة هرم ميدوم الخارجية وضعت مسطحة وتتفـق فى هذه الناحية مع الأهرام التى تلت هرم دهشور .

وأغلب الظن أن هرم ميدوم هو نقطة الانتقال من طريقـة البنـاء القديمة الى طريقة البناء الحديثة ، لأن الطبقات الداخلية من أحجـار الكسوة وضعت فى مداميك مائلة .

فاذا سلمنا بأن الهرم المنحنى كان قد صمم فى الأصل كهرم كامل ، وأنه بنى قبل هرم ميدوم ، فان تفسير الشكل الهرمى يجب أن نبحث عنه فى مكان آخر بعيدا عن محيط التطور المعمارى . ولكن تنشـأ أمامنا مشكلة أخرى ، لأننا فى حاجة لمعرفة سبب الرجـوع الى طراز الهرم المدرج فى ميدوم (كما وضعوا تصميمه الأول) بعد أن أدخـل بناؤو الهرم المنحنى شكل الهرم الكامل ، وسنقدم فرضا محتملا لهذه المشكلة الثانية فى مكان آخر من هذا الفصل .

---

(١) W. B. Emery, «A Preliminary Report on Architecture of the Tomb of Nebetka» in Annales du Service des Antiquités, Vll, XXXVIII (1938), pp. 455-9.

وذكر ريزنر فى كتابه (Tomb Development, p. 112) ان الهرم فى زاوية العريان بنى فى الأسرة الثانية ، ولكن ما قدمه من ادلة ليس مقنعـا .

(٢) ربما لم يكن من الأمور العارضة ان رفيقه فى دهشور — وهو ثانى هرم كامل — قد بنى بنفس الزاوية التى بنى بها الجزء الأعلى من الهرم المقبى .

وقد جاء فى كتابات ج. هـ. برستد عن أهمية الهرم أن « الشكل الهرمى لمقبرة الملك كان له أعظم معنى مقدس ، فكأن الملك يدفن تحت رمز اله الشمس الذى كان فى قدس الأقداس فى معبد الشمس فى هليوبوليس ، وهو الرمز الذى اعتاد منذ اليوم الذى خلق فيه الآلهة أن يظهر نفسه على هيئة طائر الفونكس (العنقاء) . وعندما كان الهرم يرتفع كالجبل فوق ضريح الملك مشرفا على المدينة الملكية التى كانت تحته ، وعلى الوادى ، وكان الناس يرونه من مسافة أميال عديدة ، كان هو أعلى المبانى التى تحيى اله الشمس فى جميع أنحاء البلاد ، وكانت أشعة الشمس فى الصباح تتلألأ على قمته قبل أن تنتشر فى الوادى الذى تحته وفى مساكن الأشخاص الذين هم دونه فى الجاه والذين لم يكتب لهم الخلود » (١) .

فاذا كان الهرم — كما اعتقد برستد — صورة مكبرة لرمز الشمس المحفوظ فى معبد هليوبولس ، ترتب على ذلك أن هذا الرمز ربما كان حجرا على شكل هرمى . ولكن ما الذى كان يمثله هذا الحجر ؟ ليس أمامنا الا جواب واحد ، وهو أنه يمثل أشعة الشمس وهى تنزل على الأرض . فكثيراً ما نرى منظراً تنشرح له النفس بعد ظهر يوم كثير السحاب من أيام الشتاء فى منطقة الجيزة ، عندما نقف فى الطريق الموصل الى سقارة وننظر جهة الغرب نحو الهضبة التى تقوم فوقها الأهرام ، اذ تنفذ اشعة الشمس الى أسفل من خلال فرجة بين السحب فى زاوية تقارب الزاوية التى تميل بها اضلاع الهرم الأكبر . وان الأثر الذى يتركه مثل هذا المنظر فى النفس هو أن كلا من الأصل غير العادى والصورة المادية يقومان فى هذا المكان جنبا الى جنب (٢) .

ولكن هل من الضرورى أن نظن — كما ظن برستد — أن الهرم كان يقصد به مجرد صورة من الرمز الشمسى فى معبد هليوبوليس ؟ أليس من الممكن أيضا أن يكون له معنى آخر ؟ فكثيراً ما نقرأ فى متون الأهرام وصفا للملك وهو يصعد الى السماء على أشعة الشمس ،

(١) H. Breasted, The Development of Religion and Thoughts in Egypt.

(٢) ولاحظ ألكسندر موريه (Alexandre Moret) فى كتابه (Le Nil) ص ٢٠٢ الملاحظة الآتية : « ان هذه المثلثات العظيمة المكونة لجوانب الهرم تبدو مثل أشعة الشمس اذ تسقط من السماء عندما تحجب العاصفة قرصها فتنفذ من خلال السحب . كأنما تنزل سلما من الأشعة نحو الأرض » .

فمثلا نقرأ فى المتن رقم ٥٠٨ : « لقد وطئت أشعتك هذه كأنها منزلق تحت أقدامى عندما صعدت الى أمى ، الصل الحى على جبين رع » ، ونقرأ ثانيا فى المتن رقم ٥٢٣ : « لقد قوت السماء لك أشعة الشمس لكى تستطيع أن ترفع نفسك نحو السماء مثل عين رع » .

ومن هذا نرى أن فكرة اعتبار الهرم انه الوسيلة التى يستطيع الملك المتوفى ان يصعد بها الى السماء فكرة مغرية لا يمكن مقاومتها ، اذ ان هذا التفسير يجعل من بناء الهرم غرضا ماديا محضا ويتفق مع العناصر الأخرى فى المجموعات الجنازية للملك .

زد على ذلك أن الهرم لا يصبح فى هذه الحالة التمثيل المادى الوحيد لشىء لا يمكن الاحاطة به أو لمسه بين الأثاث الجنازى والمعدات الخاصة بالملك . فالمراكب الخشبية التى كانت توضع على مقربة من الهرم فى حفرات يكسون جدرانها من الداخل بأحجار جيرية من طرة ، لم تكن الا ممثلة للمراكب غير العادية التى يستخدمها الملك فى سفره عبر السماء فى صحبة اله الشمس .

ان الفكرة التى تقوم عليها كل حالة من الحالتين هى مبدأ حلول شىء مكان آخر ، اى نموذج منه ، سواء أكان تمثالا حجريا لشخص او منظراً منقوشا على الحجر ، فان ذلك فى اعتقادهم يملك كل المزايا التى للشىء الحقيقى الذى تمثله .

ولم يكن للحجم أى أهمية أساسية فى صلاحية الشىء البديل ، وربما كان ذلك هو السبب فى التدهور السريع فى حجم الهرم بعد أيام خوفو وخفرع .

ولنلق الآن نظرة جديدة على الكلمة المصرية التى تعنى الهرم فى ضوء هذه النظرية الجديدة ، فلعلنا نجد لها معنى لم نلحظه حتى الآن . لقد كان المصريون يطلقون على الأجزاء المختلفة من معابدهم وغيرها من الأماكن الدينية أسماء تدل على وظائفها ، فالمبنى الذى كان فى معبد هيلوبوليس والذى كانوا يضعون فيه الرمز الشمسى المسمى بالمصرية « بن — بن » كانوا يسمونه « بيت البن — بن » ، وكانوا يسمون المقبرة — كما ذكرنا — « حصن الأبدية » . وكذلك اطلقوا على بعض أجزاء من المجموعة الهرمية أسماء تدل عليها ، فالطريق الجنازى كان اسمه « طريق السحب » (را — ستا) ومعنى الكلمة أنه الطريق

الذى تسحب عليه الزحافات التى تحمل جسد الملك المتوفى وما معــه من أشياء خاصة به . وكذلك الباب الوهمى فى المقدس كانوا يسمونه « مدخل البيت » (را ــ بر) وسموا المركب المقدس « السفينة الالهية ».

ومن الممكن أن تكون كلمة مر (= هرم) من قبيل هذا النوع من الأسماء ، اذا أمكننا أن نثبت أن هذا مكون من مقطعين أولهما « م » التى تأتى فى اللغة المصرية بمعنى مكان اذا وضعت فى المقدمة ، والمقطع الثانى « عر » ومعناها يصعد أو يذهب الى أعلى ، فيصبح معنى « مر » مكان الصعود . وسقوط حرف العين بعد حرف الميم فى أول الكلمــة ليس بالشىء النادر فى اللغة المصرية فى تكوين الكلمــات . على أننا لا نقول ان هذا رأى تحت أيدينا البرهان على صحته ، وانما هو فى الواقع نتيجة لمناقشة سلبية . وعلى ذلك فاذا لم نحصل على دليــل ايجابى عن اشتقاق كلمة « مر » فكل ما يمكننا قوله أن تفسيرها بأنها « مكان الصعود » أمر لا يتعارض مع القواعد اللغوية ، وملاءمتها للفكرة يجعلها أدنى الى أن تكون مقبولة .

وهناك نقطة أخرى هامة توحيها الينا كتابه كلمة « عر » . فقد كان من عادة المصريين فى كتابتهم أن يضيفوا علامة المخصص الى آخر الكلمة . وهذه المخصصات ليست الا علامات بمعانى الكلمات يضعونها فى آخرها . وكانت الكلمات المصرية مكونة من حروف ساكنة ، لأنهم لم يكتبوا حــروف العــلة .

والمخصص الذى كتبوه بعد كلمة « عر » هو الذى فسر على أنه سلم مزدوج ، ولكن من الممكن أيضا اعتبار أنه يمثل هرمــا مدرجا ، فقد كان من عادة المصريين عند رسم شىء أن يصوروه سواء من الجانب أو من الأمام ويوضحوا منظره كله ، لأن رسم ثلاثة أربــاع الشىء أمر لم يعرفه المصريون .

وعلى ذلك فمخصص كلمة « مر » كان يكتب دائما وهو

المنظر الأمامى لهرم كامل يحيط به سور مستطيل .فاذا كانت تمثل هرما مدرجا فانها تكون المخصص الذى اختاروه لكلمة « عر » ، لأن الأهرام المدرجة كانت وثيقة الصلة بفكرة الصعود ، ونرى فى المتن ٢٧٦ من متون الأهرام بعض ما يفسر لنا هذا الموضوع : « لقد وضع لأجله (أى الملك) سلم للسماء ليصعــد به الى السماء » ، وتكررت الفكرة ذاتها فى متن ٦١٩ ، وعلى ذلك يمكن تقديم تفسير واحدا لكــل

من شكلى الأهرام ، أما اختلاف شكليهما فيرجع الى أن لكل منهمـــا أصلا نقل عنه .

ولم يكن المصريون هم وحدهم بين شعوب الشرق القديمة الذين يؤمنون بأنه يمكن الوصول الى السماء والى الآلهة بالصعود على بناء مرتفع ، اذ نرى هذا الاتجاه فى التفكير فى بلاد ما بين النهرين . ففى وسط أى مدينة فى أشور أو فى بابل كانت توجد منطقة مقدسة فيها المعبد وملحقاته وقصر الملك . وفى داخل حرم المعبد يقوم برج مرتفع مشيد بالطوب ، وهو المعروف باسم « الزقورة » . ويصف هيرودوت « زقورة بابل » — وهى التى يعتقد العلماء أنها أصل برج بابل المذكور فى التوراة — فيقول :

« وفى وسط الفناء قام برج متين البناء طوله ٢٢٠ ياردة (fuélong) وعرضـــه كذلك ، وبنوا فوقه برجا آخر ، وبنوا فوق الثانى برجـــا ثالثا ، وهكذا حتى وصلوا الى الثامن . وكانوا يصعدون الى الأبراج العليا بواسطة سلم من الخارج يدور حول الأبراج ، وفوق البرج العلوى معبد فسيح ، وفى داخل المعبد سرير كبير مغطى بمفارش جميلة والى جانبه منضدة من الذهب .

ولا يوجد فى هذا المكان تمثال من أى نوع ، كما أن هذه الحجرة لا يشغلها أحد أثناء الليل اللهم الا امرأة من الأهالى يؤكد الكلدانيون كهنة الاله أن الاله اختارها لنفسه من بين جميع نساء البلاد . ويقولون أيضا — ولكنى لا أصدقه — أن الاله يأتى بنفسه الى هذه الحجـــرة وينام فوق السرير » (١) .

وكانت للزقورات أسماء ، شأنها فى ذلك شأن الأهرام ، فزقورة سيبار مثلا كانت تسمى « بيت سلم السماء الساطعة » وهو اسم واضح الدلالة على أنهم كانوا يقصدون من هذا البناء أن يكون حلقة اتصـــال بين السماء والأرض . ولكن هذا التشابه بين البناءين لا ينطبق على موضوع الدفن ، لأن الزقورة لم تستخدم أبداً كقبر ، بينما كان كل هرم يقام لهذا الغرض .

ونظراً لقلة الأدلة المكتوبة فان أية محاولة لمعرفة الأصلين التاريخى والدينى للأهرام تكون مفعمة بالتخمينات ، ولا يمكن أن نتوقـــع منها الا نتائج غير حاسمة .

---

(١) Herodotus, I, 181-2.

ومع ذلك فان هذه المعضلة من المعضلات التى يجب أن نواجهها دائما عندما نحاول من دراستنا للمخلفات الأثرية أن نكون فى أذهاننا صورة عما كان يحدث فى الماضى البعيد .

ويشبه هذا العمل من وجوه كثيرة حل لغز من الالغاز التى تستخدم فيها القطع الخشبية الصغيرة المكملة لبعضها ، ففى مثل تلك اللعبة يمكن تجميع أجزاء مختلفة من المنظر يوافق بعضها البعض قبل أن نعثر على القطع التى تربط بعض هذه الأجزاء ببعض ، وكم من مرة يحدث عند العثور على قطعة من القطع أن يغير الشخص رأيه الذى كان قد بدأ يكونه عن الفكرة العامة للمنظر كله أو صلة الأجزاء المختلفة ببعضها .

وفى تفسيرنا لمعضلات الآثار فان الفكرة العامة للغز نحصل عليها من حوادث معينة نعرف تواريخها على وجه التقريب ، ولكن تظل بينها فجوات كبيرة نحاول ملأها فلا نجد ما نملؤها به الا حقائق ثابتة حينا ومجرد تخمينات فى حين آخر . وعندما تسفر الحفائر الأثرية أو الأبحاث العلمية عن معلومات جديدة تعطى تفسيرات جديدة لأشياء كانت معروفة على وجه آخر ، فاننا نبادر الى ملء بعض الفجوات ، ولكن كثيراً ما يحدث عندما نشرع فى ذلك أن نرى أن كثيراً من الأماكن قد ملئت خطأ فنضطر الى تصحيح الأوضاع من جديد .

فاذا طبقنا هذا التشبيه على المقابر الملكية المبكرة ، فان القطع الرئيسية الثلاث فى هذا اللغز هى المصطبة والهرم المدرج والهرم الكامل ، والمعضلة هى أن نحاول ملء الفجوات التى تفصل هذه القطع الثلاث .

فبين المصطبة والنوعين الآخرين من الأهرام فجوة واسعة ، فأولاها تمثل القصر الملكى ، وفى هذا دلالة على أن الحياة بعد الموت لا يمكن أن تكون فى أى مكان آخر غير المقبرة ، أما الأخيران فيدلان على توقع الوصول الى المناطق السماوية .

ولسنا نعرف على وجه التأكيد التاريخ الذى حدث فيه تغيير شكل القبر ، ولكن هذا التاريخ يجب أن يكون محصورا بين منتصف الأسرة الأولى وبداية الأسرة الثالثة . فاذا سلمنا بأن كلا من « عحا » و « جر » دفن فى المقبرة المنسوبة اليه فى سقارة ، فلا بد أن كلا

منهما دفن فى مصطبة .. ولكن زوسر بنى هرما مدرجا ، فهل كان هذا التغيير فى طراز القبر راجعا الى تغيير فى العقيدة ؟

فاذا كان الأمر كذلك فان المصريين يكونون قد بدأوا يمزجــون بين العقيدتين فى عهد زوسر ، لأنه — علاوة على هرمه — نراه قد بنى لنفسه « المصطبة الجنوبية » لتكون على ما يظهر قبرا رمزيا له .

ولسنا نعرف ان كان قد صاحب هذا المزج فى العقائد نزاع دينى مرير أو أنه تطور تطوراً سلميا . ولكن منذ الوقت الذى تم فيه هــذا المزج عاشت العقيدتان جنبا الى جنب فى صفاء ، وأراد الملــوك أن يقسموا حياتهم الأخرى بين القبر وبين المناطق السماوية .

ومما يدعو الى الأسف أن الهرم ذا الطبقات والهرم النــاقص — وكلاهما فى زاوية العريان — قد عدا عليهما الزمن ، ثم هما فى الوقت ذاته لم يتم العمل فيهما ، وعلى ذلك فلا يمكن أن نعــرف منهما أكثر من أن بعض ملوك الأسرتين الثانية والثالثة — غير الملك زوسر — بنوا أهراما مدرجة . ولا يوجد على الاطلاق ما يثبت أنهم بنوا — أو عزموا على بناء — مصطبات اضافية .

والى أن نعرف صاحب الهرم المنحنى لا يمكننا البحث فى أمره ، ولكن لا يوجد فى معالمه المعمارية ما يدل على أن تاريخه بعد تاريخ هرم ميدوم . لقد بنى سنفرو هرمين أحــدهما فى ميــدوم والآخــر فى دهشور ، وتم بناء أولهما كهرم مدرج قبل أن يحولوه الى هــرم كامل ، وعلى ذلك يتضح لنا أن غرض سنفرو الأصلى هو أن يكون له هرم من كلا النوعين ، وبذلك يكون له مدفن من الطراز القــديم وآخر من الطراز الحديث (١) .

وهنا تظهر المشكلة مرة ثانية ، ونتساءل عما اذا كان تغيير شكل الهرم من مدرج الى كامل قد تم دون حدوث احتكاك ، لأن الحوادث التى حدثت بعد ذلك تشير الى أن هذا الانتقال لم يكن سهلا .

وتقع ميدوم على بعد ٢٨ ميلا من دهشور ، ولا بد أنه كان هناك سبب لوضع احدى المقبرتين بعيدة عن الأخرى بهذه المسافة . فهل

(١) لم يعد لهذه التخمينات محل بعد ان ثبت ان هرمى سنفرو هما هرما دهشــور ، القبلى (المنحنى) والبحرى — (المعرب) .

كان سنفرو يخشى من حدوث احتكاك بين كهنة هرمه المدرج (فى ميدوم) وكهنة هرمه الكامل ؟

ان تغيير هرم ميدوم لكى يصبح فى النهاية هرما كاملا ربما أوجبه تأكد الملك من أنه لا يمكن التوفيق بين الكهنة من الفريقين، ومعرفته بالأخطار التى تصيبه فى الحياة الأخرى نتيجة لتنافسهما وحرص كل منهما على أن يكون الحارس لجسده . فلما أتم سنفرو تحويل هرم ميدوم الى هرم كامل بدلا من هرمه ، أصبح مالكا لقبر رمزى ينفعه فى حالة حدوث أى ضرر لقبره فى دهشور ، وبذلك أعطانا البرهان القاطع على تدهور شأن عقيدة الهرم المدرج .

وبعد أن انتصرت العقيدة الجديدة واستتب لها الأمر ، بنى خوفو أعظم الأهرام الكاملة حجما وأكملها من الناحية المعمارية والذى يعد بحق من عجائب الدنيا النادرة وليس من بين عجائب الدنيا السبع وحسب . وهرم خفرع الذى يقوم الى جانبه لا يقل عنه الا قليلا . ومن هذا نرى أن مؤازرة الملوك للعقيدة الجديدة تدرجت من الأب الى الابن دون حدوث شىء .

ولكننا نعرف أن « ددف رع » — وهو ابن لخوفو من زوجة فى المرتبة الثانية — جلس على العرش بين خوفو وخفرع . وهناك ملاحظتان بشأن قبر هذا الملك ، الأولى أنه لم يبن هرمه فى الجيزة حيث يوجد مكان متسع لهذا القبر بل بناه فى أبى رواش على مسافة خمسة أميال ، والثانية أن بناءه السفلى كان يختلف عن أى هرم بنى بعد الهرم الناقص فى زاوية العريان وهرم زوسر المدرج . فهل أراد ددف رع فى البداية أن يبنى هرما مدرجا ليكافىء كهنة هذه العقيدة الذين ساعدوه فى تولى الملك ؟ لا جواب على هذا السؤال ، لأنه لا يكاد يوجد حجر واحد باق فى مكانه فى المبنى العلوى ، كما أنه من الممكن أن يكون تصميم البناء السفلى قد أملته طبيعة الصخر فى أبى رواش .

وبعد ددف رع لا يوجد الا ملك واحد فى الدولة القديمة أعرض عن الهرم الكامل ، وهو شبسسكاف . وأسهل تفسير لهذا النكوص هو أن الذى أملى عليه ذلك هو رغبته فى الخروج على النفوذ الطاغى المتزايد لكهنة اله الشمس فى هليوبولس ، واعتقاده بأن المصطبة يمكن أن تؤدى جميع مطالب الحياة الأخرى غير السماوية .

تبعته زوجته خنت كاوس فبنت قبرهـا أيضا على شكـل مصطبة على مقربة من مبنى الوادى التابع لأبيها منكاورع ، ولـكن قبل أن توارى التراب أخـذ نجـم عقيدة كهنة الشمس فى الارتفاع ، وأصبح لها النصر الكامل عندما تأسست الأسرة الخامسة .

وربما جعلت سنوات النزاع أولئك الكهنة يتخـذون موقفـا أكثر مسالمة ومحبة للتوفيق ، لأن متون الأهرام تبين لنا أنه لم تأت نهاية الأسرة الخامسة حتى نرى أن جميع المذاهب التى كانت معروفة من قبل عن الحياة الأخرى قد جمعت معا دون نظر الى ما فيها من متناقضات .

ولم يحدث تغيير جوهرى فى بناء الهرم فى الأسرة السادسة . ومن هذا الوقت استمر المصريون فى تشيد الأهرام ، على أنه من المشكوك فيه أن يكونوا قد جعلوا لها أى معنى خاص أكثر من أنها الطـراز المعتاد للقبر الملـكى .

حاشية : فى الوقت الذى كان فيه هذا الكتاب تحت الطبع ، ظهر فى الصحف (١) تقرير بأن عبد السلام حسين القائم بعمل حفـائر فى دهشور لحساب مصلحة الآثار المصرية ، قد عثر فى الهرم المنحنى على بعض أحجار عليها اسم سنفرو . ويجب أن ننتظر تقريراً كاملا عن هذا الاكتشاف ينشره المكتشف نفسه لنعرف أهميته ، وعـلى أى حال فقد جاء الدليل الآن على أن هذا الهرم يخص سنفرو وليس حـونى (Huni) سلفه ، فاذا كان هرم ميدوم هو هـرم سنفرو الثانى — كما يبدو على الأرجح — فان الهرم الحجرى الشمالى فى دهشور يجب أن يكون لملك آخر نتوقع أن تكشف عـن حقيقته الحـفائر فى المستقبـل (١) .

---

(١) قد ثبت أن هرم دهشور البحرى هو هرم سنفرو الثانى — (المعرب) .
(٢) Illustrated London News, 22nd March and 5th April 1947.

أهم أهرام الدولتين القديمة والوسطى

اسم الملك	الأسرة	المنطقة	أبعاد القاعدة بالتقريب	اسم الهرم
زوسر (الهرم المدرج)	الثالثة سنة ٢٨١٥ق٠م	سقارة	٤١١ قدما شرق ٠ غرب ٣٥٨ قدمـا شمال ٠ جنوب	—
خع ٠ باو (؟) (هرم الطبقات)	الثالثة (؟)	زاوية العريان	٢٧٦قدمامربعا	—
نب ٠ كا (؟) (الهرم الناقص)	الثالثة (؟)	زاوية العريان	—	—
حونى (؟) (١) (الهرم المقبى)	الرابعة	دهشور	٦٢٠ قدما »	—
سنفرو (١)	الرابعة ٢٦٩٠ ق٠م	ميدوم	٤٧٣ قدما »	الهرم الجنـوبى « سنفرو يلمع »
سنفرو	الرابعة	دهشور	٧١٩ قدما »	الهرم « سنفرو يلمع »
خوفو (الهرم الأكبر)	الرابعة	الجيزة	٧٥٦ قدما »	الهرم « خوفو هو المنتسب للأفق »
ددف رع	الرابعة	ابو رواش	٣٢٠ قدما »	— —
خفرع	الرابعة	الجيزة	٧٠٨ قدما »	الهـرم « عظيم هو خفرع »
منكاورع	الرابعة	الجيزة	٣٥٦ قدما »	الهرم «منكاورع الهى»
اوسر كاف	الخامسة ٢٥٦٠ق٠م	سقارة	٢٣١ قدما مربعا	الهرم « طاهرة هى اماكن اوسر كاف»
ساحورع	الخامسـة	ابو صير	٢٥٧ قدما »	الهــرم « روح ساحورع تلمـع »
نفر اير كارع	الخامسـة	ابو صير	٣٦٠ قدما »	الهرم «أصبح نفر اير كارع روحا»
نفر اف رع	الخامسـة	ابو صير (؟)	—	الهرم « روح نفر اف رع الهية »
نى اوسر رع	الخامسـة	ابو صير	٢٧٤ قدما »	الهرم « اماكن نى اوســـر رع خالدة »
أسيسى	الخامسـة	سقارة	٢٧٠ قدما »	الهرم « اسيسى جميل »
اوناس	الخامسـة	سقارة	٢٢٠ قدما »	الهرم « جميلة هى اماكن أو ناس

(١) أصبح من المؤكد الآن أن هرم ميـدوم ينتمى للملك حونى آخـر ملوك الأسرة الثالثة ٠

اسم الملك	الأسرة	المنطقة	أبعاد القاعدة بالتقريب	اسم الهرم
تيتى	السادسة ٢٤٢٠ ق.م	سقارة	٢١٠ قدما »	الهرم « باقية هي أماكن تيتى »
بيبى الأول	السادسة	سقارة	٢٥٠ قدما »	الهرم « بيبى ثابت وجميل »
مر نرع	السادسة	سقارة	٢٦٣ قدما »	الهرم « مرنرع يلمع وجميل »
بيبى الثاني	السادسة	سقارة	٢٤٥ قدما »	الهرم « بيبى يلمع وحى »
ابى	السابعة ٢٢٩٤ق.م	سقارة	١٠٢ قدما »	—
نب حبت رع سنخكارع منتوحتب	الحادية عشرة ٢١٣٢ ق.م	الدير البحرى	٧٠ قدما مربعا	الهرم « فخمة هي أماكن نب حبت رع »
	الحادية عشرة	طيبة الغربية	غير تام	—
امنمحات الأول	الثانية عشرة ١٩٠٠ ق.م	اللشت	٢٩٦ قدما »	الهرم « امنمحات عال وجميل »
سنوسرت الأول	الثانية عشرة	اللشت	٣٥٢ قدما »	الهرم « ذو الصلة بأماكن سنوسرت »
امنمحات الثاني	الثانية عشرة	دهشور	٢٦٣ قدما »	—
سنوسرت الثاني	الثانية عشرة	اللاهون	٣٤٧ قدما »	الهرم «سنوسرت قوى »
سنوسرت الثالث	الثانية عشرة	دهشور	٣٥٠ قدما »	الهرم «سنوسرت في راحة »
امنمحات الثالث (؟)	الثانية عشرة	دهشور	٣٤٢ قدما »	—
امنمحات الثالث	الثانية عشرة	هوارة هوارة	٣٣٤ قدما »	الهرم « أصبح امنمحات روحا»
الملكة سبك نفرو	الثانية عشرة	مزغونة		—
امنمحات الرابع(؟)	الثانية عشرة	مزغونة	—	—
خنجر	الثانية عشرة ١٧٧٧ ق.م	سقارة	—	—

ببليوجرافيـــا

Introduction

J. H. Breasted, The Development of Religion and Thought in Ancient Egypt. New York, 1912.

E. DRIOTON end J. VANDIER, Les peuples de l'Orient Méditerranéen (L'Egypte). Paris, 1938.

W. B. Emery, The Tomb of Hemaka. Cairo, 1938.

A. Erman, A Handbook of Egyptian Religion (English Translation by A. S. Griffith). London, 1907.

A. ERMAN, Die Religion der Agypter. Berlin, 1934.

A. H. GARDINER, The Attitude of the Ancient Egyptians to Death and the Dead. Cambridge, 1935.

A. H. GARDINER, The Contendings of Horus and Seth (The Chester Beatty Papyri, No 1). Oxford 1931.

H. KEES, Totenglauben und Jenseits Vorstellungen der alten Agypter. Leipzig, 1926.

M. MEUNIER, Plutarque, Isis et Osiris, Paris, 1924.

K. SETHE. Übersetzung und Kimmentar zu den altägyptischen Pyramidentexten, Glückstadt.

K. SETHE, Urgeschichte und älteste Religion der Agypter Leipzig, 1930.

J. W. S. SEWELL, The Calendars and Chronology, in S.R.K. Glanville. The Legacy of Egypt. Oxford, 1942:

G. STEINDOFF, and K. BAEDEKER, Guide to Egypt and the Sudan (8th edition). Leipzig, 1929.

J. VANDIER, La religion égyptienne, Paris, 1924.

CHAPTER 1

N. de G. DAVIES, The Mastaba of Ptahhetep and Akhethetep. London, 1900-01.

P. DUELL, The Mastaba of Mereruka, Chicago, 1938.

W. B. EMERY, The Tomb of Hor-Aha. Cairo, 1939.

H. JUNKER, Giza, Grabungen auf dem Freidhof des Alten Reiches bei den Pyramid en von Giza, Vols. I — V. Vienne, 1929-41.

J. E. QUIBELL, The Tomb of Hesy. Cairo, 1913.
G. A. REISNER, The Development of the Egyptian Tomb down to the Accession of Cheops. Cambridge, Massachusetts, 1935.
G. STEINDORFF, Das Grab des Ti, Leipzig, 1913.

CHAPTER II.

E. DRIOTION and J.-P. LAUER, Sakkarah, The Monuments of Zoser. Cairo, 1939.
C. M. FIRTH, J. E. QUIBELL and J.-P. LAUER, The Step Pyramid. Cairo, 1935.
A. HERMANN, Fuhrer durch die Altertumer von Memphis und Sakkara. Berlin, 1938.
J. B. HURRY, Imhotep. Oxford, 1926.
J.-P. LAUER, La pyramide à degrés, Cairo, 1936-39.
G. A. WAINWRIGHT, The Sky Religion in Egypt. Cambridge, 1938.

CHAPTER III.

A. BARSANTI, Fouilles de Zaouiet el-Aryân (1984-06), in Annales du Service des Atinquités, Vol. VII, pp. 201-10. Cairo 1907.
A BRASANTI, Ouverture de la pyramide de Zaouiet el-Aryan, in Annales du Service des Antiquités, Vol. II, pp. 92-4. Ceiro, 1901.
7. BORCHARDT. Die Entstehung der Pyramide an der Baugeschichte der Pyramide bei Medum nachgewiesen. Berlin, 1928.
I. BORCHARDT, Ein Konigserlass aus Dahschur, in Zeitschchrift fur agyptische Sprache, Vol. XLII, pp. 1-11. Leipzig, 1905.
F. L.I. GRIFFITH. The Inscriptions of the Pyramid of Medum, in W. M. F. Petrie, Medum. London, 1892.
G. JÉQUIER, Douze ans de fouilles dans la nécropole memphite. Neuchâtel, 1940.
G. JÉQUIER Rapport préliminaire sur les fouilles executées en 1924-5 dans la partie méridianate de le pécropole.

memphite, in Annales du Services des Aniquités, Vol. XXV, pp. 71-5. Cairo, 1925.
G. MASPERO, and A. BARSANTI, Fouilles de Zaoutiét el-Aryan (1904-05), in Annales du Service des Antiquités, Vol. VII, pp. 257-86, Cairo, 1906.
CH. MAYSTRE, Les dates des pyramides des Snefrou, in Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale du Caire, Vol. XXXV, pp. 89-98, Cairo. 1935.
W. M. F. PETRIE, A Season in Egypt, 1887. London, 1888.
W. M. F. PETRIE, The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883.
W. M. F. PETRIE, E. MACKAY and G. A. WAINWRIGHT, Meydum and Memphis (III) .London, 1910.
G. A. REISNER, op. cit.
G. A. REISNER, and C. S. FISHER, The Work of the Harvard University Museum, in the Bulletin of the Museum of Fine Arts, No 54, Boston, 1911.
A. Rowe, Excavations of the Eckley B. Coxe, Jé., Expedition at Meydum, Egypt, 1929-30, in the Museum Journal, Pennsylvania, March 1931.
H. VYSE and J.D. PERRING, Operations carried on at the Pyramid of Gizeh. Lendno, 1940-42.

CHAPTER IV.

J. BAIKIE, The Sphinx in J. H. Hastings, Encyclopedia of Religion and Ethics, Vol. XI, pp. 767-8 Edinburgh, 192.0
T. J. C. BALY, Notes on the Ritual of Opening the Mouth, the Journal of Egyptian Archeeology, Vol. 16, pp. 173-86, London, 1930.
E. V. BERGMANN, Die Sphinx, in Zeitshrift fur agyptische Sprache, Vol. XVIII, pp. 50-1. Leipzig, 1880.
A. M. BLACKMAN, Some Notes on the Ancient Egyptian Practice of Washing the Dead, in the Journal of Egyptian Archaeology Vol. V. pp. 11724. London 1918.
A. M. BLACKMAN, The Rite of Opening the Mouth in Ancient Egypt and Babylonia, in the Journal of Egyptian 8rchaeology, Vol. X. pp. 47-59, London, 1924.

L. BORCHARDT, Eingies zur dritten Periode der grossen Pyramide in Gise. Berlin, 1932.

L. BORCHARDT, Gegen die Zahlenmystik an der grossen Pyramide bei Gise. Berlin 1922.

L. BORCHARDT, Längen und Richtungen der vier Grundkanten der grossen Pyramide bei Gise. Berlin, 1926.

L. BORCHARDT and K. SETHE, Zur Geschichte der Pyramiden, in Zeitschrift für agyptische Sprache, Vol. 30, pp. 83-106, Leipzig, 1892.

J. CAPART and MARCHELLE WERBROUCK, Memphis à l'ombre des Pyramides. Brussels, 1930.

S. CLARKE and R. ENGELBACH, Ancient Egyptian Masonry. Oxford, 1930.

J. H. Cole, The Determination of the Exact Size and Orientation of the Great Pyramid of Giza (Survey of Egypt, Paper No, 39) Cairo, 1925.

D. E. DERRY, Mummification, in Annales du Service des Antiquités, Vol. LII, pp. 235-65. Cairo, 1942.

E. DRITON, Review of B. GRADSLOFF, Des Reinigungszelt, in Annals du Service des Antiquités Vol. XL. pp. 1007-14, Cairo, 1940.

B. GRDSELOFF, Das ägyptische Reinigungszelt, Cairo, 1941.

U. HOLSCHER, Das Grabdenkmal des Konigs Chephren. Leipzig, 1912.

G. JEQUIER, Manuel d'erchéologie égyptienne Paris, 1924.

G. JÉQUIER, Le Mastabat Feraoun. Cairo ; 1928.

H. JUNKER, op. cit.

H. JUNKER, Von der ägyptische sprache, Vol. 63. 63 pp. 1-14. Leipzig, 1928.

W. M. F. PETRIE ,The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883.

G. RAWLINSON, History of Herodotus (Everyman's Library, edited by E. H. Blakeney). London 1912.

G. A. REISNER, op. cit.

G. A. REISNER, Hetep-Heres, Mother of Cheops, in the Bulletin of the Museum of Fine Arts, Vols XXV (Special Supplement) XXVI and XXX. Boston, 1927-32.

G. A. REISNER, A History of the Giza Necropolis, Vol. I, Cambridge Massachusetts, 1942.

G. A. REISNER, Mycerinus, The Temples of the Third Pyramid at Giza, Cambridge, Messachusetts, 1931.

SELIM BEY HASSAN, Excavations at Giza. Oxford and Cairo, 1932, 1943.

E. BALDWIN SMITH, Egyptian Architecture as a Cultural Expression, New York, 1938.

W. STEVENSON SMITH, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom Oxford, 1946.

W. STEVENSON SMITH, Old Kingdom Sculpture, in the American Journal of Archaeology, Vol. XLV, pp. 514-28. Concord, New Hempshire, 1941.

H. VYSE and J. E. PERRING, op. cit.

W. G. WADDEL, An account of Egypt by Diodorus Siculus, in the Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, Vol. I Parts I and 2 Cairo, 1933.

CHAPTER V.

L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des Konigs Nefer-ir-ke-Re. Reipzig. 1909.

L. BORCHARDT, Das Grabdenkmal des ûonigs Ne-user-Re. Leipzig, 1907.

L. BORCHARDT, Das garabdenkmal des Konigs Sahr-Re. Leirzig 1910-13.

L. BORCHARDT, Die Pyramiden, ihre Entstehung und Entwicklung. Berlin, 1911.

F. W. VON BISSING, Das Re-Heiligtum des Konigs Ne-Woser-Re-Berlin ; 1905.

E. DRITON, Une representation de la famine sur un bas-relief égyptien de la Ve Dynastie, in Bulletin de l'Institut d'Egypte, Vol. XXV. pp. 45-54. Cairo, 1942-43.

A. ERMAN, The Literature of the Egyptians (translated by A. M. Blakman) London, 1927.

C. M. FIRTH, Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara (1928-29) in Annales du Service des Antiquités, Vol. XXIX, pp. 64-70. Cairo, 1929.

C. M. FIRTH end B. GUNN, The Teti Pyramid Cemeteries. Cairo, 1926.

C. M. FIRTH, Excavations of the Department of Antiquities at Sakkara (1928-20) in Annales du Service des Antiquités, Vol. XXIX, pp. 64-70, Cairo, 1929.

C. M. FIRTH and B. GUNN, The Teti Pyramid Cemeteries. Cairo, 1926.

B. GRDSELOFF, Deux inscriptions juridiques de l'Ancien Empire, in Annales du Service des Antiquités, Vol. XLII, pp. 25-70, Cairo, 1942.

G. JÉQUIER, La pyramide d'Aba. Ceiro, 1935.

G. JÉQUIER, La Pyramide d'Oudjebten, Cairo, 1928.

JEQUIER Le monument Funeraire de Pepi il Cairo, 1936-41.

G. JÉQUIER, Les pyramides des reines Neit et Apuit. Cairo 1933.

P. LACAU, Suppressions des noms divins dans les textes de la chambre funéraire, in Annales du Services des Antiquités, Vol. XXVI, pro 69-81. Cairo, 1926.

P. LACAU, Suppression et modifications de signes dans les textes funéreires, in Zeitschrift für ägyptische Sprache, Vol. 51, pp. 1-64, Leipzig, 1914.

E. MEYER, Geschichte des Altertums. Berlin, 1921.

SELIM BEY HASSAN, Excavations at Sakkara (1937-38), in Annales du Service des Antiquités, Vol. XXXVIII, pp. 519-20, Cairo, 1938.

K. SETHE, Die altägyptischen Pyramidentexte. Leipzig, 1908-22.

K. SETHE, Übersetzung und Kommentar zu den altägyptischen Pyramidentexten. Gluckstadt.

CHAPTER VI

E. R. AYRTON, C. T. CURRELLY and A. E. P. WEIGALL, Abydos III(London, 1904.

G. BRUNTON, Lahun I, The Treasure, London, 1920.

B. BRUYERE, Fouilles de l'Institut françeis du Caire, Vol. VIII Cairo, 1933,

H. CARTER, Report on the Tomb of Menthuhotep I in the Annales du Service des Antiquités Vol. II, pp. 201-5 Cairo, 1901.

NINA M. DAVIES, Some Representations of Tombs from the Theban Necropolis ; in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 24, pp. 25-40. London 1938.

W. F. EDGERTON, Chronology of the Twelfth Dynasty, in in the Journal of Near Fastern Studies, Vol. I, pp. 307-14. Chicago, 1942.

A. H. GARDINER and H. I. BELL, The Name of Lake Moeris, in the Journal of Egyptian Archeeology, Vol. 29, pp. 37-50. London, 1943.

J. E. GAUTIER, and G. JÉQUIER, Fouilles de Licht, Cairo, 1902.

B. GUNN, The Name of the Pyramid-Town of Sesostris II, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 31, pp. 106-7 London, 1945.

B. GUNN and A. H. GARDINER, The Expulsion of the Hyksos, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. V. pp. 36-56 London, 1918.

H. R. HALL, The Ancient History of the Near East. London, 1913. W. C. HAYES, The Entrance Chapel of the Pyramid of Ser-Wosret I, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York 1934, Section 2, pp. 9-26.

A. LANSING, The Museum's Excevations at Lisht, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York, Vol. V (1920), pp. 3-11, Vol. XXI (1926) Section 2, pp. 33-40, Vol. XXIX (1934) Section 2, pp. 4-9.

A. M. LYTHGOE, The Treasure of Lahun, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, November 1921, Part 2, pp. 5-19; December 1922, Part 2, pp. 4-18.

J. DE MORGAN, Fouilles à Dahchour, Vienna, 1895-1903.

E. NAVILLE and H. R. HALL, The XIth Dynasty Temple of Deir el-Bahari. London, 1907-13.

P.E. NSWBERY, The Co-regencies of Ammenemes III, IV and Sebeknofru, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 29 pp. 74-5. London, 1943.

W. M. F. PETRIE, Hawara, Biehmu and Arsinoe, London, 1889.

W. M. F. PETRIE. Illahun, Kahun and Gurob, London 1890.

W. M. F. PETRIE, Kahun, Gurob and Hawara, London, 1890.

W. M. F. PETRIE, G. Brunton and M. A. Murray, Lahun II. London, 1923.

W. M. F. PETRIE, G. A. WAINWRIGHT and E. MACKAY, The Labyrinth Gerzeh and Mezghuneh, London, 1912.

D. RANDALL-MACLVER and A. C. MACE, El-Amreh and Abydos, London, 1902.

M. RAFHAEL, Nouvea Unom d'une Pyramide d'un Amenemhet, in Annales du Service des Antiquités, Vol. XXXVII, pp. 79-80 Cairo, 1937.

G. A. REISNER, Excavations at Napata, the Capital of Ethiopia in the Bulletin of the Museum of Fine Arts, Vol. XV. No 89. pp. 25-34, Boston, 1917.

G. A. REISNER, Known and Unknown Kings of Ethiopia, in the Bullettin of the Museum of Fine Arts, Vol. VI, No. 97. pp. 67-81. Boston ; 1918.

G. A. REISNER, The Royal Family of Ethiopia, in the Bulletin of the Museum of Fine Arts, Vol. XXI, No. 124 pp. 12-27. Boton, 1923.

J. VANDIER, Le tombe de Nefer-Abou, Cairo, 1935.

H. E. WINLOCK, the Eleventh Egyptian Dynasty, in the Journol of Near Eastern Studies, Vol. 2, No 4, pp. 249-83. Chicago, 1943.

H. E. WINLOCK, Excavations at Deir el-Bahri, 1911-1931, New York, 1942.

H. E. WINLOCK, Neb-hepet-Re Mentu-Hotep of the Eleventh Dynasty in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. 26 pp. 116-19, London, 1940.

WINLOCK, The Theban Necropolis in the Middle Kingdom, in the American Journal of Semitic Languages, Vol.XXXII, pp. 1-37, Chicego, 1915.

H. E. WINLOCK, The tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes, in the Journal of Egyptian Archaeology, Vol. X pp. 217-77. London, 1924.

H. E. WINLOCK, The Treasure of El-Lahun, New York, 1934.

CHAPTER VII.

A. BORCHARD, Die Entstehung der Pyramide an der Baugeschichte der Pyramide bei Mejdum nachgewiesen. Berlin 1928.

J. H. BREASTED, op. cit.,

S. CLARKE and R. ENGEBACH, op. cit.

J. H. COLE, op. cit.,

W. B. EMERY, A Preliminary Report on the First Dynasty Copper Treasure from North Saqqara, in Annales du Service des Antiquités, Vol. XXXIX, pp. 427-47. Cairo. 1939.

B. CUNN, Reviwe of T.E. Peet, The Phind Mathematical Papyrus, in the Journal of Egyptian Archaeology., Vol. II pp. 123-37 London, 1926.

A. LUCAS, Ancient Egyptian Materials and Industries (2nd Edition) London, 1934.

A. C. MACE. Excavations et the North Pyramids of Lisht, in the Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, Vol. IX p. 220 New York, 1914.

G. MASPERO, Note sur le pyramidion d'Amenhait III, pp. 206-8 Cairo, 1902.

W. M. F. PETRIE, The Building of a Pyramid, in Ancient Egypt, 1930, II pp. 33-9 London.

W. M. F. Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883.

G. RAWLINSON, op. cit.

L. ROWE, op. cit.,

K. SETHE, Ubersetzung und Kommentar zu den altagyptischen Pyramindentexten Gluckstedt.

S. Smith, A Babylonian Fertility Cult, in the Journal of the Royal Asiatic Society, October 1928, pp. 849-75.

W. G. WADDELL, Herodotus, Book II London, 1939.

N. F. WHEELER, Pyramids and their Purpose, in Antiquity, Vol. IX, 172-85 Glouceter, 1935.

اقرأ في هذه السلسلة

جابرييل باير
تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة

انطوني دي كرسبني وكينيث هينوج
اعلام الفلسفة السياسية المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زالفيلسكي ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من البليون جزء من الثانية وحتى مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوي
اجهزة تكييف الهواء

بيتر رداي
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي

جوزيف داهموس
سبعة مؤرخين في العصور الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر الاسلامية

رونالد د. سميسون ونورمان د. اندرسون
العلم والطلاب والمدارس

د. أنور عبد الملك
الشارع المصري والفكر

والت وتيمان روستو
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد . س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية من الامثال الشعبية في عهد محمد علي

الان كاسبيار
التذوق السينمائي

سامي عبد المعطي
التخطيط السياحي في مصر بين النظرية والتطبيق

فريد هويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلمي المهندس
دراما الشاشة (بين النظرية والتطبيق) للسينما والتليفزيون ٢ جـ

روى روبرتسون
الهيروين والايدز واثرهما في المجتمع

دور كاس ماكلينتوك
صور افريقية . نظرة على حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
نجيب محفوظ على الشاشة

د. محمود سري طه
الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لوري
المخدرات حقائق نفسية

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
وظائف الاعضاء في الالف الياء

وليام بينز
الهندسة الوراثية للجميع

ديفيد الدرتون
تربية اسماك الزينة

أحمد محمد الشنواني
كتب غيرت الفكر الانساني

جون . ر. بورر وميلتون جولدينج
الفلسفة وقضايا العصر ٣ جـ

ارنولد توينبي
الفكر التاريخي عند الاغريق

د. صالح رضا
ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر

م. هـ كنج وآخرون
التغذية في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد أبو سديرة
الحرف والصناعات في مصر الاسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون ٣ جـ

اريك موريس والان هو
الارهاب

سيرل الدريد
اخناتون

ارثر كيستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم

ب. كوملان
الاساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسي – تحليل المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة ،
المجلس الأعلى للثقافة
الدليل الببليوجرافي روائع الآداب العالمية جـ ١

روى آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجاي متشيو
الثورة الاصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكائيل البي وجيمس لفلوك
الانقراض الكبير

آدامز فيليب
دليل تنظيم المتاحف

فيكتور مورجان
تاريخ النقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الاوركسترالي

ابو القاسم الفردوسي
الشاهنامة ٢ جـ

بيرتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ جـ

جاك كرابس جونيور
كتابة التاريخ في مصر القرن التاسع عشر

محمد فؤاد كوبريلي
قيام الدولة العثمانية

توني بار
التمثيل للسينما والتليفزيون

تاجور ، شين ين بنج وآخرون
مختارات من الآداب الاسيوية

ناصر خسرو علوي
سفرنامة

نادين جورديمر وجريس اوجوت وآخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشنواني
كتب غيرت الفكر الانساني ٧ جـ

جان لويس بوري وآخرون
في النقد السينمائي الفرنسي

العثمانيون في اوربا
بول كولز

موريس بير برابو
صناع الخلود

زيجمونت هبز
جماليات فن الاخراج

جوناثان ريلي سميث
الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية

الفريد ج. بتلر
الكنائس القبطية القديمة في مصر ٢ ج

ريتشارد شاخت
رواد الفلسفة الحديثة

ترانيم زرادشت
من كتاب الافستا المقدس

الحاج يونس المصري
رحلات فارتيما

هربرت شيللر
الاتصال والهيمنة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفرد

بيتر نيكولز
السينما الخيالية

ادوارد ميري
النقد السينمائي الأمريكي

نفتالي لويس
مصر الرومانية

ستيفن أوزمنت
التاريخ من شتى جوانبه ٣ج

موني براح وآخرون
السينما العربية من الخليج الى المحيط

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر ٢ ج

جابر محمد الجزار
ماستريخت

د. أبرار كريم الله
من هم التتار

ج. س. فريزر
الكاتب الحديث وعالمه
٢ ج

سوريال عبد الملك
حديث النهر
من روائع الآداب الهندية

لوريتو تود
مدخل الى علم اللغة

اسحق عظيموف
الشموس المتفجرة
أسرار السوبر نوفا

مارجريت روز
ما بعد الحداثة

د. بيارد دودج
الأزهر في ألف عام

ستيفن رانسيمان
الحملات الصليبية

هـ. ج. ولز
معالم تاريخ الانسانية
٤ ج

جوستاف جرونيباوم
حضارة الاسلام

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرتون الى مصر والحجاز
٣ ج

جلال عبد الفتاح
الكون ذلك المجهول

ارنولد جزل وآخرون
الطفل من الخامسة الى العاشرة
٢ ج

بادي اونيمود
أفريقيا – الطريق الآخر

د. محمد زينهم
فن الزجاج

برونسلاو مالينوفسكي
السحر والعلم والدين

آدم متز
الحضارة الاسلامية

فانس بكارد
انهم يصنعون البشر

د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة فاسكو دا جاما

ليفري شاتومان
كوننا المتمدد

سونداري
الفلسفة الجوهرية

مارتن فان كريفلد
حرب المستقبل

فرانسيس ج. برجين
الاعلام التطبيقي

عبده مباشر
البحرية المصرية من محمد على للسادات

ج. كارفيل
تبسيط المفاهيم الهندسية

توماس ليبهارت
فن المايم والبانتوميم

ادوارد دوبونو
التفكير المتجدد

ويليام هـ. ماثيوز
ما هي الجيولوجيا

كريستيان ساليه
السيناريو في السينما الفرنسية

بول وارن
خفايا نظام النجم الأمريكي

جورج ستاينر
بين تولستوي ودوستويفسكي
٢ ج

يانكو لافرين
الرومانتيكية والواقعية

محمود سامي عطا الله
الفيلم التسجيلي

جوزيف بتس
رحلة جوزيف بتس

ستانلي جيه سولومون
أنواع الفيلم الأمريكي

هاري ب. ناش
السمر والبيض والسود

جوزيف م. بوجز
فن الفرجة على الأفلام

كريستيان ديروش نوبلكور
المرأة الفرعونية

جوزيف نيدهام
موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين

ليوناردو دافنشي
نظرية التصوير

ت. ج. هـ. جيمز
كنوز الفراعنة

رودولف فون هابسبورج
رحلة الأمير رودولف الى الشرق
٣ ج

مالكوم برادبري
الرواية اليوم

وليم مارسدن
رحلة ماركو بولو ٣ ج

هنري بيرين
تاريخ أوربا في العصور الوسطى

ديفيد شنيدر
نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر

اسحق عظيموف
العلم وآفاق المستقبل

رونالد دافيد لانج
الحكمة والجنون والحماقة

كارل بوبر
بحثا عن عالم أفضل

نورمان كلارك
الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا

السيد نصر الدين السيد
اطلالات على الزمن الآتى

ممدوح عطية
البرنامج النووى الاسرائيلى والأمن القومى العربى)

د. ليوبوسكاليا
الحب

ايفور ايفانس
مجمل تاريخ الأدب الانجليزى

هيربرت ريد
التربية عن طريق الفن

وليام بينز
معجم التكنولوجيا الحيوية

الفين توفلر
تحول السلطة ٢ ج

يوسف شرارة
مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية

رولاند جاكسون
الكيمياء فى خدمة الانسان

ت. ج. جيمز
الحياة أيام الفراعنة

جرج كاشمان
لماذا تنشب الحروب ٢ ج

حسام الدين زكريا
انطون بروكنر

ازرا ف. فوجل
المعجزة اليابانية

ونفرد هولز
كانت ملكة على مصر

جيمس هنرى برستد
تاريخ مصر

بول دافيز
الدقائق الثلاث الأخيرة

جوزيف وهارى فيلدمان
سينامية الفيلم

ج. كونتنو
الحضارة الفينيقية

رنست كاسيرو
ى المعرفة التاريخية

كنت ا - كتشن
رمسيس الثانى

جان بول سارتر وآخرون
مختارات من المسرح العالمى

رورالند وجاك يانسن
الطفل المصرى القديم

نيكولاس مايد
شرلوك هولز

ميجيل دى ليبس
الفئران

جوسيبى دى لونا
موسولينى

الويز جرايتر
موتسارت

على عبد الرءوف البمبى
مختارات من الشعر الأسبانى

روبرت سكولز وآخرون
آفاق أدب الخيال العلمى

ب. س. ديفيز
المفهوم الحديث للمكان والزمان

س. هوارد
شهر الرحلات الى غرب افريقية

و. بارتولد
تاريخ الترك فى آسيا الوسطى

فلاديمير تيماتيانو
تاريخ أوربا الشرقية

جابرييل جارسيا ماركيز
الجنرال فى المتاهة

هنرى برجسون
الضحك

مصطفى محمود سليمان
الزلزال

م. و. ثرنج
ضمير المهندس

ا. و. جرنى
الحيثيون

ستينو موسكاتى
الحضارات السامية

د. البرت حورانى
تاريخ الشعوب العربية

محمود قاسم
الأدب العربى المكتوب بالفرنسية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٩١١٦

ISBN — 977 — 01 — 5392 — 3

قبل ثلاثة آلاف عام ابتكر المصريون القدماء شكلاً جديداً من أشكال البناء استخدموه في تشييد أضرحة فراعينهم وهو الشكل الذي يعرف بالهرم ويبدو أنه استلهم من منظر أشعة الشمس عندما تخترق السحب فترسم بخطوطها المائلة صور مثلثات قاعدتها الأرض وقامتها السماء وقد بني المصريون القدماء على مدار خمسة عشر قرنا عشرات الأهرامات التي تمتد كسلسلة متتالية على الضفة الغربية للنيل في مواجهة مدينة القاهرة ومازالت تلك الأهرام تبهرنا بجرمها واحكام بنائها الذي استطاع أن يغالب السنين ودلل على عظمة الحضارة المصرية وما بلغته من اتقان في فنون البناء حتى أن الرحالة الأجانب عندما جاءوا إلى مصر في العصور الوسطى قالوا أن تلك الأهرام من أبنية الجن وان المصريين القدماء كانوا من السحرة ولكن تلك الأهرام تنهض دليل شامخ على عظمة الحضارة المصرية وقوة عزيمة أبنائها.

ومؤلف هذا الكتاب واحد من أعظم علماء الآثار الإنجليزي في عصره وقد حاول أن يتتابع فكرة بناء الأهرام وأصلها الديني وأساليب بناؤها واستعرض مجموعة من أهم الأهرامات ومنها الهرم المدرج في سقارة واهرامات الجيزة ودهشور وغيرها وغيرها...

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب